



المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

١٤٢٤ هـ



٣٨٩١

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل

نبينا محمد ﷺ في الكتاب والسنة

مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب

عبدالرحمن بن محمد حسين العوفي

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد أحمد يوسف القاسم

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين .
وبعد

فإن موضوع هذه الرسالة يتعلق بجمع كل ما ورد من معجزات للأنبياء - عليهم الصلاة
والسلام - من القرآن الكريم والسنة المطهرة قبل نبينا محمد ﷺ دون التعرض لمعجزات
نبينا محمد ﷺ ، وقد اشتمل البحث على تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة ، وفي التمهيد بينت
فيه معنى الدلائل ، والمعجزة والآية ، والفرق بين الدلائل والكرامة ، والفرق بين دلائل
نبينا محمد ﷺ ودلائل نبوة غيره من الأنبياء ، وجعلت الباب الأول في دلائل نبوة أولي
العزم من الرسل ، والباب الثاني في دلائل نبوة الأنبياء من غير أولي العزم من الرسل ، وفي
آخر البحث عقدت باباً أذكر فيه أهم الدروس المستفادة من معجزات الأنبياء - عليهم
الصلاة والسلام - وفيه عقدت فصلاً أذكر فيه بعض الأحكام الفقهية المستنبطة من
دلائل نبوة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - . والمنهج المتبع في هذه الرسالة ذكر
المعجزة التي يدلل بها على أنها آية للنبي ، ثم عرض الآيات القرآنية الكريمة التي جاء ذكر
المعجزة فيها والأحاديث النبوية إن وجدت ، ثم تفسير هذه الآيات من كتب التفسير
وأقوال المفسرين فيها ، وشرح الأحاديث ، وإن ورد بعض الأخبار الإسرائيلية في معجزة
من معجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وكان فيها مبالغات ، أو طعن في
عصمة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - نبهت على الخبر الإسرائيلي ، وبينت ما فيه
من خطأ دون إطالة ، وفي آخر كل معجزة أذكر وجه الإعجاز في المعجزة ، أبرز فيه
لماذا كانت هذه الآية معجزة ، وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج التي توصلت إليها في
البحث ومنها : أن كثيراً من الدراسات السابقة في سير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام
- عرضت قصة النبي دون التركيز على ذكر الآية التي بعث بها ، وإن ذكرت لا يذكر
وجه الإعجاز في هذه الآية . والله أعلم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . والصلاة
والسلام على سيد الخلق أجمعين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

عميد كلية الدعوة وأصول الدين

المشرف

الطالب

د/ عبد الله بن عمر المديجي

أ. د/ محمد أحمد يوسف القاسم

عبد الرحمن بن محمد حسين العوفي

١٤٤٤/٧/٢٩

١٤٤٤/٧/٢٩

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .
وبعد حمد الله أتقدم بجزيل الشكر والتقدير

لفضيلة الشيخ الدكتور محمد أحمد قاسم

بما تفضل به من الإشراف علي في الرسالة ، وما قام به من حسن الرعاية لي طوال مدة البحث ، ولما أولاني به من حسن التوجيه والإرشاد وما وجدت منه من دماثة في الأخلاق وحسن أدب مما كان له أعظم الأثر في نفسي ، وقد استفدت كثيرا من توجيهاته وملاحظاته السديدة مما كان لها أكبر الأثر في هذا البحث . والله أسأل أن يجزيه عني خير الجزاء ، وأن يبارك له في علمه ووقته ونفسه .

كما أتوجه بالشكر الجزيل لجامعة أم القرى لحسن رعايتها لطلابها ولما تقدمه من خدمة للعلم وأهله .

وأتوجه بالشكر أيضا للقائمين على كلية الدعوة وأصول الدين من أعضاء هيئة التدريس وإداريين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يليق بعزته ، وجلال سلطانه ، والصلاة والسلام على خيرته من خلقه نبينا محمد وعلى آله وصحبه صلاةً وتسليماً كثيراً .

أما بعد :

فإن الله - عز وجل - أرسل الرسل ، وأنزل معهم الكتب هداية الناس ، حتى يعبد الله - عز وجل - على بصيرة ، والقرآن الكريم كان خاتمة الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وكان لسيدنا محمد ﷺ الشرف في تبليغ هذا التنزيل ، الذي عالج جميع مناحي الحياة البشرية ، المادية والمعنوية ، من إثبات وجود الله - عز وجل - وإثبات النبوات والرسالات السماوية ، إلى طرق التكسب والعيش في هذه الحياة ، حتى يعيش الإنسان حياة آمنة مطمئنة ، متعبداً لله - عز وجل - حق التعبد ، من الخنوع والخضوع له سبحانه ، والانكسار بين يديه ، ولكن مع كل هذا البيان الرباني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انحرف هذا الإنسان في جميع مناحي حياته ، فبدلَ التعبَدَ لله - عز وجل - تعبداً لغيره وخنع وخضع لبشرٍ مثله ، بل لأحجار وحيوانات وكواكب وأشياء غيرها يتعجب منها كل صاحب فطرة سليمة ، انحرف هذا الإنسان عن الإثبات الخالقه سبحانه ، وانحرف عن رسالات الله ونبوات أنبيائه ، بل انحرف حتى في طعامه وشرابه ، وغيرها كثيرٌ من طرق الانحراف التي أصبح يبتدع طرقها .

ومما انحرف فيه إنكاره لمعجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وعدم تلقيها بالقبول والتسليم ، أو يتلقاها بالتأويل والتحريف ، ولي النصوص الصريحة الصحيحة الثابتة في الكتاب والسنة على ما تهواه الأنفس باطلاً وزوراً ، والعجب كل العجب

عندما تسمع وتقرأ ، أن هذا صدر من رجالٍ متلبسين بالعلم ، وبعضهم متلبسٌ بالعلم الشرعي - نسأل الله الثبات .-

ومن كرم الله علي ، ولطفه وإحسانه ، أن من علي ووفقي لاختيار موضوع متعلق بمعجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - مما كان له أثرٌ طيب في نفسي .

وسبب اختياري لهذا الموضوع أنني لم أجد أحداً - حسب علمي - قد أفرد

معجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في كتابٍ مستقل ، وكل من تعرض

لذكر معجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - تعرض لها إما مع معجزات نبينا

محمد ﷺ فيتناولها باختصار شديد ، أو يذكرها في قصص الأنبياء - عليهم الصلاة

والسلام - عرضاً ، ويهمل جوانب كثيرة من معجزاتهم - عليهم الصلاة والسلام -

أو يذكر معجزات بعض الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ويهمل الآخرين ، وفي

كل الأحوال قد يترك بعض النصوص المؤيدة لقوله ، سواء من الكتاب أو السنة ،

وقد يورد بعض النصوص الضعيفة أو الإسرائيلية ، فأحببت أن أجمع معجزات الأنبياء

- عليهم الصلاة والسلام - في مؤلفٍ مستقل يجمع كل ما ورد من معجزات

للأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وأحاول قدر الإمكان أن أذكر كل المعجزات

ولا يفوتني شيءٌ منها - إن شاء الله تعالى - بجانب ذكر الإسرائيليات المتعلقة بتفسير

تلك المعجزات ، والإتيان عليها بالإبطال والتفنيد ، إلا إن كان فيها موعظة وعبرة

فأذكره لما فيها من العبر .

أما معجزات سيدنا محمد ﷺ فلا أتعرض لذكر شيء منها إلا ما حواه التمهيد من

الكلام عن القرآن الكريم معجزة نبينا محمد ﷺ .

منهجي في البحث

أولاً : اعتمدت كثيراً على كتب التفاسير المعتمدة.

ثانياً : حاولت قدر وسعي أن لا أدع حديثاً شريفاً متعلقاً بمعجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - إلا وذكرته ، وعزوته إلى من أخرجها من أصحاب الكتب الحديثية ولا أكتفي بذكر مصدر واحد ، بل أذكر أكثر من مصدر ، فإن كان في الصحيحين عزوته إلى الكتاب ، والباب ، وإن كان في كتب الحديث الأخرى عزوته إلى الجزء والصحيفة ، وإن تكلم العلماء - رحمهم الله تعالى - على حديث نقلت أقوالهم .

ثالثاً : ذكرت بعض الأخبار الإسرائيلية ، واخترت منهجاً وسطاً في ذكرها ، فما كان فيه قدح للأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أو إنزال لرتبتهم ، أو عصمتهم ، تركته ولم أعرج عليه ، وما كان فيه عظة وعبرة من الأخبار الإسرائيلية ، ذكرته احتجاجاً بقول الرسول ﷺ فيما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : ((بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))¹.

رابعاً : عندما أذكر معجزة نبي من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لا أتعرض لقصة النبي قدر الإمكان بل أحاول أن أبرز المعجزة فقط ، وأذكر وجه الإعجاز في المعجزة حسب ما يظهر لي.

¹ رواه البخاري ١٢٧٥/٣ في كتاب الأنبياء ، باب : ما ذكر عن بني إسرائيل ، والترمذي في العلم باب : ماجاء في الحديث عن بني إسرائيل رقم ٢٦٧١ ومسلم في كتابه التمييز ، وابن حبان ١٤٩/١٤ وابن أبي شيبة في المصنف ٣١٩/٥ نقل ابن عبد البر - رحمه الله - في التمهيد ٤٢/١ قال : قال الشافعي - رحمه الله - : هذا أشد حديث روى في تخريج الرواية عن لا يوثق بخبره عن النبي ﷺ ، لأنه ﷺ معلوم منه أنه لا يبيع اختلاق الكذب على بني إسرائيل ، ولا على غيرهم ، فلما فرق بين الحديث عن بني إسرائيل وبين الحديث عنه ﷺ لم يحتمل إلا أنه أباح الحديث عن بني إسرائيل عن كل أحد ، وأنه من سمع منهم شيئاً جاز له أن يحدث به عن كل من سمعه منه كائناً من كان ، وأن يخبر عنهم بما بلغه ، لأنه - والله أعلم - ليس في الحديث عنهم ما يقدح في الشريعة ، ولا يوجب فيها حكماً ، وقد كانت فيهم الأعاجيب ، فهي التي يحدث بها عنهم ، لا شيء من أمور الديانة ، وهذا الوجه المباح عن بني إسرائيل هو المحذور عنه ﷺ ، فلا ينبغي لأحد أن يحدث عنه ﷺ إلا عن يثق بخبره ويرضى دينه وأمانته لأنها ديانة انتهى.

هذا وقد اشتمل البحث على تمهيد ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة . وفي التمهيد تحدثت فيه عن معنى الدلائل ، والفرق بين دلائل الأنبياء وغيرهم ، وقسمت البحث إلى ثلاثة أبواب ، فجعلت الباب الأول في دلائل نبوة أولي العزم من الرسل ، والباب الثاني في دلائل نبوة الأنبياء غير أولي العزم من الرسل ، والباب الثالث في الدروس المستفادة من معجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم نتائج البحث.

التمهيد

ويشتمل على :

معنى حديث الرسول ﷺ ((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه
البشر)).

معنى الدلائل في اللغة والاصطلاح .

معنى الآية في اللغة والاصطلاح .

تعريف المعجزة.

هل يصح إطلاق لفظ المعجزة على دلائل نبوة الأنبياء .

الفرق بين الدلائل والكرامة .

الفرق بين آيات الأنبياء والسحر والكهانة.

الفرق بين دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ ودلائل نبوة غيره من الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام .

الباب الأول : دلائل نبوة أولي العزم من الرسل

الفصل الأول : دلائل نبوة نوح عليه الصلاة والسلام.

سفينة نوح _ عليه الصلاة والسلام _ .

الفصل الثاني : دلائل نبوة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الأول: نجاة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - من النار .

المبحث الثاني : في إحياء الطيور الأربعة.

الفصل الثالث : دلائل نبوة موسى - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الأول : في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾

المبحث الثاني : إزالة العقدة من لسانه.

المبحث الثالث : في عصا موسى - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الرابع : في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾

[الشعراء: ٣٣] (معجزة اليد).

المبحث الخامس : وعد موسى - عليه الصلاة والسلام - لقومه بأن

العاقبة لهم على القبط.

المبحث السادس : الطمسة.

المبحث السابع : انفلاق البحر لبني إسرائيل.

المبحث الثامن : في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴾

المبحث التاسع : في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾

المبحث العاشر : في أنواع العذاب الذي نزل على القبط .

المبحث الحادي عشر : في نتق الجبل.

المبحث الثاني عشر: في الغمام الذي ظلل به بنو إسرائيل .

المبحث الثالث عشر : في المن والسلوى المتزلة على بني إسرائيل .

المبحث الرابع عشر : ميت بني إسرائيل.

المبحث الخامس عشر : في قول نبينا محمد ﷺ عن موسى - عليه الصلاة

والسلام - : ((ثوبي حجر)) .

الفصل الرابع : دلائل نبوة عيسى بن مريم - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الأول : مولده عليه الصلاة والسلام .

المبحث الثاني : تكلمه في المهد .

المبحث الثالث : في خلق الطير من الطين .

المبحث الرابع : إبراء الأكمه والأبرص .

المبحث الخامس : إحياء الموتى .

المبحث السادس : إخبارهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم .

المبحث السابع : في رفعه إلى السماء .

المبحث الثامن : في نزول المائدة .

الباب الثاني: دلائل نبوة الأنبياء غير أولي العزم من الرسل

الفصل الأول : دلائل نبوة هود - عليه الصلاة والسلام - .

آية هود عليه السلام

الفصل الثاني : دلائل نبوة صالح - عليه الصلاة والسلام - .

خبر ناقة صالح - عليه الصلاة والسلام - .

الفصل الثالث : دلائل نبوة داود - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الأول : تسبيح الجبال والطير معه .

المبحث الثاني : إلانة الحديد له ﷺ

الفصل الرابع : دلائل نبوة سليمان - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الأول : في ملك سليمان - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الثاني : تسخير الريح لسليمان - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الثالث : تسخير الجن والشياطين لسليمان - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الرابع : قصص الحيوانات مع سليمان - عليه الصلاة والسلام - .

الفصل الخامس : دلائل نبوة يوشع بن نون - عليه الصلاة والسلام - .

خبر حبس الشمس ليوشع - عليه الصلاة والسلام - .

الفصل السادس : دلائل نبوة نبي من أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى

- عليهم الصلاة والسلام - .

قصة التابوت .

الباب الثالث :

في الدروس المستفادة من دلائل نبوة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -

ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : وفيه المباحث التالية

المبحث الأول :

العبرة من الآيات التي بعث بها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -

المبحث الثاني :

المحن التي تعرضوا لها بسبب هذه الآيات .

المبحث الثالث :



٣٨٩١

موقف المكذبين والمعاندين من هذه الآيات .

المبحث الرابع :

في وجه الشبه بين الأمم الكافرة بآيات الأنبياء.

المبحث الخامس

موقف المسلم من هذه الآيات .

الفصل الثاني :

الأحكام الفقهية المستنبطة من دلائل نبوة الأنبياء .

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.

هذا والله أسأل أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

ويشتمل على :

- * معنى حديث الرسول ﷺ ((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر)).
- * معنى الدلائل في اللغة والاصطلاح .
- * معنى الآية في اللغة والاصطلاح .
- * تعريف المعجزة.
- * هل يصح إطلاق لفظ المعجزة على دلائل نبوة الأنبياء .
- * الفرق بين دلائل النبوة والكرامة .
- * الفرق بين آيات الأنبياء والسحر والكهانة.
- * الفرق بين دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ ودلائل نبوة غيره من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - .

التمهيد

معنى حديث الرسول ﷺ ((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر)).
 قص القرآن الكريم سير الأنبياء الكرام ، وما تعرضوا له من صنوف الأذى ، في سبيل
 تبليغ رسالة الله - عز وجل - والآيات التي أيد الله - سبحانه وتعالى - بها الأنبياء
 - عليهم الصلاة والسلام - تدل على صدقهم ، وأنهم رسل من عند الله سبحانه ،
 وما حصل لهم من التكذيب والإيذاء في مقابل هذه الآيات ، ولكن لم يؤذ نبي مثله
 ما أؤذي به نبينا محمد ﷺ ، ولم يؤت نبي آية من الآيات مثل ما أوتي نبينا محمد ﷺ
 آية خالدة باقية إلى قيام الساعة ألا وهي معجزة القرآن العظيم ، أما معجزات غيره
 من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فكانت معجزات وظيفية ، لم يشاهدها إلا من
 حضرها ، وقد زالت بزوال أصحابها - عليهم صلوات الله وسلامه - ففي الصحيح
 عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ : ((ما من الأنبياء نبي إلا
 أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن
 أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة))^٢.

قال ابن كثير : وإنما ذكر ههنا أعظم الآيات التي أعطيها عليه السلام وهو القرآن
 وإلا فله من المعجزات ما لا يحصى ولا يحصر^٣.

وقال النووي في شرحه لهذا الحديث : (اختلف فيه على أقوال :

أحدها : أن كل نبي أعطي من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله من الأنبياء فلمن
 به البشر وأما معجزتي العظيمة الظاهرة فهي القرآن الذي لم يعط أحد مثله ، فلهذا
 قال : أنا أكثرهم تابعاً.

والثاني : معناه أن الذي أوتيته لا يتطرق إليه تخيل بسحر وشبهة ، بخلاف
 معجزة غيري ، فإنه قد يخيل الساحر بشيء مما يقارب صورتها كما خيلت السحرة

^١ أخرجه البخاري في صحيحه ١٩٠٥/٤ كتاب : فضائل القرآن ، باب : كيف نزول الوحي وأول ما نزل
 ، ومسلم ١٣٤/١ باب : وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، وأحمد
 ٣٤١/٢ ، ٤٥١ ، والنسائي في السنن الكبرى ٣٣٠/٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٤/٩ ، وابن منده في
 كتاب الإيمان ٤٨٨/١ ، و ٧٠٠/٢

^٢ تفسير ابن كثير ١٧٣/٣

في صورة عصا موسى ﷺ والخيال قد يروج على بعض العوام ، والفرق بين المعجزة والسحر والتخييل يحتاج إلى فكر ونظر ، وقد يخطيء الناظر فيعتقدهما سواء.

والثالث : معناه أن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم ، ولم يشاهدها إلا من حضرها بحضرتهم ومعجزة نبينا ﷺ القرآن المستمر إلى يوم القيامة ، مع حرق العادة في أسلوبه وبلاغته ، وإخباره بالمغيبات ، وعجز الجن والأنس عن أن يأتوا بسورة من مثله مجتمعين أو متفرقين في جميع الأعصار ، مع اعتنائهم بمعارضته فلم يقدرُوا وهم أفصح القرون مع غير ذلك من وجوه إعجازه المعروفة والله أعلم.

وقال في قوله ﷺ : ((فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا)) علم من أعلام النبوة فإنه أخبر عليه السلام بهذا في زمن قلة المسلمين ، ثم من الله تعالى وفتح على المسلمين البلاد وبارك فيهم حتى انتهى الأمر واتسع الإسلام في المسلمين إلى هذه الغاية المعروفة ، والله الحمد على هذه النعمة وسائر نعمه التي لا تحصى والله أعلم^٤.

وقال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: قوله ((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي)) هذا دال على أن النبي لا بد له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه ولا يضره من أصر على المعاندة.

قوله : ((من الآيات)) أي المعجزات الخوارق.

قوله : ((ما مثله آمن عليه البشر)) ما موصولة وقعت مفعولاً ثانياً لأعطي ، ومثله مبتدأ وآمن خبره ، والمثل يطلق ويراد به عين الشيء ، وما يساويه ، والمعنى أن كل نبي أعطى آية أو أكثر من شأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن به لأجلها ، وعليه بمعنى اللام أو الباء الموحدة ، والنكته في التعبير بها ، تضمنها معنى الغلبة ، أي يؤمن بذلك مغلوباً عليه بحيث لا يستطيع دفعه عن نفسه ، لكن قد يجحد فيعاند كما قال الله تعالى ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾

[النمل: ١٤] .

^٤ شرح النووي على مسلم ١٨٨/٢

قال الطيبي : الراجع إلى الموصول ضمير المجرور في عليه وهو حال أي مغلوباً عليه في التحدي والمراد بالآيات المعجزات وموقع المثل موقعه من قوله تعالى : ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ [يونس: ٣٨]: أي على صفته من البيان وعلو الطبقة في البلاغة.

قوله : ((وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي)) أي أن معجزتي التي تحديت بها الوحي الذي أنزل علي وهو القرآن لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح وليس المراد حصر معجزاته فيه ، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه ، بل المراد أن المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره ، لأن كل نبي أعطى معجزة خاصة به لم يعطها بعينها غيره تحدي بما قومه ، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه كما كان السحر فاشياً عند فرعون فجاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقفت ما صنعوا ولم يقع ذلك بيمينه لغيره ، وكذلك أحياء عيسى الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور ، فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه ، ولهذا لما كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ في الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يقدرُوا على ذلك.

وقيل : المراد أن القرآن ليس له مثل ، لا صورة ولا حقيقة ، بخلاف غيره من المعجزات فإنها لا تخلو عن مثل.

وقيل : المراد أن كل نبي أعطى من المعجزات ما كان مثله لمن كان قبله صورة أو حقيقة والقرآن لم يؤت أحد قبله مثله ، فلهذا أردفه بقوله : ((فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً)) وقيل : المراد أن الذي أوتيته لا يتطرق إليه تخيل ، وإنما هو كلام معجز لا يقدر أحد أن يأتي بما تخيل من التشبيه به ، بخلاف غيره ، فإنه قد يقع في معجزاتهم ما يقدر الساحر أن يخيل شبهه فيحتاج من يميز بينهما إلى نظر ، والنظر عرضة للخطأ ، فقد يخطيء الناظر فيظن تساويهما.

وقيل : المراد أن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها ومعجزه القرآن مستمرة إلى يوم القيامة وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخير به أنه سيكون يدل على صحة دعواه ، وهذا أقوى الاحتمالات ، وتكميله في الذي بعده .

وقيل : المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية تشاهد بالابصار كناقصة صالح ، وعصا موسى ، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة ، فيكون من يتبعه لأجلها أكثر ، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده ، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً .

قلت : ويمكن نظم هذا الأقوال كلها في كلام واحد ، فإن محصلها لا ينافي بعضه بعضاً . قوله : ((فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)) رتب هذا الكلام على ما تقدم من معجزة القرآن المستمرة لكثرة فائدته وعموم نفعه لاشتماله على الدعوة والحجة والإخبار بما سيكون فعم نفعه من حضر ومن غاب ومن وجد ومن سيوجد فحسن ترتيب الرجوى المذكورة على ذلك ، وهذه الرجوى قد تحققت فإنه أكثر الأنبياء تبعاً .

..... وقد جمع بعضهم إعجاز القرآن في أربعة أشياء :

أحدها : حسن تأليفه والتتام كلمه مع الإيجاز والبلاغة .

ثانيها : صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظماً ونثراً ، حتى حارت فيه عقولهم ، ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله ، مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك وتقريعه لهم على العجز عنه .

ثالثها : ما اشتمل عليه من الإخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب .

رابعها : الإخبار بما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي ، وبعضها بعده . ومن غير هذه الأربع آيات وردت بتعجيز قوم في قضايا أنهم لا يفعلونها فعجزوا عنها مع توفر دواعيهم على تكذيبه ، كتمني اليهود الموت ، ومنها الروعة التي تحصل لسماعه ، ومنها أن قارئه لا يمل من ترداده ، وسماعه لا يمجه ولا يزداد

بكثره التكرار إلا طراوة ولذاذة ، ومنها أنه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا ، ومنها جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها ولا تنتهي فوائدها . انتهى ملخصاً من كلام عياض وغيره^٥ .

والقرآن الكريم بحر إعجازه كل من سمعه ، على تفاوت مراتب السامعين في البلاغة ، في الأسلوب والنظم ، وفي العلوم والحكم ، وفي التأثير في السامعين ، مهما كانت نحلهم ، وفي كل آية من آياته إعجاز للسامعين ، وهذا الإعجاز يظهر لكل جيل من الأجيال ما يدل عليه ، وفي عصرنا هذا مع تقدم العلوم بشتى أنواعها يظهر لنا من أعجاز القرآن الشيء الكثير ، مما غاب عن الأولين ، وهذا الإعجاز ممتد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ولا أريد الإسهاب في الكلام عن إعجاز القرآن الكريم ، لأنه متنوع ، ويطول الحديث عنه ، وقد تكلم العلماء عنه كثيراً ، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابيه النبوات ، والجواب الصحيح ، والماوردي في كتابه أعلام النبوة ، والقصد من إيراد إعجاز القرآن هنا ، التنبيه على عظم هذه المعجزة ، وأنه إذا لم يشاهد الناس معجزات الأنبياء مثل معجزة سفينة نوح ، وناقاة صالح ، ونجاة إبراهيم من النار ، وعصا موسى ، ورفع عيسى - عليهم الصلاة والسلام - فإن القرآن الكريم عرض لنا قصصهم أحسن عرض وأبلغه ، حتى لم يدع لمرتاب عذر . والله أعلم .

^٥ فتح الباري ٧،٦/٩

معنى الدلائل في اللغة والاصطلاح :

قال ابن السكيت في باب الفَعَالَةِ والفِعَالَةِ بمعنى واحد عن الفراء : يقال : دليل بين الدَّلَالَةِ والدَّلَالَةِ^٦.

والدَّلَالَةُ بكسر الدال وفتحها ، هو ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه ، واسم الفاعل (دالٌّ) و(دليلٌ) وهو المرشد والكاشف^٧.

قال الراغب :

الدَّلَالَةُ ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب ، وسواءً كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالةً أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حيٌّ ، قال تعالى : ﴿ مَا ذَلَّهُمْ عَلَىٰ

مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ﴾ [سبأ: ١٤] أصل الدلالة مصدر

كالكناية والأمانة ، والدال من حصل منه ذلك^٨.

فعلى هذا نقول بأن الدلائل التي تكون للنبي هي المرشد والكاشف الدال على نبوة النبي ، فظهور الأمور غير المعتادة على يد إنسان ، لا بد أن تكون لسبب ، وهي لأجل الإعلام بأن هذه الأفعال ما هي إلا دلائل ظهرت على يديه ، تدل على صدقه ، فإذا ظهر خرق العادة لمدعي الرسالة ، سواء طلب منه ، أو لم يطلب منه ، كان كالإعلام على صدقه ، وهذا لا يكون إلا إذا تميّز فعله عن فعل غيره.

وليس كلما ظهر على يد النبي شيء من هذه الدلائل يكون للتحدي ، فنبينا محمد ﷺ ظهرت على يديه عشرات الدلائل التي تدل على نبوته وصدقه ، ولم يتحد بها ، ولم يطلب من أحد أن يعارضها ، ولم يأت التحدي لقريش بأن يأتوا بمثل القرآن إلا من كتاب الله - سبحانه - ولم ينقل عن الأنبياء قبله - عليهم الصلاة والسلام - أنهم جاءوا بهذه الآيات للتحدي ، وإنما جاء صالح بالناقة لما طلبها منه قومه ،

^٦ إصلاح المنطق ص ١١١

^٧ انظر المصباح المنير ١٩٩

^٨ معجم مفردات القرآن ص ١٧٣ .

وعيسى بالمائدة لما طلبت منه ولم ينقل عنهم ولا عن غيرهم أنهم تحدوا بالآيات التي بعثوا بها.

وقد ذكر كثيرٌ من أهل العلم^٩ بأن ما يظهره الله - عز وجل - من الكرامات على يدي أتباع الأنبياء هي معجزات للأنبياء ، ودليل على نبوة النبي. والمقصود بأن الأنبياء جميعاً - عليهم الصلاة والسلام - جاءوا بهذه الآيات لهداية الناس وليزداد المؤمنون إيماناً ، ولم يأتوا لتحدي الخلق ومعارضتهم ، وإنما جاءوا ببعض الآيات لما طلبت منهم ، بل جاء التهديد والوعيد لمن طلبها ولم يؤمن بها كمل في خبر المائدة ، وعلى هذا نقول : بأن الدلائل ، والآيات ، والبيانات ، والبرهان ، والمعجزات كلها تدل على معنى واحد ، ولا فرق بينها في الدلالة على المعنى ، ومن يقول بأنها تدل على معاني مختلفة ، كأن يقول يطلق الدلائل والآيات على ما كان ليس للتحدي ، والمعجزات على ما كان للتحدي فعليه الدليل. والله أعلم.

^٩ انظر تفسير القرطبي ١٣ / ١٣٧ / البداية والنهاية ٦ / ١٦١

معنى الآية في اللغة والاصطلاح :

الآية : في لغة العرب العلامة الدالة على الشيء^{١٠}.

قال الراغب الأصفهاني : والآية هي العلامة الظاهرة وحقيقته لكل شيء ظاهر هو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره ، فمتى أدرك مدرك الظاهر منهما علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته إذا كان حكمهما سواء ، وذلك ظاهر في المحسوسات والمعقولات ، فمن علم ملازمة العلم للطريق المنهج ثم وجد العلم علم أنه وجد الطريق ، وكذا إذا علم شيئاً مصنوعاً علم أنه لا بد له من صانع وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٧٧] فهي من الآيات المعقولة

التي تفاوتت بها المعرفة بحسب تفاوت منازل الناس في العلم ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٩] وكذا قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يوسف: ١٠٥] وذكر في مواضع آية وفي مواضع آيات وذلك لمعنى مخصوص وإنما قلل : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ [المؤمنون: ٥٠] ولم يقل آيتين لأن كل واحد صار آية بالآخر . وقوله عز وجل : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩] فالآيات ها هنا قيل : إشارة إلى الجراد والقمل والضفادع ونحوها من الآيات التي أرسلت إلى الأمم المتقدمة فنبهه أن ذاك إنما يفعل بمن يفعله تخويفاً وذلك أحسن المنازل للمأمورين.^{١١}

والمراد به هنا ما يجريه الله على أيدي رسله وأنبيائه من أمور خارقة للسنن الكونية المعتادة التي لا قدرة للبشر على الإتيان بمثلها ، كتحويل العصا أفعى تتحرك وتسعى ،

^{١٠} لسان العرب ١/١٨٥

^{١١} مفردات ألفاظ القرآن ص ٢٨، ٢٩

وكإحياء الأموات فتكون هذه الآية الخارقة للسنة الكونية المعتادة دليلاً غير قابل للنقض والإبطال ، يدلُّ على صدقهم فيما جاءوا به^{١٢} .

^{١٢} انظر الرسل والرسالات ص ١٢١

تعريف المعجزة :

(أعجزه) أعجزه الشيء فاته . وعجزه تعجيزاً : تَبَطَّهُ أو نسبه إلى العَجْز^{١٣} .
قال القرطبي رحمه الله : (المعجزة واحدة معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم ، وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها)^{١٤} .
وعند الماوردي أن المعجز : ما خرق عادة البشر من خصال لا تستطاع إلا بقُدرة إلهية تدل على أن الله تعالى خصه بها تصديقاً على اختصاصه برسالته ، فيصير دليلاً على صدقه في ادعاء نبوته إذا وصل ذلك منه في زمان التكليف ، وأما عند قيام الساعة إذا سقطت فيه أحوال التكليف فقد يظهر فيه من أشراتها ما يخرق العادة فلا يكون معجزاً مدعي نبوة^{١٥} .

هل يصح إطلاق لفظ المعجزة على دلائل نبوة الأنبياء :

لفظ المعجزات لم ترد بالمعنى الاصطلاحي في الكتاب أو السنة وإنما فيه لفظ : الآية ، والبينة ، والبرهان . وليس عدم الورد به أنه يُمنع أن يطلق على خوارق الأنبياء هذه العبارة ، بل ورد في عبارات بعض السلف أنهم أطلقوا لفظ المعجزة على الأمر الخارق للعادة - كما سيأتي معنا من كلام ابن تيمية - وإن كان هذا اللفظ محدثاً لم يأت في عبارات المتقدمين من سلف الأمة ، وإنما هو مصطلح ابتدعه المتكلمون ، وكون هذه العبارة لم يكن أحدٌ من العلماء المتقدمين من سلف هذه الأمة يُنكر على من أطلق لفظ المعجزات على آيات الأنبياء ، ولا تحمل في طياتها ما فيه مخالفة شرعية فلا حرج أن نطلق على الأمر الخارق للعادة للأنبياء معجزات ، وآيات ، وبيئات ، ودلائل ، وبراهين ، إذ المعنى واحد ، وإنما جعلت عنوان الرسالة بالدلائل ، لأن كل من صنف من المحدثين في هذا الباب أطلق لفظ الدلائل . والله أعلم .

^{١٣} انظر مختار الصحاح ٣٠٩ والقاموس المحيط ٦٦٣

^{١٤} تفسير القرطبي ٦٩/١

^{١٥} أعلام النبوة ص ٥٨

قال ابن تيمية — رحمه الله — : والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد ﷺ كثيرة متنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميتها من يسميها من النظر لمعجزات وتسمى دلائل النبوة ، وأعلام النبوة ، ونحو ذلك .
وهذه الألفاظ إذا سميت بما آيات الأنبياء ، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجوداً في الكتاب والسنة ، وإنما فيه لفظ (الآية) و(البرهان) ...

أما الآية فكقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴾ [الأنعام: ٤]

وأما البينة : فكقوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ [الأعراف: ٧٣]

وأما البرهان فكقوله تعالى : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ ﴾ [القصص: ٣٢]

وأما لفظ المعجزة فإنما يدل على أنه أعجز غيره كما قال تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [الزمر: ٥١].

ومن لا يثبت فعلاً إلا الله ، يقول : المعجز هو الله ، وإنما سمي غيره معجزاً مجازاً . وهذا اللفظ لا يدل على كون ذلك آيةً ودليلاً إذا فسر المراد به ، وذكر شرائطه ، ولهذا كان كثير من أهل الكلام لا يسمي معجزاً إلا ما كان للأنبياء فقط ، وما كان للأولياء إن ثبت لهم خرق عادة سماها كرامة .

والسلف — كأحمد وغيره — يسمون هذا وهذا معجزاً ، ويقولون لخوارق الأولياء: إنها معجزات ، إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك ، بخلاف ما كان آية وبرهاناً على نبوة النبي ، فإن هذا يجب اختصاصه .

وقد يسمون الكرامات آيات ، ولكنها تدل على نبوة من اتبعه الولي ، فإن الدليل مستلزم للمدلول ، يمتنع ثبوته بدون ثبوت المدلول ، فكذلك ما كان آية وبرهاناً وهو الدليل والعلم على نبوة النبي يمتنع أن يكون لغير النبي .

وقد يقال : إنهم سموها آيات أيضاً ، أو لأنها تعجز غيرهم ، وهي آية على صحة طريقهم^{١٦} .

^{١٦} الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٧٠/٦٩/٦٨/٦٧/٤) باختصار .

الفرق بين دلائل النبوة والكرامة .

الكَرَمُ : بفتحين ضد اللؤم . وأَكْرَمُهُ ، وَكَرَّمَهُ : عظمه ونزَّهه . والمَكْرَمَةُ واحِدَةٌ المكارم ... والأَكْرَمَةُ : من الكَرَم ، كالأعجوبة من العجب ... والتكريم ، والإكرام بمعنى ، والإسم منه الكرامة . ويقال : حمل إليه الكرامة ، وهو مثل النُّزُل^{١٧} .

قال السفاريني - رحمه الله - في تعريف الكرامة (الكرامة وهي أمرٌ خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ، ولا هو مقدمة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم)^{١٨} .

وقول السفاريني : على يد عبد ظاهر الصلاح ، ليس بجيد ، فالصلاح أمرٌ نسبي من زمن إلى زمن ، فقد ورد عن أنس - رضي الله عنه - أنه قال : إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر إن كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات . قال : أبو عبد الله يعني بذلك : المهلكات^{١٩} . وعن حميد بن هلال ثنا أبو قتادة عن عبادة بن قرص أو قرط : إنكم لتعملون اليوم أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات . فقلت لأبي قتادة : فكيف لو أدرك زماننا هذا ؟ فقال أبو قتادة : لكان لذلك أقول^{٢٠} .

وذكر الدكتور أحمد بن سعد الغامدي في إثبات الكرامة وجواز وقوعها ثلاثة مذاهب:

الأول : جواز وقوعها على أيدي الصالحين ، ولكنها لاتصل إلى الخوارق التي أظهرها الله - عز وجل - على أيدي أنبيائه ورسله لإثبات نبوتهم ، وهذا ما قرره ابن تيمية - رحمه الله - قال : (ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين فلا تبلغ كرامات أحد قط إلى مثل معجزات المرسلين ، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة

^{١٧} انظر القاموس المحيط ١٤٨٩ ، والمصباح المنير ٤١٧

^{١٨} لوامع الأنوار البهية ٣٩٢/٢

^{١٩} أخرجه البخاري في صحيحه ٥ / ٢٣٨١ في كتاب : الرقاق ، باب : ما يتقى من محقرات الذنوب . وأحمد في مسنده ٣ /

١٥٧ و ٢٨٨ / ٧

^{٢٠} أخرجه أحمد ٥ / ٧٩ والطيالسي ٢ / ١٩٣ والحاكم في المستدرک ٤ / ٢٩٠ وصحح إسناده ، والضياء في المختارة ٨ /

٣٦٩ وصحح إسناده أيضاً ، وورد مثل هذا اللفظ والمعنى عن أبي سعيد الخدري عند أحمد في المسند ٣ / ٣

والثواب إلى درجاتهم ، ولكن قد يشاركونهم في بعضها ، كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم) ^{٢١}

أراد رحمه الله أنهم قد يشاركونهم في غير المعجزة التي جعلها الله - عز وجل - لبيان صدق دعواتهم من المعجزات الأخرى التي جاءت براهين عظيمة على صدقهم. قال رحمه الله : (فإن آيات الأنبياء التي دلت على نبوتهم هي أعلى مما يشتركون فيه هم وأتباعهم مثل الإتيان بالقرآن ومثل إخراج ناقة من الأرض ومثل قلب العصا حية ، وشق البحر ..) ^{٢٢}

الثاني : جواز وقوعها بدون حد :

فما جاز وقوعه لني جاز وقوعه لولي . بل الخارق للعادة يقع من النبي والولي والساحر ، ولا فرق إلا دعوى النبوة من النبي ، والصلاح من الولي. وهذا مذهب الأشاعرة.

قال البغدادي : (اعلم أن المعجزات والكرامات متساوية في كونها ناقضة للعدلات ، غير أن الفرق بينهما من وجهين :

أحدهما : تسمية ما يدل على صدق الأنبياء : معجزة ، وتسمية ما يظهر على الأولياء : كرامة للتمييز بينهما.

الوجه الثاني : أن صاحب المعجزة لا يكتف معجزته بل يظهرها ويتحدى بها خصومه ويقول : إن لم تصدقوني فعارضوني بمثلها.

وصاحب الكرامة يجتهد في كتمانها ولا يدعيها فإن أطلع الله عليها بعض عباده كلان ذلك تنبيهها لما أطلعه الله تعالى عليها على حسن منزلة صاحب الكرامة عنده ، أو على صدق دعواه فيما يدعيه من الحال.

وفرق ثالث : وهو أن صاحب المعجزة مأمون التبديل معصوم عن الكفر بعد ظهور المعجزة عليه. وصاحب الكرامة لا يؤمن تبدل حاله فإن بلعم بن باعوراء أوتي من هذا الباب ما لم يؤت غيره ثم ختم له بالشقاء) ^{٢٣}.

^{٢١} النبوات ٥،٤

^{٢٢} النبوات ١١٦

والوجه الثاني الذي ذكره البغدادي ، ضعفه ابن تيمية في كتاب النبوات^{٢٤} ، لأن من الكرامات من أظهرها أصحابها كإظهار العلاء بن الحضرمي المشي على الماء^{٢٥} ، وإظهار عمر مخاطبة سارية على المنبر^{٢٦} . فخوارق الصالحين منهم من معجزات الأنبياء ، وإنما حصلت لهم هذه الكرامات باتباعهم للأنبياء ، وهي مؤكدة لآيات الأنبياء ، وهي من معجزاتهم .

^{٢٣} أصول الدين ١٧٤، ١٧٥ انظر فيما سبق مقدمة كتاب (كرامات أولياء الله - عز وجل -) للدكتور

أحمد بن سعد حمدان .

^{٢٤} ١٣٨/١

^{٢٥} انظر سير أعلام النبلاء ١ / ٢٦٢

^{٢٦} انظر الإصابة ٤ / ٩٨

الفرق بين آيات الأنبياء والسحر والكهانة :

أحسن من تكلم في هذا الموضوع هو شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وكل من يتكلم في هذا المعنى لا يخرج عن ما كتب قال رحمه الله : وآيات الأنبياء لا يقدر أحد أن يتوصل إليها بسبب والسحر والكهانة مما يمكن التوصل إليه بسبب كالذي يأتي بأقوال وأفعال تحدثه بها الجن .

فالنبوة لا تنال بكسب العبيد ولا آياتها تحصل بكسب العباد ، وهذا من الفروق بين آيات الأنبياء وبين السحر والكهانة وبينهما فروق كثيرة أكثر من عشرة .

أحدها : -

أن ما يخبر به الأنبياء لا يكون إلا صدقاً وأما ما يخبر به من خالفهم من السحرة والكهان وعباد المشركين وأهل الكتاب وأهل البدع والفجور من المسلمين فإنه لا بد فيه من الكذب .

الثاني : -

أن الأنبياء لا تأمر إلا بالعدل ولا تفعل إلا العدل وهؤلاء المخالفون لهم لا بد لهم من الظلم فإن ما خالف العدل لا يكون إلا ظلماً فيدخلون في العدوان على الخلق وفعل الفواحش والشرك والقول على الله بلا علم وهي المحرمات التي حرمها الله مطلقاً قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ
وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ

سُلْطَنًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣]

الثالث : -

أن ما يأتي به من يخالفهم معتاد لغير الأنبياء ، كما هو معتاد للسحرة والكهان وعباد المشركين ، وأهل الكتاب ، وأهل البدع والفجور وآيات الأنبياء هي معتادة إنما تدل على خبر الله وأمره على علمه وحكمه فتدل على أنهم أنبياء وعلى صدق من أخبر بنبوهم سواء كانوا هم المخبرين أو غيرهم وكرامات الأولياء هي من هذا فإنهم يخبرون بنبوة الأنبياء ، وكذلك أشراف الساعة هي أيضاً تدل على صدق الأنبياء إذ

كانوا قد أخبروا بما فالذي جعله أولئك من كرامات الأولياء وأشراف الساعة ناقضاً لآيات الأنبياء إذ هو من جنسها ولا يدل عليها فأولئك كذبوا بالموجود وهؤلاء سوا بين الآيات وغيرها فلم تكن في الحقيقة عندهم آية وكانت الآيات عند أولئك منتقضة ، وأولئك نصرروا جهلهم بالتكذيب بالحق ، وهؤلاء نصرروا جهلهم أيضاً بقول الباطل فقالوا : إن الآية هي المقرونة بالدعوى التي لا تعارض ، وزعموا أنه لا يمكن معارضة السحر والكهانة إذا جعل آية ، وأنه إذا لم يعارض كان آية وهو تكذيب بالحق أيضاً ، فإنه قد ادعاه غير نبي ولم يعارض ، فالطائفتان أدخلت في الآيات ما ليس منها ، وأخرجت منها ما هو منها ، فكرامات الأولياء وأشراف الساعة من آيات الأنبياء وأخرجوها ، والسحر والكهانة ليس من آياتهم وأدخلوها أو سوا بينها وبين الآيات بل ونواها .

الرابع : —

إن آيات الأنبياء والنبوة لو قدر أنها تنال بالاكتماب فهي إنما تنال بعبادة الله وطاعته فإنه لا يقول عاقل إن أحداً يصير نبياً بالكذب والظلم بل بالصدق والعدل سواء قلل إن النبوة جزاء على العمل أو قال إنه إذا زكى نفسه فاض عليه ما يفيض على الأنبياء فعلى القولين هي مستلزمة للالتزام بالصدق والعدل وحينئذ فيمتنع أن صاحبها يكذب على الله ، فإن ذلك يفسدها بخلاف من خالف الأنبياء من السحرة والكهان وعباد المشركين وأهل البدع والفجور من أهل الملل أهل الكتاب والمسلمين فإن هؤلاء تحصل لهم الخوارق مع الكذب والإثم ، بل خوارقهم مع ذلك أشد لأنهم يخالفون الأنبياء وما ناقض الصدق والعدل لم يكن إلا كذباً وظلماً .

فكل من خالف طريق الأنبياء لا بد له من الكذب والظلم إما عمداً وإما جهلاً وقوله تعالى : ﴿ تَنْزَلُ عَلَيَّ كُلِّ أُمَّةٍ مِنْهُمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ ﴾ [الشعراء: ٢٢٢] ليس من شرطه أن يتعمد الكذب بل من كان جاهلاً يتكلم بلا علم فيكذب فإن الشياطين تنزل عليه أيضاً إذ من أخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه من غير اجتهاد يعذر به فهو كذاب ولهذا يصف الله المشركين بالكذب وكثير منهم لا يتعمد ذلك .

الخامس : —

أن ما تأتي به السحرة والكهان ، والمشركون وأهل البدع من أهل الملل لا يخرج عن كونه مقدورا للإنس والجن ، وآيات الأنبياء لا يقدر على مثلها لا الإنس ولا الجن كما قال تعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

ظَهِيرًا ﴿ [الإسراء: ٨٨]

السادس : —

أن ما يأتي به السحرة والكهان ، وكل مخالف للرسول تمكن معارضته بمثله وأقوى منه كما هو الواقع لمن عرف هذا الباب . وآيات الأنبياء لا يمكن أحدا أن يعارضها لا بمثلها ولا بأقوى منها ، وكذلك كرامات الصالحين لا تعارض لا بمثلها ولا بأقوى منها . بل قد يكون بعض آيات أكبر من بعض ، وكذلك آيات الصالحين لكنها متصادقة متعاونة على مطلوب واحد ، وهو عبادة الله وتصديق رسله فهي آيات ودلائل وبراهين متعاونة على مطلوب واحد ، والأدلة بعضها أدل وأقوى من بعض

السابع : —

أن آيات الأنبياء هي الخارقة للعادات ، عادات الإنس والجن ، بخلاف خوارق مخالفينهم فإن كل ضرب منها معتاد لطائفة غير الأنبياء ، وآيات الأنبياء ليست معتادة لغير الذين يصدقون على الله ، ويصدقون من صدق على الله ، وهم الذين جاءوا بالصدق وصدقوا ، تلك معتادة لمن يفترى الكذب على الله ، أو يكذب الحق لما جاءه ، فتلك آيات على كذب أصحابها وآيات الأنبياء آيات على صدق أصحابها فإن الله سبحانه لا يخلي الصادق مما يدل على صدقه ولا يخلي الكاذب مما يدل على كذبه إذ من نعته ما أخبر به في قوله : قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَىٰ

اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴿ [الشورى: ٢٤] فهو سبحانه

لا بد أن يحص الباطل ويحق الحق بكلماته.

الثامن : —

أن هذه لا يقدر عليها مخلوق ، فلا تكون مقدورة للملائكة ، ولا للجن ، ولا للإنس ، وإن كانت الملائكة قد يكون لهم فيها سبب بخلاف تلك ، فإنها إما مقدورة للإنس أو للجن أو مما يمكنهم التوصل إليها بسبب ، وأما كرامات الصالحين فهي من آيات الأنبياء كما تقدم ، ولكن ليست من آياتهم الكبرى ولا يتوقف إثبات النبوة عليها ، وليست خارقة لعادة الصالحين ، بل هي معتادة في الصالحين من أهل الملل في أهل الكتاب والمسلمين وآيات الأنبياء التي يختصون بها خارقة لعادة الصالحين .

التاسع : —

إن خوارق غير الأنبياء ، الصالحين والسحرة والكهان وأهل الشرك والبدع تنال بأفعالهم كعبادتهم ودعائهم وشركهم وفجورهم ونحو ذلك ، وأما آيات الأنبياء فلا تحصل بشيء من ذلك ، بل الله يفعلها آية وعلامة لهم وقد يكرمهم بمثل كرامات الصالحين ، وأعظم من ذلك مما يقصد به إكرامهم لكن هذا النوع يقصد به الإكرام والدلالة بخلاف الآيات المجردة كانشقاق القمر وقلب العصا حية وإخراج يده بيضاء والإتيان بالقرآن والإخبار بالغيب الذي يختص الله به ، فأمر الآيات إلى الله لا إلى اختيار المخلوق والله يأتي بما بحسب علمه وحكمته وعدله ومشئته ورحمته ، كما ينزل ما ينزله من آيات القرآن وكما يخلق من يشاء من المخلوقات بخلاف ما حصل باختيار العبد إما لكونه يفعل ما يوجبه أو يدعو الله به فيجيبه فالخوارق التي ليست آيات تارة تكون بدعاء العبد والله تعالى يجيب دعوة المضطر ، وإن كان كافرا لكن للمؤمنين من إجابة الدعاء ما ليس لغيرهم وتارة تكون بسعيه في أسبابها مثل توجيهه بنفسه وأعوانه ، وبمن يطيعه من الجن والإنس في حصولها وأما آيات الأنبياء فلا تحصل بشيء من ذلك .

العاشر : —

أن النبي قد خلت من قبله أنبياء يعتبر بهم فلا يأمر إلا بما أمرت به الأنبياء من عبادة الله وحده والعمل بطاعته والتعريف باليوم الآخر والإيمان بجميع الكتب والرسل فلا يمكن خروجه عما اتفقت عليه الأنبياء ، وأما السحرة والكهان والمشركون وأهل البدع من أهل الملل فإنهم يخرجون عما اتفقت عليه الأنبياء ، فكلهم يشركون مع

تنوعهم ويكذبون ببعض ما جاء به الأنبياء ، والأنبياء كلهم مترهون عن الشرك وعن التكذيب بشيء من الحق الذي بعث الله به نبيا قال تعالى : ﴿ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا

مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾
 [الزخرف: ٤٥] وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي

إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ﴿٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ
 وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
 الضَّلَالَةُ ﴾ [النحل: ٣٦] ^{٢٧}.

^{٢٧} انظر كتاب النبوات من ص ٤٢٢ ، ٤٣٢ .

الفرق بين دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ ودلائل نبوة غيره من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -

ليس المقصود هنا تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض ، أو تمييز نبي عن نبي ، فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - يصدق بعضهم بعضا ، ويؤيد بعضهم بعضا ، فأية كل نبي آية لجميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - . فالأنبياء جميعا يكمل بعضهم بعضا في الدعوة إلى الله والآيات والمعجزات التي أيد الله بها أنبياءه ، إنما أيد كل نبي بدلائل وآيات تتناسب مع ذلك الزمان ، والقوم المرسل إليهم ، فقوم موسى - عليه الصلاة والسلام - كانوا في السحر غاية ولم يكن أحد مثلهم في هذه الصنعة ، فأعطي موسى - عليه الصلاة والسلام - معجزة العصا وانقلابها إلى حية يناسب هذا الانقلاب ما يفعله السحرة من السحر في ذلك العصر ، وقوم عيسى - عليه الصلاة والسلام - برعوا في مهنة الطب فأيد عيسى - عليه الصلاة والسلام - من الآيات ما يناسب أفعالهم في هذه الصنعة فكان يبريء الأكمه والأبرص ، ويحيي الموتى بإذن الله تعالى ، ونبينا محمد ﷺ بعث إلى قوم كانوا أهل فصاحة وبيان ، فكان أن أنزل عليه القرآن فأخذ بألبابهم وعقولهم فعلموا أنه من عند حكيم خبير ، فأمن به من كتب له أن يكون من أهل السعادة ، وكفر من كتب عليه أن يكون من أهل الشقاوة .

والمقصود أن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قد أعطوا من الآيات ما يماثل بعضها بعضا ، ويشبه بعضها بعضا ، فعيسى - عليه الصلاة والسلام - كان يحيي الموتى ، وهذا وقع مع موسى - عليه الصلاة والسلام - عندما أحيا الميت من بني إسرائيل وأخبر بقاتله ، ووقع مع إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - عندما ذبح الطيور الأربعة وقطعها إلى أجزاء ، وجعل كل جزء على جبل فدعاهن فأتين إليه وهن يسعين ، وكذلك إنزال المن والسلوى ، على قوم موسى - عليه الصلاة والسلام - ، أنزل على قوم عيسى - عليه الصلاة والسلام - المائدة من السماء ، فإنزال المائدة يشبه إنزال المن والسلوى .

ونبينا محمد ﷺ أعطي من المعجزات ما يماثل هذه المعجزات ، وما يماثل غيرها للأنبياء قبله - عليهم الصلاة والسلام - بل ما هو أعظم وأجل منها كنبع الماء من بين أصابعه ، وكسلام الحجر عليه ، وتسبيح الحصى ، وكلام ذراع الشاة المصلية معه ، وشهادة الشجرة له بالرسالة ، وحنين الجذع إليه ، ففي حلول الحياة والإدراك في هذه الجمادات أعظم من إحياء الميت ، لأن الميت سبق أن كانت فيه حياة ، بخلاف حلول الحياة ، والإدراك في شيء ليست هي محلا لها ، أعظم في الإعجاز.

وكذلك إخباره بأمر غيبية بعيدة من زمانه ﷺ منها ما حدث ووقع ، ومنها ما نشاهده في زماننا ، ومنها ما لم يحدث بعد ، وسيحدث بإذن الله تعالى ، وهذا لم يكن لنبي غيره ﷺ ، فإخبار الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لأقوامهم بأمر غيبية لا تتعدى عن وقوع العذاب عليهم أن لم يؤمنوا ، أو إخبارهم ببعثته ﷺ . إلا ما كان من عيسى - عليه الصلاة والسلام - في إخباره لقومه بما يأكلون وما يدخرون وهي لا تتعدى ذلك المحل الذي هم فيه ، والزمان الذي يعيشون فيه.

لكن كل هذه المعجزات التي كانت لنبينا محمد ﷺ ، ولمن قبله من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كانت معجزات حسية مشاهدة بالأبصار ، فلم يشاهدها إلا من حضر في ذلك الزمان ، وانقرضت بانقراض زمانهم ، ومعجزة القرآن وهي أعظم معجزة كانت لنبينا محمد ﷺ مستمرة قائمة إلى يوم القيامة ، ومن يتبع نبينا محمد ﷺ لأجلها أكثر ممن شاهد المعجزات وقت وقوعها ، فلا يمر زمان من الأزمنة إلا ويظهر فيه للناس من الآيات ما يشهد لنبوته ورسالته ﷺ ، ويكون حجة عليهم في كل وقت وكل عصر كما قال: ((ما من نبي من الأنبياء إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكثرهم تابعا يوم القيامة))^{٢٨}. والله أعلم.

^{٢٨} سبق تخريجه.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة نوح - عليه الصلاة والسلام -

الباب الأول : دلائل نبوة أولي العزم من الرسل.

الفصل الأول : دلائل نبوة نوح - عليه الصلاة والسلام -.

سفينة نوح - عليه الصلاة والسلام - .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة نوح - عليه الصلاة والسلام -

الفصل الأول : دلائل نبوة نوح عليه السلام.

سفينة نوح - عليه الصلاة والسلام - .

قال تعالى : ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ

سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا

تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ

عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ [هود: ٣٨-٣٩]

قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره ويصنع نوح السفينة وكلما مر عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه يقول هزئوا من نوح ويقولون له أتحولت نجاراً بعد النبوة

وتعمل السفينة في البر فيقول لهم نوح ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا ﴾ إن هزءوا منا اليوم

فإننا نجزأ منكم في الآخرة كما هزءون منا في الدنيا ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾

إذا عاينتم عذاب الله من الذي كان إلى نفسه مسيئاً منا. ^{٢٩}

وقد دعاهم نوح - عليه الصلاة والسلام - بشتى الطرق والأساليب فلم ينفع معهم

، بل اهتموه بالجنون ، ولم يقبلوا منه شيئاً حتى شكا ذلك من أمرهم نوح إلى الله

تعالى كما قص الله علينا في كتابه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لِيلًا

وَنَهَارًا ﴿٥٠﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٥١﴾ [نوح: ٥٠-٥١] إلى آخر

القصة حتى قال ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكٰفِرِينَ

دِيَارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوْا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوْا إِلَّا فٰجِرًا

كَفٰرًا ﴿٢٧﴾ [نوح: ٢٦-٢٧] إلى آخر القصة فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله

^{٢٩} تفسير الطبري ٧ / ٣٤

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة نوح - عليه الصلاة والسلام -

واستنصره عليهم أوحى الله إليه ﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِينَا وَلَا
تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾ [هود: ٣٧] أي بعد
اليوم ﴿ إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴾ فلما أعلمه سبحانه بأن هلاك قومه سيكون بالغرق
أقبل نوح على عمل الفلك ، وجعل قومه يَمرون به وهو في ذلك من عمله فيسخر
منه ويستهزئون به فيقول لهم كما قال تعالى : ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا
نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود: ٣٨] فسوف تعلمون من يأتيه
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [هود: ٣٩-٣٨] أخذ
نوح عليه الصلاة والسلام - في عمل الفلك كما أمره الله حتى إذا فرغ منه ، وقد
عهد الله إليه إذا جاء أمرنا وفار التنور فاحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا
من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل ، وقد جعل فوران التنور آية
فيما بينه وبينه وبينه على بدء وقوع العذاب قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا
وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾
[هود: ٤٠] فلما فار التنور حمل نوح في الفلك من أمره الله وكانوا قليلاً - كما قال
الله - وحمل فيها من كل زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر ذكر وأنثى ، وتخلف
عنه أحد أبناءه ، وكان كافراً .
﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ بوقوع العذاب ﴿ وَفَارَ التَّنُّورُ ﴾ اختلفوا في
التنور: قال ابن عباس : إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء ، فإنه هلاك قومك^{٣٠}.
وقال عكرمة والزهري : هو وجه الأرض وذلك أنه قيل لنوح : إذا رأيت الماء فار
على وجه الأرض فاركب السفينة^{٣١}.

^{٣٠} انظر الدر المنثور ٥٩٦/٣

^{٣١} انظر تفسير البغوي ٣٨٣/٢

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة نوح - عليه الصلاة والسلام -

وروي عن علي - رضي الله عنه - أنه قال : فار التنور أي : طلع الفجر ونور الصبح^{٣٢} .

وقال الحسن ومجاهد والشعبي : أنه التنور الذي يجذب فيه^{٣٣} . وهو قول أكثر المفسرين . وذكر المفسرون في صفة سفينة نوح - عليه الصلاة والسلام - أقوالاً كثيرة لا تقوم على أصل من كتاب أو سنة ، وهي مأخوذة من أحاديث موضوعة ومن الأخبار الإسرائيلية التي يحجها الذوق السليم فمما ذكروا مما يمكن قبوله : أن نوحاً - عليه الصلاة والسلام - اتخذ السفينة في سنتين، وقيل في أربع سنين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً، وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فحمل في البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام، وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام، وفي البطن الأعلى جلس هو ومن كان معه مع ما احتاجوا إليه من الزاد.

وورد عن الحسن أنه قال : كان طولها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع. قال الفخر الرازي : واعلم أن أمثال هذه المباحث لا تعجبي لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها البتة ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلاً وكان الخوض فيها من باب الفضول لا سيما مع القطع بأنه ليس هاهنا ما يدل على الجانب الصحيح والذي نعلمه إنه كان في السعة بحيث يتسع للمؤمنين من قومه ولما يحتاجون إليه والحصول زوجين من كل حيوان، لأن هذا القدر مذكور في القرآن، فأما غير ذلك القدر فغير مذكور.^{٣٤}

^{٣٢} انظر الدر المنثور ٥٩٦/٣

^{٣٣} انظر تفسير البغوي ٣٨٣/٢

^{٣٤} انظر التفسير الكبير ٢٢٤،٢٢٣/١٧

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة نوح - عليه الصلاة والسلام -

وجه الإعجاز في سفينة نوح - عليه الصلاة والسلام -

أولاً: يظهر في دعاء نوح لربه عندما قال كما قال تعالى: ﴿إني مغلوبٌ فلتنصر﴾ استجاب الله - تعالى - له وأحدث له حدثاً ، لم يحدث على مر التاريخ مثله ، حيث حدث انقلابٌ كوني ، بأن فتحت السماء أبوابها بماءٍ منهمرٍ عظيم ، وتفجرت عيون الأرض حتى غطى الماء كل الأرض .

ثانياً: كون نوح - عليه السلام - يصنع هذه السفينة في البرية ، ولا ماء حولها استعداداً لنزول المطر من السماء ، وانفجار الأرض بالماء ، فهو معجزٌ ثانٍ .

ثالثاً: في وصف الله تعالى في الموج أنه كالجبال ، وهي تجري فيه بسرعة ، مع ضخامة هذه الأمواج ، وهذه حال لا يمكن لسفينة أن تجري فيه ، خصوصاً مع ارتفاع الأمواج وانخفاضها ، فهو معجزٌ ثالث .

رابعاً: تسخير الله سبحانه وتعالى لنوح - عليه السلام - أن يحمل في السفينة من كل زوجين اثنين ، ومع هذا لا يعدو بعضها على بعض ، مع اختلاف طباعها ، وخلقها ، فهو معجزٌ رابع .

خامساً: هلاك كل من على وجه الأرض ، والنجاة لمن هو على ظهر السفينة فقط فهو معجزٌ خامس .

سادساً: ابتلاع الأرض للماء حتى غاض ، مع أنه قد غطى الأرض معجزٌ سادس .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

الفصل الثاني: دلائل نبوة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - .
المبحث الأول: نجاة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - من النار .
المبحث الثاني : في إحياء الطيور الأربعة.

الفصل الثاني: دلائل نبوة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الأول: نجاة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - من النار.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبْدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِإِلٰهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُٗ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِإِلٰهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجِعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَقِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٨﴾ قُلْنَا
يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٢٦﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا
فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ [الأنبياء: ٥١-٧٠]

وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَبْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿١٧﴾
فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿١٨﴾ [الصفات: ٩٧-٩٨]

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ﴾ أي الرشد اللائق به وبأمثاله
من الرسل^{٣٥} . ومعنى ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي من قبل بلوغه . قال ابن كثير : أي من

صغره ألهمه الحق والحجة على قومه ، كما قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا
ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٨٣] وما يذكر من الأخبار عنه في إدخال أبيه له في

السرب وهو رضيع وأنه خرج بعد أيام فظفر إلى الكوكب والمخلوقات فتبصر فيها
وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم فعامتها أحاديث بني إسرائيل فما وافق منها الحق
مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقته الصحيح وما خالف شيئاً من ذلك رددناه وما
ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه بل نجعله وقفاً ، وما كان من هذا
الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته ، وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه
، ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين . ولو كانت فائدته تعود على المكلفين في
دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة^{٣٦} . انتهى .

﴿ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ بأنه أهل للرشد وأنه يصلح لذلك .

^{٣٥} انظر فتح القدير ٤١١/٣

^{٣٦} تفسير ابن كثير ١٨٢/٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾

﴿ أي الأصنام التي مثلتموها ونحتموها على صور مخلوقات الله سبحانه ، أنكر عليهم عبادتها . قال ابن كثير : هذا هو الرشد الذي أوتيته من صغره ، الإنكار على قومه في عبادة الأصنام من دون الله عز وجل^{٣٧} . انتهى .

﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴾ ﴿ فسلكنا سبيلهم في عبادتها ، لم

تكن لهم حجة سوى هذه ﴾ ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ

مُّبِينٍ ﴾ ﴿ أي في خسران واضح ظاهر لا يخفى على أحد ولا يلتبس على ذي عقل ، فإن قوم إبراهيم عبدوا الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر وليس بعد هذا الضلال ضلال ولا يساوي هذا الخسران خسران^{٣٨} . أبلغ من ضلالهم في الشرك ، وترك التوحيد .

﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴾ ﴿ أي أجاد أنت فيما تقول أم

أن كلامك لنا ، كلام لالعاب مازح ، وقولهم هذا على وجه الاستغراب فإنهم لم يسمعوا من قبل من يسفه عبادتهم وأصنامهم ﴾ ﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ ﴾ ﴿ أي خلقهن وأبدعهن ﴾ ﴿ وَأَنَا

عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿ بأن الذي خلق السموات والأرض هو

ربكم ، وهو الذي لا إله غيره ولا رب سواه .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ ﴾ ﴿ أقسم بالله أنه سيكسر

أصنامهم بمكيدة . ﴿ بَعْدَ أَنْ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ ﴿ أي تذهبوا عنها ، قال المفسرون

^{٣٧} تفسير ابن كثير ١٨٢/٣

^{٣٨} انظر فتح القدير ٤١٢/٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

: كان لهم عيد في كل سنة يجتمعون فيه فقالوا لإبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ، فلما كان ببعض الطريق ، قال : إني سقيم ، وقال سراً منهم هذه المقالة^{٣٩} .

وقوله ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾ أي فولوا فجعلهم كسراً وقطعاً ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ ﴾ أي إلا صنمهم الكبير ، فإنه تركه لمقصد سيبينه^{٤٠} ﴿ لَعَلَّهُمْ إِلِيهِ ﴾ أي

إلى إبراهيم ﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ فيحاجهم بما سيأتي فيحجهم وقيل لعلهم إلى الصنم الكبير يرجعون فيسألونه عن الكاسر لأن من شأن المعبود أن يرجع إليه في المهمات فإذا رجعوا إليه لم يجدوا عنده خيراً فيعلمون حينئذ أنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضرراً ولا تعلم بخير ولا شر ولا تخبر عن الذي ينوبها من الأمر^{٤١} .

﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ في الكلام حذف والتقدير فلما رجعوا من عيدهم ورأوا ما حدث بالهتيم من الإهانة والإذلال ، قالوا هذه المقالة ، والاستفهام للتوبيخ .

﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴾ أي سمعنا شاباً يعيهم ويذمهم ، ومن هذا شأنه لا يبعد أن يكون هو الذي حطمها .

﴿ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ ﴾ القائلون هم السائلون أمروا بعضهم أن يأتي به ظاهراً بمرأى من الناس .

ومعنى ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ لعلهم يحضرون عقابه حتى ينزجر غيره عن الاقتداء به في مثل هذا . وقيل : لعلهم يشهدون عليه بأنهم رأوه يكسر الأصنام أو لعلهم يشهدون طعنه على أصنامهم وجملة ﴿ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا

^{٣٩} انظر زاد المسير ٥ / ٣٥٧ وتفسير ابن كثير ٣ / ١٨٤ وفتح القدير ٣ / ٤١٣

^{٤٠} انظر تفسير السعدي ٥ / ٢٤١

^{٤١} انظر فتح القدير ٣ / ٤١٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

بِأَلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٤٢﴾ مستأنفة جواب سؤال مقدر وفي الكلام حذف تقديره

فجاء إبراهيم حين أتوا به فاستفهموه هل فعل ذلك لإقامة الحجّة عليه في زعمهم^{٤٢}.

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ أي قال إبراهيم مقيما للحجة عليهم

مبكتا لهم بل فعله كبيرهم هذا مشيرا إلى الصنم الذي تركه ولم يكسره ، غضب أن

تعبد معه الصغار فكسرها ، ولهذا قال : ﴿ فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا

يَنْطِقُونَ ﴾ قال الشوكاني : أي إن كانوا ممن يمكنه النطق ويقدر على الكلام

ويفهم ما يقال له ، فيجيب عنه بما يطابقه ، أراد عليه الصلاة والسلام أن يبين لهم أن

من لا يتكلم ولا يعلم ليس بمستحق للعبادة ، ولا يصح في العقل أن يطلق عليه أنه إله

. فأخرج الكلام مخرج التعريض لهم بما يوقعهم في الاعتراف بأن الجمادات التي

عبدوها ليست بألهة ، لأنهم إذا قالوا : إنهم لا ينطقون ، قال لهم : فكيف تعبدون

من يعجز عن النطق ، ويقصر عن أن يعلم بما يقع عنده في المكان الذي هو فيه ؟

فهذا الكلام من باب فرض الباطل مع الخصم حتى تلزمه الحجّة ويعترف بالحق ، فإن

ذلك أقطع لشبهته وأدفع لمكابرتة^{٤٣}. انتهى.

﴿ فَارْجِعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي رجعت إليهم عقولهم ، وعلموا أنهم في ضلال

لعبادتهم من لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الإضرار بمن فعل به ما فعله

إبراهيم بتلك الأصنام يستحيل أن يكون مستحقا للعبادة. ولهذا ﴿ فَقَالُوا إِنَّكُمْ

أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ الظالمون ﴾ أي قال بعضهم لبعض أنتم الظالمون لأنفسكم بعبادة

هذه الجمادات ، فحصل المقصود ، ولزمتهم الحجّة بإقرارهم أن ما هم عليه باطل.

^{٤٢} انظر فتح القدير ٣ / ٤١٤

^{٤٣} انظر فتح القدير ٣ / ٤١٤

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ﴾ أي انقلبوا على إبراهيم يحتجون عليه بعد أن أقرؤا له ، ولاموا أنفسهم في تمته^{٤٤} .

ثم قالوا بعد أن نكسوا رؤوسهم مخاطبين لإبراهيم ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ أي قائلين لإبراهيم لقد علمت أنما لا تنطق . فقال إبراهيم موجهاً لهم : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا ﴾ إن عبدتموه ﴿ وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ إن تركتموه . فقال لما ألزمهم بالحجة ﴿ أَقِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ أي قدرأ لكم ، ما أضلكم ، وما أحسكم أنتم وما عبدتم ، قال هذا تحقيراً لهم وللمعبوداتهم .

﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ أي ما لكم عقول تفكرون بها فتعلمون قبح عبادتكم . فلما ألزمهم بالحجة ، وأفحمهم بالمقال ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ أي انتقموا لآلهتكم بأشد القتل بالإحراق ، إن كنتم ناصرين لها .

﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ في الكلام حذف تقديره فأضرموا النار وذهبوا بإبراهيم إليها فعند ذلك قلنا يا نار كوني ذات برد وسلام ، وذلك أنهم شرعوا يجمعون حطباً من جميع ما يمكنهم من الأماكن ، فمكثوا مدة يجمعون له ، ثم عمدوا إلى جوبة^{٤٥} عظيمة فوضعوا فيها ذلك الحطب وأطلقوا فيه النار ، فاضطربت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر لم ير مثله قط ، ثم أخذوا

^{٤٤} انظر زاد المسير ٥ / ٣٦٥

^{٤٥} الجوبة : الحفرة ، والمكان الوطيء في جلد القاموس المحيط مادة : جوب ص ٨٩

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

يقيدونه ويكتفونه ، ثم ألقوه إلى النار فقال حسبنا الله ونعم الوكيل، كما روى البخاري^{٤٦} عن ابن عباس أنه قال: .

﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في

النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ

فَاخْشَوْهُمْ فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ ١٧٣ ﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهْمُ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا

رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ [آل عمران: ١٧٣-١٧٤]

وأخرج ابن أبي شيبة^{٤٧} عن عبد الله بن عمرو قال: أول كلمة قالها إبراهيم حين ألقى في النار حسبنا الله ونعم الوكيل.

وروى البخاري عن أبي الضحى عن ابن عباس قال: كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار: حسبي الله ونعم الوكيل^{٤٨}.

وأخرج ابن جرير عن معتمر بن سليمان التيمي عن بعض أصحابه قال: جاء جبريل إلى إبراهيم وهو يوثق ليلقى في النار قال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا.^{٤٩}

وأخرج ابن جرير عن أرقم أن إبراهيم عليه السلام قال: حين جعلوا يوثقونه ليلقوه في النار: " لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك

٥٠١١

وقال أبو يعلى: حدثنا أبو هشام الرفاعي حدثنا إسحاق بن سلمان، عن أبي جعفر الرازي، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول

^{٤٦} في صحيحه في كتاب التفسير ، باب : إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ. ١٦٦٢/٤

^{٤٧} في المصنف ٧٦/٦

^{٤٨} في صحيحه في كتاب التفسير ، باب : إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ. ١٦٦٢/٤

^{٤٩} انظر تفسير الطبري ٤٤/١٠

^{٥٠} انظر تفسير الطبري ٤٥/١٠

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

الله ﷻ ((لما ألقى إبراهيم في النار قال: اللهم إنك في السماء واحد، وأنا في الأرض واحد أعبدك))^{٥١}.

ويروى عن ابن عباس^{٥٢} وسعيد بن جبير^{٥٣} أنه قال: جعل ملك المطر يقول: متى أوامر فأرسل المطر؟ فكان أمر الله أسرع ﴿ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴾

قال علي بن أبي طالب: بردت عليه حتى كادت تؤذيه، حتى قيل: ﴿ وَسَلَامًا ﴾ قال: لا تؤذيه.^{٥٤}

وقال ابن عباس وأبو العالية: لولا أن الله قال: ﴿ وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴾ لآذى إبراهيم بردها.^{٥٥}

وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة قال: قال كعب: ما انتفع أحد من أهل الأرض يومئذ بنار ولا أحرقت النار يومئذ شيئا إلا وثاق إبراهيم. وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير^{٥٦} وابن المنذر عن كعب قال: ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه.

^{٥١} قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ٢٠٢: رواه البزار وفيه عاصم بن عمر بن حفص وثقه ابن حبان وقال بخطي وبخالف وضعفه الجمهور ، وانظر كشف الأستار ٣ / ١٠٣ حديث رقم ١٢١٦ قال الذهبي: غريب جدا . وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٣ / ٣٦٠ حديث رقم ١٢١٦ ضعيف ، لأن فيه علتين ، الأولى : أبو جعفر قال الحافظ : صدوق سيء الحفظ . الثانية : أبو هشام ، قال الحافظ : ليس بالقوي ، قال البخاري : رأيتهم مجمعين على ضعفه . انظر البداية والنهاية ١ / ١٣٨ .

^{٥٢} أخرجه ابن أبي حاتم انظر الدر المنثور ٤ / ٥٧٩ .

^{٥٣} أخرجه ابن جرير انظر الدر المنثور ٤ / ٥٧٩ .

^{٥٤} أخرجه ابن جرير والفريابي وابن أبي شيبة انظر الدر المنثور ٤ / ٥٧٩ .

^{٥٥} أخرجه ابن أبي حاتم والفريابي انظر الدر المنثور ٤ / ٥٨١ .

^{٥٦} انظر تفسير الطبري ١٠ / ٤٤ .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

وقال السدي: كان معه أيضاً ملك الظل، وصار إبراهيم عليه السلام في ميل الجوبة حوله النار وهو في روضة خضراء، والناس ينظرون إليه لا يقدرّون على الوصول إليه، ولا هو يخرج إليهم.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: إن أحسن شيء قاله أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار وحده يرشح جبينه فقال عند ذلك: نعم الرب ربك يا إبراهيم.^{٥٧}

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبيرة قال: لما ألقى إبراهيم خليل الرحمن في النار قال الملك خازن المطر: يا رب إن خليلك إبراهيم رجا أن يؤذن له فيرسل المطر فكان أمر الله أسرع من ذلك فقل: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ فلم يبق في الأرض نار إلا طفتت.^{٥٨}

وأخرج الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير^{٥٩} وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لو لم يتبع بردها ﴿وَسَلَامًا﴾ لمات إبراهيم من بردها فلم يبق في الأرض يومئذ نار إلا طفتت ظنت أنها هي تعنى.

وأخرج الفريابي وابن أبي شيبه وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر عن علي في قوله: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ قال: لولا أنه قل: ﴿وَسَلَامًا﴾ لقتله بردها.

وأخرج ابن أبي حاتم عن شمر بن عطية قال: لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار نادى الملك الذي يرسل المطر: رب خليلك رجا أن يؤذن له فيرسل المطر فقال الله: ﴿

^{٥٧} المصدر نفسه

^{٥٨} المصدر نفسه

^{٥٩} المصدر نفسه

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴿﴾ فلم يبق في الأرض يومئذ نار إلا بردت.

وأخرج أحمد في الزهد وعبد بن حميد من طريق أبي هلال عن بكر بن عبد الله المزني قال : لما أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النارِ جاءت عامة الخليفة فقالت : " يا ربُّ خليلك يلقى في النار فأذن لنا نطفئ عنه . قال : هو خليلي ليس لي في الأرض خليل غيره وأنا إلهه ليس له إله غيري فإن استغاثكم فأغيثوه وإلا فدعوه " قال : وجاء ملك القطر قال : " يا ربُّ خليلك يلقى في النار فأذن لي أن أطفئ عنه بالقطر. قال : هو خليلي ليس لي في الأرض خليل غيره وأنا إلهه ليس له إله غيري فإن استعان بك فأعنه وإلا فدعه "

قال : فلما ألقى في النار دعا بدعاء نسيه أبو هلال فقال الله عز وجل : ﴿ يَنَارُ

كُونِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴿﴾

قال : فبردت في المشرق والمغرب فما أنضجت يومئذ كراعاً.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال : يذكرون أن جبريل كان مع إبراهيم في النار يمسخ عنه العرق.

وأخرج الفريابي وابن أبي شيبه وابن جرير عن علي بن أبي طالب في قوله : ﴿ قُلْنَا

يَنَارُ كُونِي بَرْدًا ﴿﴾ قال : بردت عليه حتى كانت تؤذيه حتى قيل : ﴿ وَسَلَّمًا

﴿﴾ قال : لا تؤذيه.

وأخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : لو لم يقل : ﴿ وَسَلَّمًا ﴿﴾ لقتله

البرد.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

وأخرج ابن جرير عن أبي العالية في قوله: ﴿ قُلْنَا يَنْارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا

﴾ قال: السلام لا يؤذيه بردها ولولا أنه قال: ﴿ وَسَلَامًا ﴾ لكان البرد أشد

عليه من الحر. ٦٠

وقوله: ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴾

وفي الآية الأخرى: قال تعالى: ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ

الْأَسْفَلِينَ ﴾

أي مكرًا ، ورددنا مكرهم عليهم فجعلنا لهم عاقبة السوء كما جعلنا لإبراهيم عاقبة
الخير.

أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: ألقوا شيخا في النار منهم لأن يصيوا نجاته
كما نجا إبراهيم فاحترق. ٦١

قال قتادة: لم تأت دابة يومئذ إلا أطفأت عنه النار إلا الوزغ.

روى البخاري، عن سعيد بن المسيب، عن أم شريك، أن رسول الله ﷺ أمر بقتل
الوزغ، وقال: ((كان ينفخ على إبراهيم)) ٦٢

وقال أحمد: حدثنا محمد بن بكر، حدثنا ابن جريج، أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن
بن أبي أمية، أن نافعا مولى ابن عمر أخبره أن عائشة أخبرته أن رسول الله ﷺ قال
: ((اقتلوا الوزغ فإنه كان ينفخ النار على إبراهيم)) قال: فكانت عائشة تقتلهن. ٦٣

وقال أحمد: حدثنا عفان، حدثنا جرير، حدثنا نافع، حدثني سائبة مولاة الفاكه بن
المغيرة، قالت: دخلت على عائشة فرأيت في بيتها رمحا موضوعا، فقلت: يا أم
المؤمنين.. ما تصنعين بهذا الرمح؟ قالت: هذا لهذه الأوزاغ نقتلن به، فإن رسول الله

٦٠ انظر تفسير الطبري ٤٤/١٠

٦١ انظر تفسير الطبري ٤٤/١٠

٦٢ في صحيحه في كتاب الأنبياء، باب: قول الله تعالى { واتخذ الله إبراهيم خليلا } ١٢٢٦/٣ ، ومسلم

٤/١٧٥٧ من حديث ابن جريج، وعبد بن حميد ص ٤٥٠

٦٣ المسند ٢٠٠/٦ وانظر الفتح الرباني ٢٠/١٦

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

ﷺ حدثنا: ((أن إبراهيم حين ألقى في النار لم يكن في الأرض دابة ألا تطفئ عنه النار، غير الوزغ كان ينفخ عليه، فأمرنا رسول الله ﷺ بقتله))^{٦٤}.

^{٦٤} المسند ١٠٩، ٨٣/٦ ، ورواه ابن ماجه ١٠٧٦/٢ قال الألباني في صحيح ابن ماجه ٢١٨/٢ صحيح .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

وجه الإعجاز في نجاة إبراهيم من النار.

إن الله - عز وجل - عندما خلق الخلق ، جعله يمشي على قوانين وسنن ثابتة لا تتغير إلا بمشيئته سبحانه ، وأودع في خلقه خصائص متباينة تبين عظمة الله وقدرته ، ولكن عندما استمر الإنسان على مشاهدة الانتظام والميزان الثابت في الكون الذي لا يتغير تحبظ في قبول المتغيرات التي تطرأ عليه ، وهذا التغير يحدثه الله رحمة بالعباد حتى يعودوا إليه بالتوبة والاستغفار ، ومن هذه الثواب والخصائص التي أودعها الله سبحانه وتعالى في مخلوقاته ، جعل خاصية الإحراق في النار ، وهو بقدرته يسلب هذه الخصائص إذا شاء ويبدلها ، وما نجاة سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - إلا من هذا الباب ، حيث سلب سبحانه وتعالى من النار خاصية الإحراق ، وأودع فيها خاصية البرد . والله أعلم.

قال سيد قطب - رحمه الله - (... المشهود المعروف أن النار تحرق الأجسام الحية ؟ فالذي قال للنار : كوني حارقة . هو الذي قال لها : كوني بردا وسلاما . وهي الكلمة الواحدة التي تنشيء مدلولها عند قولها كيفما كان هذا المدلول . مألوف للبشر أو غير مألوف . إن الذين يقيسون أعمال الله سبحانه إلى أعمال البشر هم الذين يسألون : كيف كان هذا ؟ وكيف أمكن أن يكون ؟ فأما الذين يدركون اختلاف الطبيعتين ، واختلاف الأدوات ، فإنهم لا يسألون أصلا ، ولا يحاولون أن يخلقوا تعليلا . علميا أو غير علمي . فالمسألة ليست في هذا الميدان أصلا . ليست في ميدان التعليل والتحليل بموازين البشر ومقاييس البشر . وكل منهج في تصور مثل هذه المعجزات غير منهج الإحالة إلى القدرة المطلقة هو منهج فاسد من أساسه ، لأن أعمال الله غير خاضعة لمقاييس البشر وعلمهم القليل المحدود .

إن علينا فقط أن نؤمن بأن هذا قد كان ، لأن صانعه يملك أن يكون . أما كيف صنع بالنار فإذا هي برد وسلام ؟ وكيف صنع بإبراهيم فلا تحرقه النار .. فذلك ما سكت عنه النص القرآني لأنه لا سبيل إلى إدراكه بعقل البشر المحدود . وليس لنا سوى النص القرآني من دليل)^{٦٥}.

^{٦٥} في ظلال القرآن ٤/١٢٨٧، ١٢٨٨

المبحث الثاني : في إحياء الطيور الأربعة.

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۗ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُونَ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۗ قَالَ فَاخْذُ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ [البقرة: ٢٦٠]

اختلف المفسرون على أقوال في السبب الذي من أجله طلب إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - أن يريه ربه سبحانه وتعالى كيف يحيي الموتى ، وبعضها لا تخرج عن كونها من الإسرائيليات ، فمنهم من قال : كانت مسألته ذلك ربه عند البشارة التي أتته من الله بأنه اتخذه خليلاً فسأل ربه أن يريه عاجلاً العلامة له على ذلك ليطمئن قلبه بأنه قد اصطفاه لنفسه خليلاً ويكون ذلك لما عنده من اليقين مؤيداً.

وقال آخرون : بل كان سبب مسألته ربه ذلك المناظرة والمحااجة التي جرت بينه وبين نمرود في ذلك وهذا القول أخرجه ابن جرير بسنده^{٦٦} عن محمد بن إسحاق قال : لما جرى بين إبراهيم وبين قومه ما جرى مما قصه الله في سورة البقرة ، قال نمرود فيما يذكرون لإبراهيم أرايت إلهك هذا الذي تعبد وتدعو إلى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو قال له إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود أنا أحيي وأميت فقال له إبراهيم كيف يحيي ويميت ثم ذكر ما قص الله من محاجته إياه قال : فقال إبراهيم عند ذلك : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۗ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُونَ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۗ ﴾ من غير شك في الله تعالى ذكره ولا في قدرته ولكنه أحب أن يعلم ذلك وتاق إليه قلبه فقال ليطمئن قلبي أي ما تاق إليه إذا هو علمه.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

ومنهم من قال : قال ذلك لربه لأنه شك في قدرة الله على إحياء الموتى ، وهذا القول جاء عن ابن عباس وعطاء.

عن ابن جريج قال سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمَ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ قال دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمَ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ ﴾ ليريه.^{٦٧}

عن ابن عباس أنه قال لعبد الله بن عمرو بن العاص : أي آية في القرآن أرحى عندك ؟ فقال : قول الله : ﴿ ... يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣] فقال ابن عباس : لكن أنا أقول : قول الله لإبراهيم ﴿ أُولِمَ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ ﴾ فرضي من إبراهيم بقوله بلى فهذا لما يعترض في الصدور ويوسوس به الشيطان.^{٦٨}

قال : وأولى هذه الأقوال في تفسير الآية ما صح به الخير عن رسول الله ﷺ أنه قال وهو قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم قال رب أريني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن وأن تكون مسألته ربه ما سأله أن يريه من إحياء الموتى لعارض من الشيطان عرض في قلبه.^{٦٩}

^{٦٧} انظر تفسير الطبري ٤٩/٣

^{٦٨} أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم في المستدرک ١٢٨/١ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

^{٦٩} انظر تفسير الطبري ٥٠/٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

ومعنى قوله تعالى: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ليزداد يقيني قاله سعيد بن جبير و الضحاك وقتادة.^{٧٠}

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: نحن أحق بالشك من إبراهيم قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِم تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في

السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي.^{٧١}

قال ابن حجر في فتح الباري : أخرج بن أبي حاتم من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة قال : المراد ليطمئن قلبي أنهم يعلمون إنك تحيي الموتى . وقيل معناه : أقدرني على أحياء الموتى فتأدب في السؤال . وقال بن الحصار : إنما سأل أن يحيي الله الموتى على يديه فلماذا قيل له في الجواب : فصرهن إليك . وحكى ابن التين عن بعض من لا تحصيل عنده أنه أراد بقوله قلبي رجلا صالحا كان يصحبه سأله عن ذلك وأبعد منه ما حكاه القرطبي المفسر عن بعض الصوفية أنه سأل من ربه أن يريه كيف يحيي القلوب وقيل أراد طمأنينة النفس بكثرة الأدلة وقيل محبة المراجعة في السؤال .

ثم اختلفوا في معنى قوله ﷺ نحن أحق بالشك فقال بعضهم : معناه : نحن أشد اشتياقا إلى رؤية ذلك من إبراهيم وقيل معناه إذا لم نشك نحن إبراهيم أولى أن لا يشك أي لو كان الشك متطرقا إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به منهم وقد علمتم أي لم أشك فاعلموا أنه لم يشك ، وإنما قال ذلك تواضعا منه ، أو من قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل من إبراهيم وهو كقوله في حديث أنس عند مسلم أن رجلا قال للنبي ﷺ يا خير البرية ، قال : (ذاك إبراهيم).

^{٧٠} المصدر نفسه

^{٧١} أخرجه البخاري في صحيحه ١٢٣٣/٣ في كتاب : الأنبياء ، باب : قوله عز وجل : ﴿ ونبئهم عن ضيف

إبراهيم ﴾ ومسلم ١٣٣/١ في الإيمان ، باب : زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة . وأحمد ٣٢٦/٢ ، وابن

حبان ٨٨/١٤ وابن ماجه ١٣٣٥/٢ ، وأبو عوانه ٨٠/١

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

وقيل : إن سبب هذا الحديث أن الآية لما نزلت قال بعض الناس شك إبراهيم ولم يشك نبينا ، فبلغه ذلك ، فقال : (نحن أحق بالشك من إبراهيم) وأراد ما جرت به العادة في المخاطبة لمن أراد أن يدفع عن آخر شيئاً ، قال مهما أردت أن تقوله لفلان فقله لي ومقصوده لا تقل ذلك.

وقيل : أراد بقوله نحن أمته الذين يجوز عليهم الشك وإخراجه هو منه بدلالة العصمة.

وقيل : معناه هذا الذي ترون أنه شك أنا أولى به لأنه ليس بشك إنما هو طلب لمزيد البيان وحكى بعض علماء العربية أن أفعل ربما جاءت لنفي المعنى عن الشئين نحو قوله تعالى : ﴿ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ ﴾ [الدخان: ٣٧] أي لا خير في الفريقين ونحو قول القائل : الشيطان خير من فلان أي لا خير فيهما فعلى هذا فمعنى قوله : (نحن أحق بالشك من إبراهيم) لا شك عندنا جميعاً.

وقال ابن عطية : ترجم الطبري في تفسيره فقال : وقال آخرون : شك إبراهيم في القدرة ، وذكر أثر ابن عباس وعطاء.

قال : ابن عطية ومحمل قول ابن عباس عندي أنها أرجى آية لما فيها من الإدلال على الله وسؤال الأحياء في الدنيا ، أو لأن الإيمان يكفي فيه الإجمال ولا يحتاج إلى تنقيح وبحت. قال : ومحمل قول عطاء دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس أي من طلب المعاينة.

قال : وأما الحديث فمبني على نفي الشك والمراد بالشك فيه الخواطر التي لا تثبت وأما الشك المصطلح وهو التوقف بين الأمرين من غير مزية لأحدهما على الآخر فهو منفي عن الخليل قطعاً لأنه يبعد وقوعه ممن رسخ الإيمان في قلبه فكيف بمن بلغ رتبة النبوة. قال : وأيضاً فإن السؤال لما وقع بكيف دل على حال شيء موجود مقرر عند السائل والمسئول كما تقول كيف علم فلان فكيف في الآية سؤال عن هيئة الأحياء لا عن نفس الأحياء فإنه ثابت مقرر.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

وقال ابن الجوزي : إنما صار أحق من إبراهيم لما عانى من تكذيب قومه وردهم عليه وتعجبهم من أمر البعث فقال أنا أحق أن أسأل ما سأل إبراهيم لعظيم ما جرى لي مع قومي المنكرين لإحياء الموتى ولمعرفتي بتفضيل الله لي ولكن لا أسأل في ذلك .
قوله : ﴿ قَالَ أَوْلَمَ تُوْمِنَ ۗ ﴾ الاستفهام للتقرير ووجهه أنه طلب الكيفية وهو مشعر بالتصديق بالإحياء .

قوله : ﴿ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۗ ﴾ أي ليزيد سكوناً بالمشاهدة المنضمة إلى اعتقاد القلب لأن تظاهر الأدلة أسكن للقلوب ، وكأنه قال أنا مصدق ولكن للعيان لطيف معنى .

وقال عياض : لم يشك إبراهيم بأن الله يحيى الموتى ، ولكن أراد طمأنينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الأحياء فحصل له العلم الأول بوقوعه ، وأراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته ، ويحتمل أنه سأل زيادة اليقين وإن لم يكن في الأول شك لأن العلوم قد تتفاوت في قوتها فأراد الترقى من علم اليقين إلى عين اليقين والله أعلم^{٧٢} .

وقال البغوي : حكى محمد بن إسحاق بن خزيمة عن أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني أنه قال على هذا الحديث : لم يشك النبي ﷺ ولا إبراهيم في أن الله قادر على أن يحيى الموتى وإنما شكوا في أنه هل يجيئهما إلى ما سألا .

وقال أبو سليمان الخطابي : ليس في قوله (نحن أحق بالشك من إبراهيم) اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم ولكن فيه نفي الشك عنهما بقول : إذا لم أشك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فإبراهيم أولى بأن لا يشك ، وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس ، وكذلك قوله : (لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي) وفيه الإعلام أن المسألة من إبراهيم عليه السلام لم تعرض من جهة الشك ولكن من قبل زيادة العلم بالعيان ، فإن العيان يفيد من المعرفة والطمأنينة مالا يفيد الاستدلال .

^{٧٢} فتح الباري ٤١٢/٦ ، ٤١٣ ،

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

وقيل : لما نزلت هذه الآية قال قوم : شك إبراهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله ﷺ هذا القول تواضعا منه وتقديما لإبراهيم على نفسه.^{٧٣}

قوله تعالى : ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ ﴾

عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ قال إنما هو مثل . قال قطعهن ثم اجعلن في أرباع الدنيا ربعا هاهنا وربعا هاهنا ثم ادعهن يأتينك سعيًا.

وعن مجاهد : ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ انتفهن بريشهن ولحومهن تمزيقا ثم اخلط لحومهن بريشهن.

عن قتادة : ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ أمر نبي الله عليه السلام أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن.

عن قتادة في قوله : ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ قال : فمزقهن ، قال أمر أن يخلط الدماء بالدماء والريش بالريش ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا.

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾

اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ

جُزْءًا ﴾

^{٧٣} تفسير البغوي ١ / ٢٤٨

فقال بعضهم يعني بذلك على كل ربع من أرباع الدنيا جزءاً منهم.

وعن ابن عباس قال : اجعلهن في أرباع الدنيا ربعا هاهنا ، وربعا هاهنا ، وربعا هاهنا وربعا هاهنا ، ثم ادعهن يأتينك سعيًا .

عن قتادة قال أمر نبي الله أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن ثم يجزئهن على أربعة أجبل فذكر لنا أنه شكل على أجنحتهن وأمسك برؤوسهن بيده فجعل العظم يذهب إلى العظم والريشة إلى الريشة والبضعة إلى البضعة وذلك بعين خليل الله إبراهيم ، ثم دعاهن فأتينه سعيًا على أرجلهن ويلقي كل طير برأسه . وهذا مثل آتاه الله إبراهيم ، يقول كما بعث هذه الأطيوار من هذه الأجل الأربعة كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الأرض ونواحيها .

عن الربيع قال : ذبحهن ثم قطعهن ثم خلط بين لحومهن وريشهن ثم قسمهن على أربعة أجزاء فجعل على كل جبل منهن جزءًا فجعل العظم يذهب إلى العظم والريشة إلى الريشة والبضعة إلى البضعة وذلك بعين خليل الله إبراهيم ثم دعاهن فأتينه سعيًا يقول : شدًا على أرجلهن.^{٧٤}

قال ابن جرير: وأولى التأويلات بالآية ما قاله مجاهد وهو أن الله تعالى ذكره أمر إبراهيم بتفريق أعضاء الأطيوار الأربعة بعد تقطيعه إياهن على جميع الأجل التي كان يصل إبراهيم في وقت تكليف الله إياه تفريق ذلك وتبديدها عليها أجزاء لأن الله تعالى ذكره قال له : ﴿ ثُمَّ أَجْعَلُ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ والكل حرف يدل على الإحاطة بما أضيف إليه لفظه واحد ومعناه الجمع . فإذا كان ذلك كذلك فلن يجوز أن تكون الجبال التي أمر الله إبراهيم بتفريق أجزاء الأطيوار الأربعة عليها خارجه من أحد معنيين : إما أن تكون بعضاً أو جمعاً ؛ فإن كانت بعضاً فغير جائز أن يكون ذلك البعض إلا ما كان لإبراهيم السبيل إلى تفريق أعضاء الأطيوار الأربعة عليه ، أو يكون جمعاً ، فيكون أيضاً كذلك.

وقد أخبر الله تعالى ذكره أنه أمره بأن يجعل ذلك على كل جبل ، وذلك إما كل جبل وقد عرفهن إبراهيم بأعيانهن ، وإما ما في الأرض من الجبال.

^{٧٤} انظر تفسير الطبري ٥٧/٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

فأما قول من قال : إن ذلك أربعة أجبل ، وقول من قال : هن سبعة فلا دلالة عندنا على صحة شيء من ذلك فنستجيز القول به ، وإنما أمر الله إبراهيم ﷺ أن يجعل الأطيوار الأربعة أجزاء متفرقة على كل جبل ليري إبراهيم قدرته على جمع أجزاءهن وهن متفرقات متبددات في أماكن مختلفة شتى ، حتى يؤلف بعضهن إلى بعض ، فيعدن كهيئتهن قبل تقطيعهن وتمزيقهن ، وقبل تفريق أجزاءهن على الجبال أطيارا أحياء يطرن فيطمئن قلب إبراهيم ، ويعلم أن كذلك يجمع الله أوصال الموتى لبعث القيامة ، وتأليفه أجزاءهم بعد البلى ، ورد كل عضو من أعضائهم إلى موضعه كالذي كان قبل الرد.

والجزء من كل شيء هو البعض منه كان منقسما جميعه عليه على صحة أو غير منقسم فهو بذلك من معناه مخالف معنى السهم ، لأن السهم من الشيء : هو البعض المنقسم عليه جميعه على صحة ، ولذلك كثر استعمال الناس في كلامهم عند ذكرهم أنصباؤهم من الموارث السهام دون الأجزاء.

وأما قوله : ﴿ ثُمَّ أَدْعُهُنَّ ﴾ فإن معناه ما ورد عن مجاهد أنه قال : هو أنه أمر أن يقول لأجزاء الأطيوار بعد تفريقهن على كل جبل تعالين بإذن الله.

فإن قال قائل أمر إبراهيم أن يدعوهن وهن ممزقات أجزاء على رؤوس الجبال أمواتا ، أم بعد ما أحيين ، فإن كان أمر أن يدعوهن وهن ممزقات لا أرواح فيهن ، فما وجه أمر من لا حياة فيه بالإقبال ، وإن كان أمر بدعائهن بعد ما أحيين ، فما كانت حاجة إبراهيم إلى دعائهن ، وقد أبصرهن ينشرن على رؤوس الجبال ؟

قيل : إن أمر الله تعالى ذكره إبراهيم ﷺ بدعائهن وهن أجزاء متفرقات إنما هو أمر تكوين ، كقول الله للذين مسحهم قرده بعد ما كانوا إنسا ﴿ كُونُوا قِرَدَةً

خَاسِيِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥] لا أمر عبادة فيكون محالا إلا بعد وجود الملموم

المتعبد^{٧٥}.

^{٧٥} تفسير الطبري ٣ / ٦٠٠٥٩

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

وجه الإعجاز في إحياء الطيور الأربعة.

وجه الإعجاز في هذه الآية ظاهر ؛ فسلب الحياة من هذه الطيور الأربعة بذبحها وتقطيعها وتمزيقها ، وخلط لحومهن ودمائهن ، وريشهن ، ثم تفريقها ، وتبديدها على أجبل ، ثم بعد كل هذا التبديد والتفريق ، واختلاط الأعضاء ، تجتمع كأن لم يكن بها ذبح ، ولا تقطيع ولا تفرق ، وتقبل ساعية إلى إبراهيم كأنها لم تكن ميتة قبل. والله أعلم.

الفصل الثالث : دلائل نبوة موسى - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الأول : في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾

المبحث الثاني : إزالة العقدة من لسانه.

المبحث الثالث : في عصا موسى - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الرابع : في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴾

[الشعراء: ٣٣] (معجزة اليد).

المبحث الخامس : وعد موسى - عليه الصلاة والسلام - لقومه بأن

العاقبة لهم على القبط.

المبحث السادس : الطمسة.

المبحث السابع : انفلاق البحر لبني إسرائيل.

المبحث الثامن : في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴾

المبحث التاسع : في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾

المبحث العاشر : في أنواع العذاب الذي نزل على القبط .

المبحث الحادي عشر : في نتق الجبل.

المبحث الثاني عشر: في الغمام الذي ظلل به بنو إسرائيل .

المبحث الثالث عشر : في المن والسلوى المترلة على بني إسرائيل .

المبحث الرابع عشر : ميت بني إسرائيل.

المبحث الخامس عشر : في قول نبينا محمد ﷺ عن موسى - عليه الصلاة

والسلام - : ((ثوبي حجر)) .

الفصل الثالث : دلائل نبوة موسى - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الأول : في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۗ٦٦ ﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۗ٦٧ ﴾ [الإسراء: ١٠١-١٠٣]

وفي سورة النمل قال تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۗ١٢ ﴾ [النمل: ١٢]

ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن أشياء كثيرة من معجزات موسى - عليه الصلاة والسلام - .

أحدها: أن الله تعالى أزال العقدة من لسانه.

وهو قوله تعالى : ﴿ وَأَحْلَلُّ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۗ٢٧ ﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿ طه: ٢٧-٢٨ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَيَضْبِقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَرُونَ ۗ١٣ ﴾ [الشعراء : ١٣]

وثانيها: انقلاب العصا حية. وتلقفها لحبال وعصي السحرة.

^{٦٦} مسحوراً: أي (ساحراً) انظر تفسير ابن كثير ٧٠/٣

^{٦٧} أي هالكاً ، وقبل : ملعوناً ، أو مغلوباً ، والهالك يشمل هذا كله . تفسير ابن كثير ٧١ / ٣

وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّوْا عَلَيَّهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمْوَسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [طه: ١٧-٢١]

وقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ [طه: ٦٩]

وثالثها: معجزة اليد وأما صارت بيضاء من غير سوء.

قال تعلق: ﴿ وَأَضْمَمُ يَدَكَ إِلَيَّ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بِيضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ ﴾ [طه: ٢٢-٢٣]

ورابعها: الوعد بالعاقبة لقومه على القبط .

وهو قوله تعالى: ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٩]

خامسها: أخذ آل فرعون بالسنين ونقص الثمرات .

وهو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَّصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٠]

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

سادسها : في أنواع العذاب الذي نزل على القبط ، وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.

وهو قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءآيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا

مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ [الأعراف: ١٣٣]

سابعها: شق البحر.

وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ

فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ [البقرة: ٥٠]

ثامنها: انفجار الحجر بالماء.

وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ

بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ

أُنَاسٍ مِّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي

الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ [البقرة: ٦٠]

وقوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا

إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ

فَأَنبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مِّشْرَبَهُمْ ﴿٦٠﴾

[الأعراف: ١٦٠]

تاسعها : إظلال الجبل.

وهو قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧١]

والعاشر والحادي عشر: الغمام ، وإنزال المن والسلوى عليه وعلى قومه.

وهو قوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٧]

وقوله تعالى: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٠]

والثاني عشر: الطمس على الأموال ، والشد على القلوب.

وهو قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَآئِهِ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ [يونس: ٨٨]

والثالث عشر: إحياء ميت بني إسرائيل .

وهو قوله تعالى: ﴿ فَقلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٣]

فالذي ورد ذكره في القرآن من الآيات التي أيد بها موسى - عليه الصلاة والسلام - هذه المعجزات الأربعة عشر وقال تعالى في آية الإسراء: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا

مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ [الإسراء: ١٠١] وفي آية النمل ﴿ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [النمل: ١٢]

[النمل: ١٢] وتخصيص التسعة بالذكر لا يقدر فيه ثبوت الزائد عليها ، أو ربما المراد بالتسع ما كان لفرعون وقومه دون غيرهم من بني إسرائيل . أما هذه التسعة فقد اتفق أهل العلم على سبعة منها وهي : العصا ، واليد ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم وبقي الاثنان ولكل واحد من المفسرين قول آخر فيهما^{٧٨} . وكل الأقوال الواردة في عد التسع الآيات ليس لها مستند صحيح ، إنما هي اجتهاد من المفسرين. والله أعلم.

^{٧٨} انظر التفسير الكبير ٢١/٦٤ ، وتفسير الطبري ١٧١/١٧٢

المبحث الثاني: في إزالة العقدة من لسان موسى - عليه الصلاة والسلام

قال تعالى: ﴿ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ ﴾

[طه: ٢٧-٢٨] ذكر المفسرون^{٧٩} - رحمهم الله - عند تفسير هذه الآية أن موسى

- عليه الصلاة والسلام - كان في لسانه رتة ، وسببها أن فرعون قد وضع موسى في حجره وهو صغير فجر لحية فرعون بيده فهم بقتله ، فقالت له آسية : إنه لا يعقل ، وسأريك بيان ذلك ؛ قدم إليه جمرتين ولؤلؤتين ، فإن اجتنب الجمرتين عرفت أنه يعقل ، فأخذ موسى جمرة فوضعها في فيه فأحرقت لسانه وصار فيه عقدة فسأل حلها ليفهموا كلامه .

وهذا الخبر ذكره معظم المفسرين ، وكأنهم تلقوه بالقبول ، مع أنه من الأخبار الإسرائيلية ، ولم يثبت بخبر صحيح ، وفيه قدح في جناب الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لأنه يلصق في موسى - عليه الصلاة والسلام - أنه صاحب عاهة في لسانه تجعله عاجزا عن الكلام ، وهذه صفة نقص لو كان يتصف بها ، تجعل لفرعون وغيره طريقا في الطعن في نبوة موسى - عليه الصلاة والسلام - والله أعلم .

والذي يظهر لي أن طلب موسى - عليه الصلاة والسلام - إحلال العقدة من لسانه مرتبط بطلبه شرح صدره ، فالعقدة التي في لسانه سببها صدره ، فهو عندما يعتريه شيء من الخوف والاضطراب وتردد النفس في الصدر ، هذه الحالة الإنفعالية تكون سببا في احتباس اللسان وعدم الانطلاق في الكلام ، ويؤيد هذا ما ورد في قوله تعالى

: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا

يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ١٢-١٣] فخوف

موسى - عليه الصلاة والسلام - من تكذيب فرعون له قد يكون سببا في ضيق

^{٧٩} انظر تفسير السمرقندي ٢ / ٣٣٩ ، وزاد المسير ٥ / ٢٨١ ، وأبي السعود ٦ / ١٢ ، والبيضاوي ٤١٥ ،

وغيرهم .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

صدره ، وإذا ضاق صدره تعسر الكلام ، وهذا معنى عدم انطلاقه . وأشار إلى مثل هذا المعنى الفخر الرازي^{٨٠} ، وقد نبه على هذه الحالة التي تعترى الصدر الطاهر بن عاشور - رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية حيث قال : الضيق : ضد السعة ، وهو هنا مستعار للغضب والكمد لأن من يعتريه ذلك يحصل له انفعال وينشأ عنه انضغاط الأعصاب في الصدر والقلب من تأثير الإدراك الخاص على جمع الأعصاب الكائن بالدماغ الذي هو المدرك فيحس بشبه امتلاء في الصدر..... والمعنى : أنه يأسف ويكمد لتكذيبهم إياه ويجيش في نفسه روم إقناعهم بصدقه ، وتلك الخواطر إذا خطرت في العقل نشأ منها إعداد البراهين ، وفي ذلك الإعداد تكلف وتعيب للفكر فإذا أبانها أحس بارتياح وبشبه السعة في الصدر فسمي ذلك شرحاً للصدر ، ولذلك سأله موسى في الآية الأخرى قال : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾

[طه: ٢٥] . انتهى^{٨١} .

وهذا كان سبباً من الأسباب التي جعلت موسى - عليه الصلاة والسلام - أن يسأل الله - عز وجل - أن يرسل معه أخاه هارون قال تعالى : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص: ٣٤] أي : لا يعتريه من الحال مثل الذي يعتريني من ضيق الصدر حين يكذبونني . فإذا بلغ هارون معه ذهب ما يحصل له من الحبسة. والله أعلم.

^{٨٠} في التفسير الكبير ٢٤ / ١٢٢

^{٨١} التحرير والتنوير ٩ / ١٠٦

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وجه الإعجاز في إزالة العقدة من لسان موسى - عليه الصلاة والسلام
سبق أن ذكر وجه العقدة والحبسة التي في لسان موسى - عليه الصلاة والسلام - ،
وبين أن قول من قال بأنها رتة بسبب الجمرة التي وضعها في فيه ليس بوجيه ،
ويظهر إذا أن الإعجاز في هذه الآية إنما هو في استجابة دعاء موسى - عليه الصلاة
والسلام - وزوال هذه الحالة التي تصيبه عند الحجاج والمجادلة قال تعالى : ﴿ قَالَ

قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٣٦] والله أعلم.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

المبحث الثالث : عصا موسى - عليه الصلاة والسلام - .

لم يعط نبي من الأنبياء بعد نبينا محمد ﷺ من المعجزات مثل ما أعطي موسى - عليه الصلاة والسلام - وذلك لأنه بعث إلى قوم معاندين جبلوا على المخالفة والعناد ، فأيده الله - عز وجل - بآيات وبراهين عظيمة دالة على صدق ما جاء به . وأعظم هذه الآيات معجزة العصا ، التي بعث بها إلى فرعون دليلا وحجة عليه .

وكان أول شأن لموسى - عليه الصلاة والسلام - مع العصا حصل بعد أن قضى الأجل المتفق عليه مع صهره شعيب ، اشتاق إلى أهله فخرج بأهله من مدين متوجها إلى مصر ، وفي الطريق في ليلة مظلمة قد تاه هو ومن معه من أهله عن الطريق المألوف رأى في جانب جبل الطور في الجانب الغربي نارا ، فقال لأهله امكثوا إنني آنست نارا ، ولعله والله أعلم رآها دونهم ، قال ابن كثير : وكأنه - والله أعلم - رآها دونهم ، لأن هذه النار هي نور في الحقيقة ، ولا يصلح رؤيتها لكل أحد. انتهى.^{٨٢} قال تعالى مخبرا عن هذا الحدث العظيم مع موسى - عليه الصلاة

والسلام - ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ

جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي

ءَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ

مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَلْمُوسَىٰ إِنَّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾

[القصص: ٢٩-٣٠] وقال سبحانه : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١﴾ إِذْ

رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا

^{٨٢} البداية والنهاية ١ / ٢٣٠

بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى
 ﴿١٢﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٣﴾
 وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٤﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٥﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ
 أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٦﴾ فَلَا يَصُدُّكَ

عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٧﴾ ﴿طه: ٩-١٦﴾

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنست نارا سأتكم

منها بخبر أو آتكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون ﴾ ﴿١٧﴾

فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحن

الله رب العالمين ﴿١٨﴾ يَمْوَسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٩﴾ ﴿النمل: ٧-٩﴾

وهذه من أعظم المنن على موسى - عليه الصلاة والسلام - أن كلمه

الله - العزيز الجبار - تقدست أسماؤه . ثم قال مخاطبا له ومؤنسا له بسؤاله عن ما في

يمينه قال تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ﴾ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ

أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ

أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴿طه: ١٧-١٨﴾ والسؤال هنا - والله أعلم - لتنبه موسى -

عليه الصلاة والسلام - أنه سيكون لهذه العصا التي في يده شأن عظيم ، وقد أورد

ابن الجوزي أجوبة أخرى غير ما ذكرت فقال - رحمه الله - :

فإن قيل ما الفائدة في سؤال الله تعالى له وما تلك بيمينك وهو يعلم فعنه جوابان :

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

أحدهما : أن لفظه لفظ الاستفهام ومجراه مجرى السؤال ليجيب المخاطب بالإقرار به فتثبت عليه الحجة باعترافه فلا يمكنه الجحد هذا قول الزجاج فعلى هذا تكون الفائدة أنه قرر موسى أنها عصا لما أراد أن يريه من قدرته في انقلابها حية فوق المعجز بها بعد التثبيت في أمرها.

والثاني : أنه لما أطلع الله تعالى على ما في قلب موسى من الهيبة والإجلال حين التكليم أراد أن يؤانسسه ويخفف عنه ثقل ما كان فيه من الخوف فأجرى هذا الكلام للاستئناس . حكاه أبو سليمان الدمشقي^{٨٣} . انتهى .

وقال ابن كثير : وقد تكلف بعضهم لذكر شي من تلك المآرب التي أهتمت ، فقيل : كانت تضيء بالليل ، وتحرس له الغنم إذا نام ، ويغرسها فتصير شجرة تظله ، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة ، والظاهر أنها لم تكن كذلك ، ولو كانت كذلك لما استنكر موسى - عليه الصلاة والسلام - صيرورتها ثعبانا ، فما كان يفر منها هاربا ، ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية^{٨٤} . انتهى .

ثم أمره الله عز وجل بإلقائها فقال : ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ﴾ ﴿١٦﴾ فَأَلْقَاهَا

فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿١٧﴾ [طه: ١٩-٢٠] قال السعدي - رحمه الله - :

وفي وصفها بأنها تسعى ، إزالة لوهم يمكن وجوده ، وهو يظن أنها تخييل لا حقيقة^{٨٥} . انتهى . وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا

رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾ [القصص: ٣١] أي قد صارت حية عظيمة لها

ضخامة هائلة ، وهي مع ذلك في سرعة حركة الجان ، وهو نوع من الحيات ، قال في لسان العرب^{٨٦} : أكحل العينين يضرب إلى الصفرة لا يؤدي . ونقل عن الزجاج

^{٨٣} انظر زاد المسير ٥ / ٢٧٨

^{٨٤} تفسير ابن كثير ٤ / ٥٠٠

^{٨٥} تفسير السعدي ٥ / ١٥١

^{٨٦} ٩٧ / ١٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

: أن العصا صارت تتحرك كما يتحرك الجان حركة خفيفة ، وصارت في صورة
ثعبان وهو العظيم من الحيات. انتهى. فهي بهذه الهيئة قد جمعت الضخامة والسرعة
الشديدة. فلما رآها موسى - عليه الصلاة والسلام - على هذه الهيئة المفزعة أصابه
من الخوف والفرع ما ينوب الناس عادة في مثل هذا الحال فما كان منه إلا أن ولى
هاربا قال تعالى في وصف حال موسى عند الهرب ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ
يُعَقِّبْ ﴾ أي ولم يلتفت، فناداه الله - عز وجل - قائلا له ﴿ يَمْوَسَىٰ
أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴾ [القصص: ٣١] فلما رجع ،
أمره الله تعالى أن يمسكها ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا
الْأُولَىٰ ﴾ [طه: ٢١]

المطلب الثاني : الحكمة من قلب العصا حية.

الحكمة في قلب العصا حية في ذلك الوقت قد تظهر لنا من عدة أوجه :
أحدها : أن السحر في أهل مصر في الوقت الذي بعث فيه موسى - عليه الصلاة والسلام - كان منتشرًا في ذلك الزمان ، وكان من حكمة الله - عز وجل - أن أجرى على يد موسى - عليه الصلاة والسلام - معجزة تحاكي ذلك النوع الذي برعوا فيه ، فكانت معجزته شبيهة بالسحر ، وإن كانت مخالفة للسحر في الحقيقة. فإذا كان هذا الأمر الذي بلغوا فيه الغاية من الخدق والبراعة ، والذي لا يتغلب عليهم فيه أحد ، قد غلبوا فيه غلبا يبين فيه عجزهم وخذلانهم أمام هذه الآية العظيمة ، فهم في غيرها أعجز .

وثانيها: أن الفزع الشديد الذي أصاب موسى - عليه الصلاة والسلام - حينما رأى انقلاب العصا إلى حية عظيمة ففر منها كان كالتدريب له ، قبل أن يلقي فرعون وقومه من تقوية لقلبه ، وثبات نفسه ، فلو وقع أمام فرعون وقومه وحصل أن هرب موسى - عليه الصلاة والسلام - كان فيه مجال لفرعون وقومه أن يطعنوا في المعجزة ، وفي هذه الحالة لم يحصل المقصود ، فكان إظهار المعجزة لموسى - عليه الصلاة والسلام - قبل وقتها المراد تهيئة له ، حتى يأتي وهو ثابت القلب قوي النفس ، وبهذا يتحقق المقصود من المعجزة ، ويعلم فرعون وسحرته أنها ليست من جنس ما عندهم من السحر.

وثالثها: قاله الطاهر بن عاشور : أن إبراز انقلاب العصا حية في خلال المحاورة لقصد تثبيت موسى - عليه الصلاة والسلام - ، ورفع الشك عن أن يتطرقه لو أمره بذلك دون تجربته^{٨٧}. انتهى.

^{٨٧} التحرير والتنوير ١٦ / ٢٠٤

المطلب الثالث : التوفيق بين قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [طه: ٢٠] وقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَرُ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ [القصص: ٣١] وقوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٧]

قال في موضع حية وفي موضع ثان جان وفي آخر ثعبان ، أما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير، وأما الثعبان والجان فبينهما تناف لأن الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفيه وجهان:

أحدهما: أنها كانت وقت انقلابها حية صغيرة دقيقة ثم تورمت وتزايد جرمها حتى صارت ثعبانا فأريد بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها.

والثاني: أنها كانت في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان، والدليل عليه قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَرُ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾^{٨٨} صريح في أنه تعالى شبهها بالجان ولم

يقول إنه في نفسه جان، فلا يكون هذا مناقضا لكونه ثعبانا بل شبهها بالجان من حيث الاهتزاز والحركة لا من حيث المقدار، فهي في غاية الكبر ، وفي غاية سرعة الحركة. وفي تفسير البيضاوي قال : سماها جانا تارة نظرا إلى المبدأ ، و ثعبانا مرة باعتبار المنتهى ، و حية أخرى بالاسم الذي يعم الحاليين^{٨٩}. انتهى.

(ويمكن أن يقال عند التأمل في هذه الآيات يرى أن لفظي الحية والجان ذكرتا في موقف المناجاة وابتداء النبوة حينما نادى الله - تعالى - موسى - عليه الصلاة والسلام - في البقعة المباركة من الشجرة ، وقبل أن يذهب إلى لقاء فرعون . ولفظ

^{٨٨} انظر التفسير الكبير ٢٨/٢٢

^{٨٩} تفسير البيضاوي ص ٤١٥

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

التعبان ذكر عند لقاء موسى - عليه الصلاة والسلام - فرعون ومحاجته ومجادلته وإبلاغه الرسالة^{٩٠}. والله أعلم.

المطلب الرابع : في وقوع التحدي بها .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾
قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٣﴾
وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٤﴾
وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٥﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا
بِأَيَّتِنَا أَنَا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٦﴾ فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠-١٧]

وقال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِأَيَّتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِيهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٣٢﴾
وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٤﴾ حَقِيقٌ
عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٣-١٠٥]

^{٩٠} ما بين القوسين ذكره الدكتور أمين باشا في المناقشة.

وقال تعالى : ﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾^(٤٢)
 أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ
 يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ
 أَنْ يَطَّغَى ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾
 فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا
 تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ
 الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَن كَذَّبَ
 وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٤٩﴾ ﴿طه: ٤٢-٤٩﴾

يتجلى في هذه الآيات الأمر الرباني الكريم الموجه إلى موسى - عليه الصلاة والسلام -
 - بأن يذهب هو وأخوه هارون إلى فرعون وملئه ودعوته لعبادة الله - عز وجل -

ولأنه طغى واستكبر وأفسد في الأرض قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي
 الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ
 أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٤٩)

[القصص: ٤] - وتذبيح الأبناء واستحياء النساء فيه من أساليب القهر والتجبر على
 العباد ما لا يخفى من الإذلال والإهانة والإحتقار - وتجاوز الحد في الطغيان والظلم

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾^(٥٠) [الدخان: ٣١] أي :

رفيع الطبقة من بين المسرفين ، فائقا لهم بليغا في الإسراف . قاله أبو السعود^{٩١}

^{٩١} في تفسيره ٦٣/٨

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

والناظر في كتاب الله - سبحانه - يلمح في الكلام عن فرعون وقومه ألفاظ تتجاوز عن الحد قد ذكرت في آيات متعددة مثل: الفسق ، الإسراف ، الإفساد ، الطغيان ، الظلم ، ولا تتجاوز أعظم من أن يدعي إنسان لنفسه الألوهية قال تعالى : ﴿ وَقَالَ

فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صِرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ [القصص: ٣٨] بل وادعى

لنفسه الربوبية ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٤١﴾ [النازعات: ٢٤] وبهذا الإدعاء الباطل الظالم جعل لنفسه حقا مشروعاً في استعباد بني إسرائيل قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤١﴾ [القصص: ٤٤] وقال تعالى حكاية عن موسى في رده

على فرعون عندما أخذ يعدد على موسى من الزائفة: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا

عَلَى أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ [الشعراء: ٢٢] قال ابن الجوزي : أي اتخذتم عبيدا ... واختلف العلماء في تفسير الآية ، ففسرها قوم على الإنكار ، قال أو تلك نعمة؟! على طريق الإستفهام ... وأما من فسرها على الإقرار ، فإنه قال :

عدها موسى نعمة حيث رباه ولم يقتله ، ولا استعبده. أنتهى.^{٩٢}

وقال ابن كثير: ما أحسنت إلي وربيتني مقابل ما أسأت إلي بني إسرائيل فجعلتهم عبيدا وخدموا تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيتك ، أفيفي إحسانك إلي رجل منهم

^{٩٢} زاد المسير ٦/١٢٠، ١٢١ باختصار.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

بما أسأت إلى مجموعهم؟! أي ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلى ما فعلت بهم. انتهى^{٩٣}. ومع هذا التجبر والبطر، وبلوغ الغاية في الكفر والعصيان أمر الله -

عز وجل - موسى وهارون أن يخاطبا فرعون بلطف ولين قال تعالى: ﴿فَقُولَا

لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ﴿طه: ٤٤﴾ والقول اللين

ذكره سبحانه وتعالى في سورة النازعات قال تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن

تَزَكَّى﴾ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ ﴿النازعات: ١٨-١٩﴾

وهذا مروى عن ابن عباس ذكره عنه ابن الجوزي مع عدة أقوال لعل هذا

أرجحها.^{٩٤} فهي دعوة في صورة عرض ومشورة^{٩٥} والله سبحانه علم أنه لا يتذكر ولا

يخشى، ولكن تبث الرسل حتى لا تكون هناك حجة لمن كفر وعاند.

لم يخف موسى وهارون - عليهما الصلاة والسلام - خوفهما من فرعون أن

يبادرهما بالعقوبة، ويتجاوز الحد في الإساءة إليهما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّنَا

إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى﴾ ﴿طه: ٤٥﴾ فأتاهم

الجواب الرباني الكريم بأنه معهما بالنصر والعون، يسمع المحاورة وما يجري بينهم،

ويرى ما يفعل فرعون. وما يجب قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي

مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿طه: ٤٦﴾

ذهب موسى وهارون - عليهما الصلاة والسلام - إلى فرعون بتكاليف وأوامر

يبلغانها له فبدأ الحور بين فيه موسى - عليه الصلاة والسلام - بأنه رسول من

^{٩٣} تفسير ابن كثير ٣/٣٢٢

^{٩٤} انظر زاد المسير ٥/٢٨٧

^{٩٥} انظر تفسير البضاوي ٤١٦

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

رب العالمين قال تعالى : ﴿ فَآتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ ﴾ [طه: ٤٧-٤٨]

وفي سورة الأعراف قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٤-١٠٥] لم يكن عند فرعون استعداد لقبول الحق فواجه موسى - عليه السلام - بالتكذيب شأنه شأن مكذبي الرسل على مر العصور ، فقال له موسى - عليه السلام - ﴿ حَقِيقٌ عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ قرأ نافع حقيق علي بالتشديد . وقرأ الباقون بتخفيف علي . فمن قرأ بالتخفيف فمعناه واجب علي أن لا أقول ، أي : واجب أن أترك القول على الله إلا الحق . ومن قرأ بالتشديد معناه واجب علي ترك القول على الله إلا الحق ، أي : لا أقول على الله إلا الحق.^{٩٦} وكذب اللعين موسى - عليه الصلاة والسلام - لأنه دعاه للإيمان بالله ، وهذا فيه تكذيب له بأنه إله ، وأمره بأن يرسل معه بني إسرائيل ولا يعذبهم ، وهذا ربما يكون أول أمر يسمعه فرعون يوجه إليه ، وفيه تحطيم لكبريائه.

^{٩٦} انظر تفسير السمرقندي ٥٥٩/١ وتفسير البغوي ١٨٥/٢

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

ومعنى قوله سبحانه ﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ ليس يعني به التحية ، وإنما معناه : أن من اتبع الهدى ، سلم من عذاب الله وسخطه. قاله الزجاج^{٩٧}.

وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ أدب من موسى وهارون - عليهما الصلاة والسلام - حيث توجهها إليه بهذا الخطاب ، ولم يقلوا له : أن لم تؤمن وتصدق فإنك تستحق العذاب. ومع كل هذا التلطف واللين ، والدعوة الحسنة ، قابلها فرعون بالتكذيب والاستهزاء ، وأخذ هو ومن معه من الملائمة أتباعه بالضحك من موسى قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٦-٤٧]

وأخذ فرعون يعدد على موسى من الزائفة التي عملها معه قال تعالى : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الشعراء: ١٨-٢٢] أي أما أنت الذي

^{٩٧} انظر زاد المسير ٢٩٠/٥

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

ربنا طفلا رضيعا وأحسنا إليه زمنا طويلا ، وقابلت هذه النعمة بالجحود وقتلت منا نفسا وفررت منا ، ودافع موسى عن نفسه وقال : إني قتلت النفس خطأ ، وعلمت بأنكم لن تقبلوا عذري فهربت لما خفتكم ، فوهب لي ربي النبوة فضلا منه ومنة.

ونعمك هذه التي تمنها علي لو أنك لم تقتل أبناء بني إسرائيل لكفلي أهلي ، وكانت أمتي تستغني عن قذفي في اليم ، فكأنك تمن علي بما كان بلاؤك سببا له^{٩٨}.

لما استغلق باب الحوار أمام فرعون ورأى أنه قد أفحم من موسى اتجه في الحوار إلى طريق آخر ، يرى أن فيه إفحاما لموسى وهو أن يسأله وما رب العالمين لأنهم كلنوا يجحدون الله سبحانه ، ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون قال تعالى : ﴿ قَالَ

فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى ﴾ [٥١] قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ

خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [٥٢] قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾ [٥٣] قَالَ

عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ [٥٤] الَّذِي

جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾ [٥٥]

[طه: ٤٩-٥٣] وقال تعالى في سورة الشعراء : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ

الْعَالَمِينَ ﴾ [٥٦] قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ

كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ [٥٧] قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ [٥٨] قَالَ

رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴾ [٥٩] قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ

^{٩٨} انظر زاد المسير ١٢١/٦

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٨]

قال ابن كثير : يقول تعالى مخبرا عن كفر فرعون وتمرده وطغيانه وجحوده في قوله

﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ وذلك أنه كان يقول لقومه : ﴿ مَا عَلِمْتُ

لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ ﴾ وكانوا

يبحدون الصانع جل وعلا ويعتقدون أنه لا رب لهم سوى فرعون فلما قال له

موسى إني رسول رب العالمين قال له فرعون ومن هذا الذي تزعم أنه رب العالمين

غيري . هكذا فسره علماء السلف وأئمة الخلف ، حتى قال السدي : هذه الآية

كقوله تعالى : ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴾ ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي

أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ومن زعم من أهل المنطق

وغيرهم أن هذا سؤال عن الماهية فقد غلط فإنه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسأل عن

الماهية بل كان جاحدا له بالكلية فيما يظهر وإن كانت الحجج والبراهين قد قامت

عليه ، فعند ذلك قال موسى لما سأله عن رب العالمين ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ أي خالق جميع ذلك ومالكة والمتصرف فيه وإله لا

شريك له هو الذي خلق الأشياء.^{٩٩}

عندما سمع فرعون الإجابات المفحمة من موسى والمقنعة لكل من سمعها ، حتى

أخرس ولم يستطع الاستمرار في هذا الحوار ، عمد إلى التهكم والسخرية ، والتفت

إلى من حوله من أشراف قومه وقال ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ أي ألا تعجبون من

جعل لكم إلهًا غيري . لم يتوقف موسى - عليه الصلاة والسلام - بل استمر في

^{٩٩} تفسير ابن كثير ٣/٣٣٣ باختصار

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

إقامة الحجج عليهم على سياق جوابيه السابقين ، وزيادة في البيان فقال ﴿

رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أي خالقكم وخالق آبائكم الأولين قبل

وجود فرعون وقبل أن يوجد ﴿ قَالَ ﴾ أي فرعون لقومه لما خاف من تأثير

موسى عليهم ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ أي إن

هذا كلام من لا عقل له ، بطريق التعجب والاستهزاء ، وصدا لقومه عن قبول كلامه ، قال أبو السعود : سماه رسولا بطريق الاستهزاء ، وأضافه إلى مخاطبيه ترفعا من أن يكون مرسلا إلى نفسه^{١٠٠} . ﴿ قَالَ ﴾ أي موسى لما أعرض فرعون عن

جوابه ، ونسب الجنون إليه لأولئك القوم الذين أورد عليهم فرعون الشبه فأجاب

موسى بقوله ﴿ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ

تَعْقِلُونَ ﴾ أي إن كنتم أصحاب عقول لم يخف عليكم ما أقول لكم.

ولما غلب فرعون وانقطعت حججه عدل إلى استعمال أساليب شتى لصرف

الناس عن كلام موسى ، فسبق أن اتهمه بالجنون ، وفي قوله تعالى : ﴿ قَالَ لِنِ

أَتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ ﴿

[الشعراء: ٢٩]

لجأ إلى استعمال القوة والسلطة وتهديد موسى بالسجن ، وهذا عندما تحقق عنده عجزه أمام حجج موسى ومقارنته لها.

ولما أحس أن مكانته وهيبته قد حط منها عمد إلى لجأ آخر فقال كما قال تعالى :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾

^{١٠٠} تفسير أبو السعود ٢٣٩/٦

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

فَأَوْقِدْ لِي يَهْلَمُنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أُطَّلِعُ إِلَى
إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لِأُظْهِرُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ [القصص: ٣٨]

أراد بقوله هذا أن يطعن في موسى وأنه كاذب في ادعائه أن في السماء إله.

وعمد إلى أن يظهر - بزعمه - فضله على موسى - عليه الصلاة والسلام - فنأدى

في قومه مستعليا بباطله كما قال تعالى : ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ

يَنْقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي

أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ

يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ

الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ [الزخرف: ٥١-٥٣]

أورد عليهم هذه الشبه التي لا تروج إلا على ضعفاء العقول ، لأنه استخف عقولهم

كما قال تعالى : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا

فَلْسِقِينَ ﴿٥٤﴾ [الزخرف: ٥٤]

وبعد كل هذا الجدل الباطل ، والشبه الزائفة التي تكلم بها فرعون ، والتهديد

والوعيد قال له موسى - عليه الصلاة والسلام - كما قال تعالى : ﴿ قَالَ

أُولَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصَّادِقِينَ ﴿٦١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ ﴿

[الشعراء: ٣٠-٣٢] أي شيء يوضح صدق دعواي ، وبرهان واضح على رسالتي ،

وهذه الآية كقوله تعالى في سورة الأعراف ﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ﴿١٧﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ

ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾ [الأعراف: ١٠٦-١٠٧] أي ثعبانا حقيقة، لاثخيلًا كفعل

السحرة . قال أبو السعود: ظاهر أمره لايشك في كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة ، وإيثار الجملة الإسمية ، للدلالة على كمال سرعة الانقلاب ، وثبات وصف الثعبانية فيها.^{١١} انتهى.

وقد سبق ذكر أول ما تحولت العصا حية لموسى - عليه الصلاة والسلام - وانقلابها إلى ثعبان في مجلس فرعون هي المرة الثانية التي يظهرها الله - سبحانه وتعالى - لموسى - عليه الصلاة والسلام - على هذه الحالة ، والأولى أمام فرعون وملئه ، وسيأتي ذكر المرة الثالثة التي تنقلب فيه إلى ثعبان أمام فرعون والسحرة ومن حضر من الناس في ذلك الزمان هذه الآية العظيمة.

ولم يرد في القرآن الكريم أن تحولت عصا موسى - عليه الصلاة والسلام - حية في غير هذه المواضع الثلاثة ، إلا أنه سيرد ذكر أن للعصا مع موسى - عليه الصلاة والسلام - أحوالا أخرى مثل انفلاق البحر بها ، وانفجار الحجر بالماء.

عندما شاهد فرعون - لعنه الله - هذه الحالة العجيبة ، والمعجزة الباهرة من تحول

العصا إلى ثعبان قال على سبيل الإنكار والتكذيب لهذه الآية كما قال تعالى : ﴿

قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ

أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ ؕ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ [الشعراء: ٣٤-٣٥] عندما سمع

الملأ من قوم فرعون مقالته تبعوه فيها شأنهم شأن الناعقين الذين يبيعون دينهم

بدينياهم ، فقالوا كما قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ

^{١١} تفسير أبو السعود ٣ / ٢٥٨

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١١٠﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ

فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١١﴾ [الأعراف: ١٠٩-١١٠] فهم لم يتكلموا إلا بعده

وتبعوه في مقالته ، وهذا هو المعنى الذي يظهر لي في المناسبة بين الآيتين. والله أعلم.

ومعنى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ أي عالم بالسحر ماهر

فيه. قاله النسفي^{١٠٢}.

وفي قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾ وجه اللعين الخطاب

للقيط ، وموسى - عليه الصلاة والسلام - إنما سأله أن يخرج بني إسرائيل ، لأنه

استعبدهم ، واتخذهم في الأعمال سخرة كما قال تعالى ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي

إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾ ليشير فيهم الحمية والعصبية حتى يكونوا عوناً له في

مواجهة موسى - عليه الصلاة والسلام -- وقال لهم ﴿ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾

جعلهم أصحاب مشورة ، مع أنه في الحقيقة كان لا ينظر إليهم إلا على أنهم عبيد

عنده ، فمتى كانوا أصحاب مشورة لربهم بزعمه؟! لكنه شعر بأن مكانته وادعائه

للربوبية قد سقطت ، فألقى إليهم هذا الكلام حتى يبقوا تحت أمره ، ويرفع من

معنوياتهم الوضيعة وهذا من الاستخفاف بهم ، فأشاروا عليه بما يروونه أنه رد

للاعتبار والمكانة الزائفة فقالوا كما قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ

فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٢﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٣﴾

[الأعراف: ١١١-١١٢] وفي سورة الشعراء قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ

^{١٠٢} في تفسيره ٦٩ / ٢

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وَأَبَعْتُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾

﴿الشعراء: ٣٦-٣٧﴾ أشاروا عليه أن يؤخر أمرهما ، ويبعث الشرط في مدائن مصر ، ويأتوا بكل ساحر فائق في صناعة السحر . قال السمرقندي في قوله تعالى : ﴿ قَالَوَأَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ يعني أحبسهما ولا تقتلها ، وأصله في اللغة التأخير ، أي : أخر أمرهما حتى تجتمع السحرة فيغلبوهما ، فإنك إن قتلتها قبل أن يظهر حالهما يظن الناس أنهما صادقان فإذا تبين كذبهما عند الناس فاقتلها حينئذ. انتهى. ١٠٣

في سورة الشعراء قرىء على رواية واحدة ﴿ سَحَّارٍ ﴾ ، وفي سورة الأعراف قرىء على روايتين ﴿ سَحْرٍ ﴾ و ﴿ سَحَّارٍ ﴾ على وجه المبالغة في السحر ١٠٤ .
ومن تدبير الله - عز وجل - استجاب فرعون لهذه المشورة لعل الغلبة تكون للسحرة فتسقط حجة موسى فقال كما قال تعالى : ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلِنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾

﴿طه: ٥٧-٥٨﴾ أكد الكلام مرة أخرى ليوهم أتباعه بأن موسى ليس مراده أنجليه بني إسرائيل ، بل إخراج القبط من وطنهم ، حتى لا يتبعه أحد منهم ، ويكونوا عوناً له على موسى ، وسمى هذه المعجزة العظيمة سحراً ليجرئهم على مدافعتها ، وادعى أنه يعارضها بمثل ما جاء به موسى - عليه الصلاة والسلام - فقال : ﴿ فَاجْعَلْ

١٠٣ تفسير السمرقندي ١ / ٥٥٩

١٠٤ انظر حجة القراءات ٢٩١ وزاد المسير ٣ / ٢٣٩

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ ﴿ أَي : اجعل بيننا

وبينك وعدا لا نخلف هذا الوعد لا نحن ولا أنت . قال ابن الجوزي: أي اضرب بيننا وبينك أجلا وميقاتا^{١٠٥} . وقال أبو السعود^{١٠٦} : إنما فوض اللعين أمر الوعد إلى موسى - عليه الصلاة والسلام - للاحتراز عن نسبته إلى ضعف القلب وضيق المجال ، وإظهار الجلادة ، وإراءة أنه متمكن من هئية أسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال الأمد أم قصر. انتهى.

ومعنى ﴿ مَكَانًا سَوِيًّا ﴾ أَي : لا يجاوزه مكانا سوى ذلك المكان.^{١٠٧} قال أبو

عبدة : هو اسم للمكان النصف فيما بين الفريقين ، والمعنى : مكانا تستوي مسافته على الفريقين ، فتكون مسافة كل فريق إليه كمسافة الفريق الآخر.^{١٠٨}

حدد موسى - عليه الصلاة والسلام - الزمان والمكان فقال كما قال تعالى : ﴿

قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ ﴾ [طه: ٥٩] اختلف المفسرون - رحمهم الله -

في هذا اليوم فقيل : هو يوم عيد لهم ، وقيل : يوم عاشوراء ، وقيل : يوم النيروز :

وقيل : يوم سوق لهم .^{١٠٩} والمعنى أنه يوم عظيم عندهم يكون فيه اجتماع كبير

للناس في ذلك الوقت ، وعين موسى - عليه الصلاة والسلام - هذا الوقت ؛

ليشاهد آيات الله أكبر عدد من الناس ، وحتى يشيع الخبر في أرجاء البلاد بسرعة.

قال أبو السعود : وإنما خصه عليه الصلاة والسلام بالتعيين لإظهار كمال قوته

^{١٠٥} في زاد المسير ٥ / ٢٩٤

^{١٠٦} في تفسيرة ٦ / ٢٤

^{١٠٧} قاله السمرقندي في تفسيره ٢ / ٣٤٦

^{١٠٨} انظر زاد المسير ٥ / ٢٩٤

^{١٠٩} انظر تفسير أبي السعود ٦ / ٢٤ ، زاد المسير ٥ / ٢٩٤ ، وابن كثير ٥ / ٢٩٣ ، والدر المنثور ٤ /

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وكونه على ثقة من أمره وعدم مبالاته بهم لما أن ذلك اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم ، وليكون ظهور الحق وزهزق الباطل في يوم مشهود على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد. انتهى^{١١٠}.

واختار موسى - عليه الصلاة والسلام - ساعة من النهار هي أيمن ما تكون فيه الأشياء ﴿ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَىٰ ﴾ قال ابن كثير : أي من أول النهار في وقت اشتداد ضياء الشمس ، فيكون الحق أظهر وأجلى ، ولم يطلب أن يكون ذلك ليلا في ظلام ، كيما يروج عليهم محالا وباطلا ، بل طلب أن يكون نهارا جهره ، لأنه على بصيرة من ربه ، ويقين بأن الله سيظهر كلمته ودينه. انتهى^{١١١}.

لما سمع فرعون - لعنه الله - من موسى - عليه الصلاة والسلام - هذا الموعد المحدد الزمان والمكان انصرف من مجلسه وأخذ في جمع ما يكيد به لموسى - عليه الصلاة والسلام - من السحرة وما يحتاجون إليه في هذا التزال قال الله تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ والإتيان بحرف التراخي في هذا المحل يشعر بأن فرعون قد أتى على تباطىء ولم يسارع في الجيء.

وقال تعالى : ﴿ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٨﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ [الشعراء: ٣٨-٤٠] واليوم المعلوم هو يوم الزينة الذي وقته لهم موسى - عليه الصلاة والسلام - والناس هم أهل مصر ، وقولهم ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ ﴾ قال ابن الجوزي : قال الأكثرون : أرادوا سحرة فرعون ؛ فالمعنى :

^{١١٠} تفسير أبي السعود ٦ / ٢٤

^{١١١} البداية النهاية ١ / ٢٣٨

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

لعلنا نتبعهم على أمرهم . وقال بعضهم : أرادوا موسى وهارون ، وإنما قالوا ذلك استهزاء . انتهى. ^{١١٢} وقال ابن كثير : لم يقولوا تتبع الحق سواء كان من السحرة أو

من موسى ، بل الرعية على دين ملكهم . انتهى. ^{١١٣}

عندما التقى السحرة بفرعون أخذوا في مساومته في الأجر ، قال لهم فرعون ليس

أجرا فقط ، بل أنتم كذلك من المقربين كما قال تعالى في سورة الشعراء : ﴿

فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّا لَنَا أَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ

الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَّمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴿

[الشعراء: ٤١-٤٢] وقال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ

فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّا لَنَا أَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ

نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿١١٤﴾ [الأعراف: ١١٣-١١٤] وتنكير الأجر

في الآيتين للتعظيم كأنهم قالوا : لا بد لنا من أجر عظيم ^{١١٤} .

وعندما حضر الموعد ، وجاء فرعون ومن معه من السحرة وأدواتهم التي يعملون بها

السحر ، قال لهم موسى - عليه الصلاة والسلام - ناصحا ومخوفا ومحذرا لهم من

عذاب الله كما قال تعالى : ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَيَّ

اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى ﴿٦١﴾ [طه: ٦١] أي

: لا تفعلوا كما فعل فرعون أن تدعوا بأن الآيات التي أرسلت بها من قبيل السحر ﴿

^{١١٢} زاد المسير ٦ / ١٢٤

^{١١٣} تفسير ابن كثير ٦ / ١٥٠

^{١١٤} انظر تفسير النسفي ٢ / ٦٩

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

فَيُسْحِتْكُمْ ﴿٦٢﴾ والسحت في لغة العرب الاستئصال ، أي يستأصلكم بسبب هذا الافتراء.^{١١٥} والحية للمفتري سواء كان فرعون أو غيره.

عندما سمع السحرة هذه النصيحة من موسى - عليه الصلاة والسلام - ذكر الله - عز وجل - اختلافا وقع بينهم ، حملهم على التشاور فيما بينهم سرا عن فرعون وملئه قال تعالى : ﴿ فَتَنَزَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴾ ﴿٦٣﴾
قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴿٦٤﴾ [طه: ٦٢-٦٣]

وفي المناجاة التي جرت بينهم ذكر ابن الجوزي^{١١٦} ثلاثة أقوال للمفسرين :

أحدها : أنهم قالوا : إن كان هذا ساحرا ، فإننا سنغلبه ، وإن يكن من السماء كما زعمتم فله أمره . قاله قتادة .

الثاني : أنهم لما سمعوا كلام موسى قالوا : ما هذا بقول ساحر ، ولكن هذا كلام الرب الأعلى ، فعرفوا الحق ، ثم نظروا إلى فرعون وسلطانه ، وإلى موسى وعصله ، فنكسوا على رؤوسهم ، وقالوا : إن هذان لساحران . قاله الضحاك وقتادة .

الثالث : أنهم ﴿ قَالُوا إِنْ هَذَا لَسِحْرَانِ ﴾ ... الآيات . قاله السدي .

بعد أن تشاوروا واستقر أمرهم على حال موسى وهارون ، قالوا مشجعين لبعضهم ﴿ فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَتْكُمْ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعَلَى ﴾ ﴿٦٤﴾ [طه: ٦٤] أي الذي يكيدون به لموسى - عليه الصلاة والسلام

- من الأدوات وغيرها في سحرهم .

^{١١٥} انظر زاد المسير ٥ / ٢٩٦ ، وتفسير أبي السعود ٦ / ٢٤

^{١١٦} في زاد المسير ٥ / ٢٩٧

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُوا صَفًّا﴾ أي: مصطفين مجتمعين، ليكون أنظم
لأموركم، وأشد لهيبتكم^{١١٧}.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعَلَى﴾ أي: فاز من
غلب^{١١٨}. نحن بالقرب من فرعون ونوال الأجر الجزيل، وهو بالتقدم والرياسة.
وقد ذكر المفسرون^{١١٩} - رحمهم الله - من الأخبار الإسرائيلية في عدد السحرة ما
يشهد بالتناقضات والخلط عند أهل الكتاب، فقيل: كانوا ثمانين ألفا، وقيل سبعين
ألفا، وقيل: تسعة عشر ألفا، وقيل: خمسة عشر ألفا، وقيل: سبعين رجلا،
وقيل وفي كل هذا نظر، لأنه لا مستند له من كتاب ولا سنة. وكل هذا من
تناقضات أهل الكتاب، فانظر إلى المبالغة الكبيرة جدا في عدد السحرة مع التناقض
الظاهر في القلة والكثرة في عددهم. والله أعلم.

بعد التشاور توجه السحرة بالخطاب إلى موسى - عليه الصلاة والسلام - فقالوا
كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا
أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ [الأعراف: ١١٥]

وقال تعالى في سورة طه: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ
نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى﴾ [طه: ٦٥] أي: اختر إلقاءك أولا أو إلقاءنا^{١٢٠}
وإتيانهم بكلمة أول يشعر بأن رغبتهم في أن يلقوا قبل موسى - عليه الصلاة
والسلام - قال النسفي: تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل المتلظرون

^{١١٧} انظر زاد المسير ٥ / ٣٠٠، وتفسير السمرقندي ٢ / ٣٤٨

^{١١٨} قاله ابن عباس انظر زاد المسير ٥ / ٣٠١

^{١١٩} انظر تفسير الطبري ١٦ / ١٨٤، ١٨٥، والسمرقندي ١ / ٥٦٠، والبغوي ٢ / ١٨٧، وزاد المسير ٥

٣٠٠ / ٥، وابن كثير ٥ / ٢٩٦، وأبي السعود ٦ / ٢٦

^{١٢٠} انظر تفسير أبي السعود ٦ / ٢٧، وفتح القدير ٣ / ٣٧٤

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

قبل أن يتحاوروا الجدال ، وقد سوغ لهم موسى ما رغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلّة مبالاة بهم ، واعتمادا على أن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا. انتهى. ١٢١

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴾ قابلهم بأدب أحسن من أدبهم ، حيث أذن لهم بأن يلقوا قبله ، وأظهر لهم عدم مبالاته بما يجيئون به من السحر كما قال تعالى : ﴿ قَالَ لَهُمْ

مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٣]

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ

وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦]

وقال تعالى : ﴿ ... فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ

أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ [طه: ٦٦] أي عندما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم ،

خيّلوا لمن ينظر إليها أنها ثعابين وحيات ، وإن كان في الواقع لا الحقيقة لها وإنما هو تمويه وتخيل ، فأرعبوا الناس ، وأدخلوا في قلوبهم الرهبة بهذه الحيل . ووصف الله - سبحانه بما جاءوا به من السحر بأنه عظيم ؛ أي في باب السحر أو في عين من رآه .

وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - كيف حال السحرة من التعظيم لفرعون حينما

ألقوا حبالهم وعصيهم قال تعالى : ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا

بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤] أقسموا بعزة

فرعون على جهة التعظيم لأنهم كانوا يعبدونه.

وعندما رأى موسى - عليه الصلاة والسلام - ما صنع السحرة خاف أن يلتبس على الناس أمره ، وأن سحرهم كان من جنس ما أراهم في العصا فلا يؤمنوا قال

١٢١ تفسير النسفي ٢ / ٦٩

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ وقيل: أنه خوف الطبع

البشري، وقيل: خاف أن يفتن الناس قبل أن يلقي عصاه. ١٢٢

أوحى الله - تعالى - إلى موسى - عليه الصلاة والسلام - أن لا تخف فالغلبة

والعلو لك عليهم قال تعالى: ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾

وَأَلْقَ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا

يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ [طه: ٦٨-٦٩] أي: تبتلع ما صنعوا،

من الحبال والعصي التي سحروا بها أعين الناس وجعلوها حيات وثعابين تسعى.

وقال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾

﴿ [الشعراء: ٤٥] سماه إفكا، لأنه لا حقيقة له بل هو كذب وزور وتمويه

وشعوذة. ١٢٣ فعند ذلك ألقى موسى - عليه الصلاة والسلام - عصاه وقال كما

قال تعالى: ﴿ ... مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا

يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ

كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ٨١-٨٢]

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ

مَا يَأْفِكُونَ ﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[الأعراف: ١١٧-١١٨] أي: ما يعملون من السحر ذهب واطمحل.

١٢٢ انظر زاد المسير ٥ / ٣٠٥ ، وفتح القدير ٣ / ٣٧٤

١٢٣ قاله في فتح القدير ٢ / ٢٣٢

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وقوله تعالى: ﴿ فَعُلِّبُوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴾ [الأعراف:

١١٩] أي: رجعوا أذلاء مقهورين.

بعد أن عاين السحرة الحال التي انقلبت إليها عصا موسى، وأن ما ألقوه قد ابتلعتهم حقيقة لا تمويه ولا تخيل فيه، وهم أعلم الناس بالسحر وحيله، علموا أن هذا الفعل ليس من صنع بشر، بل هو حق من رب العالمين، فخرروا لله ساجدين وأعلنوا إيمانهم أمام الملأ أجمعين قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا

قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ [طه: ٧٠]

وقال تعالى: ﴿ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٠]

الْعَلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٠-١٢٢]

وقال تعالى: ﴿ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٠]

الْعَلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٦-٤٨]

عن الأخفش أنه قال: من سرعة ما سجدوا كأنهم ألقوا.^{١٢٤} وقد ذكر أبو السعود - رحمه الله - في تأخير ذكر موسى في سورة طه عدة احتمالات قال: لرعاية الفواصل، وقد جوز أن يكون ترتيب كلامهم أيضا هكذا، إما لكبر سن هارون - عليه الصلاة والسلام - وإما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربي موسى - عليه الصلاة والسلام - فلو قدموا موسى - عليه الصلاة والسلام - لربما توهم اللعين وقومه من أول الأمر أن مرادهم فرعون. انتهى.^{١٢٥} وكل هذه الاحتمالات واردة، ويظهر لي احتمال آخر وهو أنهم

^{١٢٤} انظر تفسير البغوي ٢ / ١٨٨، والنسفي ٣ / ٥٩، والسمرقندي ٢ / ٣٤٩

^{١٢٥} انظر تفسير أبي السعود ٦ / ٢٨

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

أعلنوا إيمانهم مرات متكررة ، وفي هذه المرات قدم ذكر هارون مرة ، والتكرار بأنهم آمنوا لرفع التوهم عن أي احتمال . والله أعلم .

وكل احتمال قد يكون واردا عند فرعون - لعنه الله - أن يقع إلا احتمال إيمان من جاء يستنصر بهم . موسى - عليه الصلاة والسلام - ، فقطع إيمان السحرة كل جدال في صدق موسى - عليه الصلاة والسلام - وأنه رسول من رب العالمين ، فوقع اللعين في خيبة ليس بعدها خيبة ، وبدل أن يتابع السحرة في إيمانهم أخذ في العناد والمكابرة ، وتوجه إليهم بالتهديد والوعيد ، وإلقاء الشبه التي تظهر مدى الوقاحة التي كان فيها هذا اللعين قال تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ

ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ [الأعراف: ١٢٣-١٢٤] وقال

تعالى : ﴿ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ [الشعراء: ٤٩]

وقال تعالى : ﴿ قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧٠﴾ [طه: ٧٠]

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وفي قوله تعالى : ﴿ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ نلمح أن إدعاءه للربوبية وأنه إله قد اضمحل في نفس اللعين ، لأنه توجه بالخطاب إلى السحرة موجها لهم على إيمانهم بموسى - عليه الصلاة والسلام - قبل أن يأذن لهم باعتبار أنه الحاكم المطاع ، والأمر الناهي ، لا على أنه رب وإله. والله أعلم.

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ

السِّحْرَ ﴾ شبهة ألقاها على قومه ، ويعلم هو وقومه بأن موسى لم يلتق بهم أبدا إلا في اليوم الموعود- يوم الزينة - ، قال ابن كثير : يعلم كل من له لب أن الذي قاله من أبطل الباطل ، فإن موسى - عليه الصلاة والسلام - بمجرد ما جاء من (مدين) دعا فرعون إلى الله ، وأظهر المعجزات الباهرة ، على صدق ما جاء به ، فعند ذلك أرسل فرعون في مدائن ملكه ، فجمع سحرة متفرقين من سائر مدن مصر ، ممن اختار هو والملا من قومه ، وأحضرهم عنده ووعدهم بالعطاء الجزيل ، وكانوا من أحرص الناس على ذلك ، وعلى الظهور في مقامهم ذلك والتقدم عند فرعون. وموسى - عليه الصلاة والسلام - لا يعرف أحدا منهم ولا رآه ولا اجتمع به ، وفرعون يعلم ذلك ، وإنما قال هذا تسترا وتديسا على رعا ع دولته وجهلتهم كما قال تعالى : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاَطَاعُوهُ ﴾ [الزخرف: ٥٤] فإن

قوما صدقوه في قوله ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات: ٢٤] من أجهل خلق الله وأضلهم.^{١٢٦} كان موقف السحرة من هذا التهديد ؛ أي التهديد بقطع الأيدي والأرجل من خلاف ، والصلب على جذوع النخل موقف المؤمن الموقن بمس

^{١٢٦} تفسير ابن كثير ٣ / ٤٥٤، ٤٥٥ بتصرف واختصار

عند الله - عز وجل - المسلم بقضائه وقدره فقالوا كما قال تعالى: ﴿ قَالَُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [٧٦] إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [٧٧] إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ [٧٨] وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ [٧٩] جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴾ [٨٠] ﴿

[طه: ٧٢-٧٦] وقال تعالى: ﴿ قَالَُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ [٨١] وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِبَيِّنَاتٍ مِمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أفرغ علينا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [٨٢] ﴿ [الأعراف: ١٢٥-١٢٦] وقال تعالى: ﴿

قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ [٨٣] إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٥٠-٥١]

قال ابن كثير: قال سعيد بن جبيرة وعكرمة والقاسم بن أبي بزة والأوزاعي وغيرهم: لما سجد السحرة رأوا منازلهم وقصورهم في الجنة تهيأ لهم، وتزخرف لقدمهم ولهذا لم يلتفتوا إلى تهويل فرعون وتهديده ووعيده. ^{١٢٧} والله أعلم.

^{١٢٧} انظر تفسير ابن كثير ٢٩٧/٥ والبداية والنهاية ١ / ٢٤٠

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام .

وجه الإعجاز في عصا موسى - عليه الصلاة والسلام - .

إن تحول العصا وهي جماد جامد لا حياة فيها ولا حركة ، إلى كائن حي فيه كل صفات الحيوان الحي يتحرك حقيقة لا خيال فيه ، أدل دليل على هذه الآية العجيبة .
ثم سلب هذه الصفة مرة أخرى - أي صفة الحياة - وعودتها إلى طبيعتها ، شاهد على عظم هذه المعجزة . وتوالي هذا الفعل وتكرره يدل على الإعجاز أيضا .

ثم حين التحدي عندما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم تبتلع أدوات السحرة حقيقة ، ويختفي كل ما ألقوه ، ولم يزد في جرمها شيئا ، بل رجعت إلى صفتها الأولى ، دل على إعجاز آخر .

ثم تسخيرها لموسى - عليه الصلاة والسلام - يتصرف بها بقدره الله - سبحانه - متى شاء دل على الإعجاز أيضا .

المبحث الرابع: في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ [الشعراء: ٣٣] (معجزة اليد).

وقال تعلق: ﴿ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾ [١١] لِنُرَيْكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿ [١٢] [طه: ٢٢-٢٣]

يخبر سبحانه وتعالى في هذه عن الآية العظيمة الثانية التي أرسل بها موسى - عليه الصلاة والسلام - حجة على فرعون وملكه

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: واضمم يا موسى يدك، فضعها تحت عضدك والجناحان هما اليدان، كذلك روي الخبر عن أبي هريرة وكعب الأحمار. وأما أهل العربية، فإنهم يقولون: هما الجنبان. وكان بعضهم يستشهد لقوله ذلك بقول الراجز: أضمه للصدر والجناح^{١٢٨}.

وذكر عن مجاهد قوله: إلى جناحك قال: كفه تحت عضده^{١٢٩}.

وقال الراغب الأصفهاني: الجناح جناح الطائر يقال جناح الطائر أي كسر جناحه قال تعالى: {ولا طائر يطير بجناحيه} وسمي جانباً الشيء جناحيه، فقيل: جناحا السفينة، وجناحا العسكر، وجناحا الوادي، وجناحا الإنسان لجانبيه، قال عز وجل: ﴿ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴾ أي جانبك، واضمم إليك

جناحك عبارة عن اليد لكون الجناح كاليد، ولذلك قيل لجناحي الطائر يداه^{١٣٠}. وقال الفخر الرازي: يقال لك ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لطرفيه وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر، لأنه يجنحهما عند الطيران،

^{١٢٨} البيت أنشده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢ / ١٨ ولم ينسبه.

^{١٢٩} تفسير الطبري ١٥٩/٩

^{١٣٠} مفردات القرآن مادة: جناح

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما إلى جناحك إلى صدرك والأول أولى ، لأن يدي الإنسان يشبهان جناحي الطائر لأنه قال : ﴿ تَخْرُجُ بِيَضَاءً ﴾ ولو كان المراد بالجناح الصدر لم يكن لقوله : { تخرج } معنى . ومعنى ضم اليد إلى الجناح ما قال في آية أخرى: قال تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ [النمل: ١٢] لأنه إذا أدخل يده في جيبه كان قد ضم يده إلى جناحه^{١٣١} . والله أعلم .

وأما قوله تعالى : ﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بِيَضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [القصص: ٣٢] وقوله تعالى : ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بِيَضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [النمل: ١٢] فقد قال الزمخشري في الكشاف: ﴿ الرَّهْبُ ﴾ بفتححتين،

وضمتين، وفتح وسكون، وضم وسكون: وهو الخوف. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿

وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾ [القصص: ٣٢] ؟ قلت : فيه معنيان ، أحدهما:

أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية: فزع واضطرب، فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء ، فقبل له: إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء. فإذا ألقيتها فكما تنقلب حية ، فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ، ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران: اجتناب ما هو غضاضة عليك ، وإظهار معجزة أخرى^{١٣٢} .

^{١٣١} التفسير الكبير ٢٢ / ٣٠

^{١٣٢} الكشاف ٣ / ١٧٥

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وهذا التوجيه للآية من الزمخشري حسن ، وأكثر المفسرين على هذا جعلوا معجزة اليد متعلقة بالعصا ولحم في ذلك متمسك وحجة ، والذي يظهر أن كلا المعجزتين تدل على معنى أعمق وأكبر مما ذكره المفسرون - رحمهم الله - ولم يشف الصدر قول تظمن النفس له ، وربما يعتبر جمع الفخر الرازي أكثر الأقوال طمأنينة للنفس حيث قال - رحمه الله - : بما أن انقلاب العصا حية مفزعة للقلوب ، جاء بما يقابلها من انقلاب اليد إلى بياض عجيب يريح النفوس. وهذا البياض غير معهود حتى في الأذهان ، يدعوا من رآها إلى التعجب منها. والله أعلم.

ثم قال : والمراد بالجناح: اليد ؛ لأن يدي الإنسان بمتزلة جناحي الطائر. وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى، فقد ضم جناحه إليه.

والثاني: أن يراد بضم جناحه إليه: تجلده وضبطه نفسه. وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب ، استعارة من فعل الطائر؛ لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما. وإلا فجناحاه مضمومتان إليه مشمران.

ومعنى قوله: ﴿ مِنْ الرَّهْبِ ﴾ من أجل الرهب ، أي : إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم إليك جناحك : جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه.

وقوله : ﴿ أَسْلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ على أحد التفسيرين : واحد. ولكن خولف بين العبارتين ، وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين ، وذلك أن الغرض في أحدهما خروج اليد بياض وفي الثاني: إخفاء الرهب.

فإن قلت: قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما إليه، وذلك قوله : ﴿ وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾ [القصص: ٣٢] وقوله: ﴿

وَأَضْمُمُ يَدَكَ إِلَيَّ جَنَاحَكَ ﴾ [طه: ٢٢] فما التوفيق بينهما؟

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

قلت: المراد بالجناح المضموم. هو اليد اليمنى، وبالمضموم إليه: اليد اليسرى وكل واحدة من يميني اليدين ويسراهما: جناح. أنتهى^{١٣٣}

ومعنى قوله تعالى: ﴿ تَخْرُجُ بَيِّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ أي: من غير برص قاله ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، والسدي، والحسن البصري^{١٣٤}. قال الفخر الرازي: والمراد بالسوء: الرداءة والقبح في كل شيء فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوءة، والبرص أبغض شيء إلى العرب فكان جديرا بأن يكنى عنه.^{١٣٥}

وقال ابن جرير: وقوله: ﴿ تَخْرُجُ بَيِّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ ذكر أن موسى - عليه الصلاة والسلام - كان رجلا آدم، فأدخل يده في جيبه، ثم أخرجها بيضاء من غير سوء، من غير برص، مثل الثلج، ثم ردها، فخرجت كما كانت على لونه^{١٣٦}.

قال ابن كثير: أمره الله تعالى بإدخال يده في جيبه، ثم أمره بترعها فإذا هي تاللاً كالقمر بياضا من غير سوء، أي من غير برص ولا بهق، ولهذا قال: ﴿ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيِّضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [القصص: ٣٢] قيل معناه: إذا خفت فضع

^{١٣٣} الكشاف ١٧٥/٣

^{١٣٤} انظر تفسير الطبري ١٦ / ١٥٨ وابن كثير ٥ / ٢٧٥

^{١٣٥} التفسير الكبير ٢٢ / ٣٠

^{١٣٦} تفسير الطبري ١٦ / ١٥٧

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

يدك على فؤادك يسكن جأشك ، وهذا وإن كان خاصا به، إلا أن بركة الإيمان به
حق بأن ينفع من استعمل ذلك على وجه الاقتداء بالأنبياء.^{١٣٧}

^{١٣٧} انظر البداية والنهاية ٢٣٢/١

وجه الإعجاز في اليد :

قوله تعالى : ﴿ وَأَضْمَمَّ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيِّضًا مِنْ غَيْرِ سُوِّءٍ ؕ آيَةٌ أُخْرَىٰ ۗ ﴾ [طه: ٢٢]

وقوله تعالى : ﴿ أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيِّضًا مِنْ غَيْرِ سُوِّءٍ وَأَضْمَمَّ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۗ ﴾ [القصص: ٣٢]

وقوله تعالى : ﴿ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيِّضًا مِنْ غَيْرِ سُوِّءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ۗ ﴾ [النمل: ١٢]

﴿ [النمل: ١٢] ﴾ كل هذه الآيات تدل على أن المعجزة الثانية التي أيد بها موسى - عليه الصلاة والسلام - كانت في يده الجارحة حقيقة ، ولا تحتمل الآيات القرآنية غير هذا المعنى ، والبياض الذي ظهر فيها هو الأمر المعجز ؛ لأن اليد خرجت عن لونها المعتاد إلى لون عجيب أثار في نفوس من رأوها الدهشة والتعجب من هذه الصفة التي صارت إليها ، ثم إن هذا البياض ، بياض حسن جدا كما تدل عليه الآيات القرآنية الكريمة ، وقد يكون التحول حصل في اليد بكمالها ، والتغير الذي يطرأ على أجساد بعض الناس في العادة ؛ إنما يكون في الجلد ، ويكون عيبا وصفة نقص في البدن ، والذي حصل في يد موسى - عليه الصلاة والسلام - صفة كمال خرجت عن العادة . ثم التحول في اليد من الحالة المعتادة لموسى - عليه الصلاة والسلام - إلى حالة البياض ، ثم عودتها لصفتها الأولى إعجاز آخر.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وهذه المعجزة أظهرها الله - سبحانه وتعالى - على يد موسى - عليه الصلاة والسلام - في ذلك الزمان لحكمة تناسب ذلك الزمن ، وكم من الحكم والأمور الغيبة تخفى علينا. والله أعلم.

المبحث الخامس : وعد موسى - عليه الصلاة والسلام - لقومه بأن

العاقبة لهم على القبط.

لما آمن السحرة بموسى - عليه الصلاة والسلام - أصابت فرعون وملئه الدهشة والحيرة مما رأوا ، وكان الملامن قوم فرعون أسرع إفاقة منه ، واستغلوا هذه الحالة التي كان عليها فرعون - لعنه الله - خشية على مكائهم التي هم فيها مع فرعون - لعنه الله - من اسغلال للمستضعفين من بني إسرائيل ، فقالوا منبهين له بطريقة الاستفهام الإنكاري إغراء منهم لفرعون ليقع العقوبة بموسى - عليه الصلاة والسلام - ومن آمن به قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ

مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾

[الأعراف: ١٢٧] يعني لو تركتهم يتبعهم أهل مصر ، فجعلوا إيمان أهل مصر ، واتباعهم لموسى - عليه الصلاة والسلام - من الفساد في الأرض ، فقال اللعين بعد أن أفاق من حالة الذهول التي كان عليها كما قال تعالى : ﴿ قَالَ سَنُقْتِلُ

أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾

[الأعراف: ١٢٧]

والقتل هنا على صيغة المبالغة والتكثير في القتل ، قال ابن الجوزي : وإنما عدل عن قتل موسى إلى قتل الأبناء لعلمه أنه لا يقدر عليه^{١٣٨} . انتهى .

فشكت بنو إسرائيل لموسى - عليه الصلاة والسلام - إعادة القتل على أبنائهم فقال

لهم موسى - عليه الصلاة والسلام - كما قال تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ

أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا بِلِلْأَرْضِ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨] وهذا من سنن الله

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

الكونية أن جعل العاقبة والنصر والظفر لأهل التقوى . وهذا ما كان لبني إسرائيل ، حيث أهلك الله - عز وجل - عدوهم ، وجعل لهم النصر والتمكين في الأرض ، بعد الذل والقهر.

لم تمثل بنو إسرائيل لهذا التوجيه النبوي الكريم من موسى - عليه الصلاة والسلام - بل قالوا وهم جزعين متشائمين كما قال تعالى : ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ أي من قبل أن تأتينا بالرسالة ، ومن بعد ما جئتنا بها ، قاله ابن عباس. ١٣٩

فقال لهم موسى - عليه الصلاة والسلام - مسليا لهم ومبشرا لهم ، بهلاك فرعون وملئه ، واستخلافهم في الأرض بعد هلاكهم كما قال تعالى : ﴿ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٩] فصرح لهم بهلاك عدوهم ، وأنهم سيكونوا خلفاء في أرض مصر بعد هذا الاستضعاف ، وأكد ذلك وأنه متحقق لا محالة بقوله كما قال تعالى : ﴿ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ قال ابن كثير : وعدهم بأن العاقبة لهم على القبط ، وكذلك وقع . وهذا من دلائل النبوة^{١٤٠}.

وأما قوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَلَرْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ

١٣٩ زاد المسير ٣ / ٢٤٦

١٤٠ انظر البداية والنهاية ١ / ٢٤٦

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴿

[الأعراف: ١٣٧] فإنه وعد الله الذي وعد بني إسرائيل بتمامه ، على ما وعدهم من تمكينهم في الأرض ، ونصره إياهم على عدوهم فرعون.

وهذا المعنى قد ذكره ابن جرير عن مجاهد ، في قول الله عز وجل : ﴿

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحَسَنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿

[الأعراف: ١٣٧] قال : ظهور قوم موسى على فرعون. وتمكين الله لهم في الأرض ، وما ورثهم منها^{١٤١}.

وكلمته الحسنى قوله جل ثناؤه : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ

أَسْتَضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا

مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿ [القصص: ٥-٦]

وأما قوله: ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ﴿

[الأعراف: ١٣٧]

أي : أهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع. والدمار الهلاك.^{١٤٢}

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿ قال ابن عباس : بينون. أي : وما

كانوا بينون من الأبنية والقصور، وأخرجناهم من ذلك كله، وخربنا جميع ذلك.^{١٤٣}

^{١٤١} تفسير الطبري ٤٤، ٤٣/٦

^{١٤٢} انظر زاد المسير ٢٥٣ / ٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وجه الأعجاز في وعد موسى - عليه الصلاة والسلام - لقومه بأن العاقبة لهم على القبط.

يظهر في أن موسى - عليه الصلاة والسلام - بشر المستضعفين من المؤمنين الذين يقتل أبناؤهم ويستحيا نساؤهم ، ومن هم في ذلة وهوان ، ويعيشون تحت القهر والإهانة ، بأن التمكين في الأرض والنصر والغلبة سيكون لهم ، وقد تحقق هذا الوعد كما بشر به ، فهذا الأمر غيبي ، لا يكشفه الله - سبحانه - إلا لمن شاء من عباده.

^{١٤٣} انظر تفسير الطبري ٦ / ٤٤

المبحث السادس: الطمسة.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ

﴿ [يونس: ٨٨]

لما عرض موسى - عليه الصلاة والسلام - على فرعون وملئه آيات الله وبيناته عرضاً مكرراً وردد عليهم النصائح والمواعظ زماناً طويلاً ، وأظهر لهم المعجزات ، وحذرهم عذاب الله وانتقامه ، وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ، وراهم مصرين على الجحود والعناد والإنكار ، ولا يزيدون على عرض الآيات إلا كفراً ، وعلى الإنذار إلا استكباراً ، وعن النصيحة إلا صدوداً ، ولم يبق له مطمع فيهم ، وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال ، وأن إيمانهم كالحال ، أو علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم ، وأفرط مقته وكراهته لحالهم ، أخذ يدعو عليهم بما علم أنه لا يكون غيره ، كما تقول: لعن الله إبليس ، وأحزى الله الكفرة ، مع علمك أنه لا يكون غير ذلك ، وليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة ، وأنهم لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه ، كأنه قال: ليشتوا على ما هم عليه من الضلال. وليكونوا ضلالاً ، وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما عليّ منهم ، هم أحقّ بذلك وأحقّ.

والزينة: ذكر المفسرون أنها عبارة عن الصحة والجمال وما يتزين به من لباس أو حلي أو فرش أو أثاث أو دواب أو غير ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ ﴾ اختلف المفسرون في هذه اللام هل

هي لام العاقبة ، أو لام الأمر ، أو لام كي ، أو لام أجل ، وهذه الأقوال ذكرها الفخر

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

الرازي ، والشوكاني ، وابن الجوزي^{١٤٤} - رحمهم الله - قال في زاد المسير وفي لام ﴿ لِيُضِلُّوْا ﴾ أربعة أقوال :

أحدها : أنها لام كي والمعنى آتيتهم ذلك كي يضلوا وهذا قول الفراء.

والثاني : أنها لام العاقبة والمعنى إنك آتيتهم ذلك فأصارهم إلى الضلال ومثله قوله : ﴿

لِيَكُوْنَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [القصص: ٨] أي آل أمرهم إلى أن صار لهم عدوا ، لا أنهم قصدوا ذلك ، هذا قول الزجاج.

والثالث : أنها لام الدعاء ، والمعنى : ربنا ابتلهم بالضلال عن سبيلك. ذكره ابن الأنباري.

والرابع : أنها لام أجل ، فالمعنى : آتيتهم لأجل ضلالتهم عقوبة منك لهم ، ومثله قوله :

﴿ سِيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٩٥] أي : لأجل إعراضكم حكاه بعض المفسرين. انتهى.

وقوله تعالى : ﴿ أَطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ﴾ والطمس : المحو والإزالة ، وهو دعاء

عليهم بالهلاك ، فالمعنى : أهلك أموالهم رواه العوفي عن ابن عباس. وقال مجاهد : مسخ الله النخل والثمار والأطعمة حجارة ، فكانت إحدى الآيات التسع . وقال الزجاج : تطميس الشيء : إذهابه عن صورته والانتفاع به على الحال الأولى التي كان عليها^{١٤٥}.

﴿ وَأَشَدُّدَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ قال الفخر الرازي : ومعنى الشد على القلوب.

الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان^{١٤٦}. وقال البيضاوي والشوكاني : أي اجعلها قاسية واطبع عليها فلا تقبل الحق ، ولا تشرح للإيمان^{١٤٧}. انتهى. ودعا عليهم بهذا لأن القلوب في حالة النعمة والرغد من العيش تكون ساكنة وفي دعة وأمان ، فسأل الله - تعالى - أن

^{١٤٤} انظر زاد المسير ٤ / ٥٥ ، ٥٦ ، والتفسير الكبير ١٧ / ١٤٩ ، ١٥٠ ، وفتح القدير ٢ / ٤٦٨

^{١٤٥} انظر زاد المسير ٤ / ٥٦ ، ٥٧

^{١٤٦} التفسير الكبير ١٧ / ١٥٢

^{١٤٧} انظر تفسير البيضاوي ٢٨٦ ، وفتح القدير ٢ / ٤٦٨ ، وأبي السعود ٤ / ١٧٢

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

يبدل نعمتهم هذه حتى تصاب نفوسهم بالهموم والأحزان ، ومكدرات الحياة. ويالها من تعاسة لا تسأل عن مثلها.

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ عطف على

ليضلوا. والمعنى : أنك آتيتهم النعم ليضلوا فلا يؤمنوا ، أو هو دعاء عليهم بلفظ التَّهْيِي ،

والتقدير : اللهم فلا يؤمنوا.^{١٤٨} ويكون قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ

وَأَشَدُّ عَلَيَّ قُلُوبِهِمْ ﴾ دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه.

^{١٤٨} انظر زاد المسير / ٤ / ٥٧ ، وفتح القدير ٢ / ٤٦٩

وجه الإعجاز في الطمسة.

تتجلى في جواب الله - عز وجل - لهما ، وإجابة دعوة موسى - عليه الصلاة والسلام - أن يسلب فرعون وملئه ما كانوا فيه من النعم ورغد العيش ، وأن يوالي عليهم المصائب متتابعة ، حتى يسأموا من مقاومة دعوة موسى - عليه الصلاة والسلام - قال تعالى :

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: ٨٩] وبلا ريب كل هذا قد تحقق قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ

أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾

[الأعراف: ١٣٠] وقال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ

وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا

مُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣] .

المبحث السابع : انفلاق البحر لبني إسرائيل.

المطلب الأول : في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأُجْجِنَاكُمْ

وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠]

قوله: {فرقنا} أي : فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوكم فيه.

وقريء: {فرقنا} بالتشديد على بناء التكثر ، لأن المسالك كانت اثني عشر بعدد الأسباط^{١٤٩}.

وفي المحتسب : قراءة الزهري {وإذ فرقنا بكم البحر...} مشددة.

قال أبو الفتح : معنى فرقنا : أي جعلناه فرقا . ومعنى فرقنا : شققنا بكم البحر.

وفرقنا : أشد تبعيضا من فرقنا .

قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾

يحتمل أن يكون فرقين ويحتمل أن يكون أفراقا ، ألا ترى أنك تقول قسمت الثوب قسمين فكان كل قسم واحد منهما عشرين ذراعا ، كما تقول ذلك وهو جماعة أقسام ، ومن ذلك فرقت شعره : أي جعلته فرقين ، وفرقت شعره : أي جعلته فرقا ، وجاز هنا لفظ الجمع لأن كل رجل منهم قد خرق من البحر وفرق ، خرقا، وفرقا.

وقد يكون أيضا في فرقنا مخففة معنى فرقنا مشددة^{١٥٠}.

ومعنى: (بكم) أي لكم ، قال الفخر الرازي وفيه وجهان:

أحدهما: أنهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكتهم فكأنما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما توسط بينهما .

^{١٤٩} قاله البضاوي في تفسيره ١٠

^{١٥٠} المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. لأبي الفتح ابن جني ٨٢/١

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

الثاني: فرقناه بسببكم وبسبب إجحائكم. ^{١٥١} انتهى.

وهذه الآية من النعم العظيمة التي من الله - تعالى - بها على بني إسرائيل حيث أراهم من عظيم قدرته في انفلاق البحر لهم ما تذلل له الرقاب ، وأتم هذه النعمة ، بأن أنجاهم من عدوهم ، وتممها بأن أهلك فرعون وهم ينظرون ، حتى ينقطع من قلوبهم أي خوف من جانب هذا اللعين.

وكان من حكمة الله - عز وجل - لما أراد إهلاك فرعون والقبط وبلغ بهم الحال في معلوم الله أنه لا يؤمن أحد منهم أمر موسى - عليه الصلاة والسلام - أن يسري ليلاً ببني إسرائيل ، فسلك بهم طريقاً غير الطريق المعتاد المسلوك دائماً في الأسفار ، وإنما توجه تلقاء البحر الأحمر الذي كان قديماً يُسمى ببحر القلزم لتظهر الآية العظيمة ، ولما علم فرعون بخروج موسى - عليه الصلاة والسلام - وقومه تبعهم في الصباح لمنعهم من مغادرة مصر ، لما في خروجهم من الضرر على فرعون وملئه في أعمالهم التي كان بنو إسرائيل يعملون فيها بالسحرة ، أو لأنه خشي أن يأسسوا قوةً ومجتمعاً يواجهه. ولم يأت في عقله أن في اتباعه لهم ما يكون فيه استتصاليه ومن معه قال تعالى :

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِيٰ إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ

^{١٥١} التفسير الكبير ٣ / ٧٠

فَرَقِ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ ﴿١٣﴾ وَأَرْزَلْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى
وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ ﴿
[الشعراء: ٥٢-٦٨]

وقال تعلق: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ
طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ
فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ
قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ ﴾ [طه: ٧٧-٧٩]

وقال تعالى: ﴿ وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِء بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ ءَأَلْكَنَ
وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩٢﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ
بِبَدَنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا
لَغَافِلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [يونس: ٩٠-٩٢]

وقال تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبِعُونَ ﴿١٢٢﴾ وَأَتْرِكِ الْبَحْرَ
رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿١٢٤﴾ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٢٥﴾
وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿١٢٦﴾ وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنِينَ ﴿١٢٧﴾ كَذَلِكَ

وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾

[الدخان: ٢٣-٣٣]

ومعنى قوله تعالى : ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴾ [الشعراء: ٦٠] أي : لحقوا بهم بعد طلوع الشمس ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ [الشعراء: ٦١] أي : تقابلا بحيث يرى بعضهم بعضا. قال أصحاب موسى - عليه الصلاة والسلام - إنهم سيلحقوا بنا فيقتلوننا.

فقال موسى - عليه الصلاة والسلام - كلام الواثق بما عند ربه : ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء: ٦٢] أي : لن يلحقوا بنا ، لأن معي ربي سيدلني على طريق النجاة.

فلما سار بهم موسى - عليه الصلاة والسلام - وأتى البحر أوحى الله إليه أن يضرب بعضاه البحر قال تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَاَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ [الشعراء: ٦٣] فانشق البحر اثني عشر طريقا كل طريق كالجبل العظيم ، فدخل فكان فيه وحل فهبت الصبا فجفت الطرق التي يمشون فيها في البحر ، حتى صارت طرقا يابسة كما قال تعالى : ﴿ فَأَضْرِبْ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا ﴾ فأخذ كل سبط منهم طريقا ، فتبعهم فرعون ودخل البحر خلفهم فلما دخلوا البحر بالكلية أمر الله البحر أن ينطبق

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

عليهم فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ وهذه حال زائدة في إتمام النعم المتوالية حيث يرون هلاك عدوهم الذي اعتقدوا في يوم أنه لا يقهر.

أخرج عبد بن حميد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ

فَأَجْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠]

قال: أي والله لفرق بهم البحر حتى صار طريقا يسايمشون فيه فأنجاهم وأغرق آل فرعون عدوهم نعم من عند الله يعرفهم لكيما يشكروا ويعرفوا حقه. ^{١٥٢}

وعن سعيد بن جبير: إن هرقل كتب إلى معاوية وقال: إن كان بقي فيهم شيء من النبوة فسيخبرني عما أسألهم عنه، قال: وكتب إليه يسأله عن الحجر وعن القوس وعن البقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة واحدة قال: فلما أتى معاوية الكتاب والرسول قال: إن هذا شيء ما كنت آبه له أن أسأل عنه إلى يومي هذا، من لهذا؟ قالوا: ابن عباس وطوى معاوية كتاب هرقل وبعثه إلى ابن عباس فكتب إليه: إن القوس أمان لأهل الأرض من الغرق والحجر باب السماء الذي تشق منه وأما البقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة من نهار فالبحر الذي أفرج عن بني إسرائيل. ^{١٥٣}

عن أنس عن النبي ﷺ قال: ((فلق البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء)). ^{١٥٤}
وعن ابن عباس قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فرأى اليهود يصومون يوم عاشوراء فقال: ((ما هذا اليوم الذي تصومون؟ قالوا: هذا يوم صالح نجى الله فيه بني إسرائيل من

^{١٥٢} الدر المنثور ١/١٣٤

^{١٥٣} رواه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/٢٩٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/٣٢٠، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٧٧، ٢٧٨: ورجاله رجال الصحيح، وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١/٣٤: إسناده صحيح إلى ابن عباس.

^{١٥٤} أخرجه أبو يعلى في المسند ٧/١٣٣ رقم: ٤٠٩٤ قال محققه حسين أسد: إسناده ضعيف، وأخرجه ابن عدي في الكامل ٣/١٩٩ في ترجمة: زيد بن الحواري العمي و ٣/٣٠١ وقال: ولعل هذا الحديث البلاء فيه سلام الطويل أو منهما جميعا فإنهما ضعيفان، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/١٨٨: رواه أبو يعلى، وفيه يزيد الرقاشي، وفيه كلام وقد وثق، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/١٣٤ إلى ابن مردويه أيضا.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

عدوهم فصامه موسى ، فقال رسول الله ﷺ : ((نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصومه))^{١٥٥}

^{١٥٥} أخرجه البخاري في الصحيح ٢ / ٧٠٤ في كتاب الصوم ، باب : صيام يوم عاشوراء ، ومسلم في كتاب الصيام ، باب : صيام يوم عاشوراء ، رقم ١١٣٠ ، وابن ماجه ١ / ٥٥٢ في كتاب الصوم ، باب : صيام يوم عاشوراء ، والطبراني في المعجم الكبير ١٢ / ٥٠ وأحمد في المسند ، والنسائي ، والبيهقي .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

المطلب الثاني: في وجه الإعجاز في انفلاق البحر.

سبق ذكر أن انفلاق البحر لموسى - عليه الصلاة والسلام - من أعظم النعم التي امتنها الله سبحانه وتعالى على بني إسرائيل حيث أنجاهم وأهلك عدوهم وهم ينظرون ، وشاهدوا آية عظيمة تدل على قدرة الخالق سبحانه ، وهذه أوجه من الإعجاز. وذكر الفخر الرازي عدة أوجه أخرى من الإعجاز: أحدها: أن تفرق ذلك الماء معجز .

وثانيها: أن اجتماع ذلك الماء فوق كل طرف منه حتى صار كالجبل من المعجزات أيضا لأنه كان لا يمتنع في الماء الذي أزيل بذلك التفريق أن يبدده الله تعالى حتى يصير كأنه لم يكن فلما جمع على الطرفين صار مؤكدا لهذا الإعجاز.

وثالثها: أن أبقى الله تعالى تلك المسالك حتى قرب منها آل فرعون وطمعوا أن يتخلصوا من البحر كما تخلص قوم موسى عليه السلام فهو معجز. انتهى.^{١٥٦}

ومن الإعجاز أيضا تخفيف البحر لهم ومشيهم على أرض يابسة مع أنهم في وسط البحر. والله أعلم.

^{١٥٦} التفسير الكبير ١٣٩/٢٤ باختصار

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

المطلب الثالث : في النعم المتعددة في هذه الواقعة .

ذكر الفخر الرازي - رحمه الله - أن هذه الواقعة تضمنت نعمًا كثيرة في الدين والدنيا، أما نعم الدنيا في حق موسى عليه السلام وأمته فمن وجوه:

أحدها: أنهم لما وقعوا في ذلك المضيق الذي من ورائهم فرعون وجنوده وقدامهم البحر، فإن توقفوا أدركهم العدو وأهلكهم بأشد العذاب وإن ساروا غرقوا فلا خوف أعظم من ذلك، ثم إن الله نجاهم بفلق البحر فلا فرج أشد من ذلك.

وثانيها: أن الله تعالى خصهم بهذه النعمة العظيمة والمعجزة الباهرة، وذلك سبب لظهور كرامتهم على الله تعالى.

وثالثها: أنهم شاهدوا أن الله تعالى أهلك أعداءهم ومعلوم أن الخلاص من مثل هذا البلاء من أعظم النعم، فكيف إذا حصل معه ذلك الإكرام العظيم وإهلاك العدو.

ورابعها: أن أورثهم أرضهم وديارهم ونعمهم وأموالهم.

وخامسها: أنه تعالى لما أغرق آل فرعون فقد خلص بني إسرائيل منهم، وذلك نعمة عظيمة لأنهم كانوا خائفين منهم، ولو أنه تعالى خلص موسى وقومه من تلك المحنة وما أهلك فرعون وقومه لكان الخوف باقيا من حيث إنه ربما اجتمعوا واحتالوا بحيلة وقصدوا إيذاء موسى عليه السلام وقومه، ولكن الله تعالى لما أغرقهم فقد حسم مادة الخوف بالكلية.

وسادسها: أنه وقع ذلك الإغراق بمحض من بني إسرائيل وهو المراد من قوله تعالى:

﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠]

وأما نعم الدين في حق موسى - عليه الصلاة والسلام - وأمته فمن وجوه :

أحدها: أن قوم موسى لما شاهدوا تلك المعجزة الباهرة تيقنوا صدق موسى - عليه الصلاة والسلام - وأن الله ناصر لهم على عدوهم. ولكنهم بدلوا هذا التصديق بعدم الإذعان لأوامر الله، وهذه النعم بالجحود. كما سيمر معنا إن شاء الله تعالى.

وثانيها: أنهم لما عاينوا ذلك صار داعيا لهم إلى الثبات على دين الله وتصديق موسى والانتقاد له، ولكنهم قابلوا نبيهم بعد ذلك بالتمرد وكثرة المخالفة له.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وأما النعم الحاصلة لأمة محمد ﷺ من ذكر هذه القصة فكثيرة:

أحدها: إنها كالحجة لمحمد ﷺ على أهل الكتاب لأنه كان معلوما من حال محمد - عليه الصلاة والسلام - أنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يخالط أهل الكتاب فإذا أورد عليهم من أخبارهم المفصلة ما لا يعلم إلا من الكتب علموا أنه أخبر عن الوحي وأنه صادق، فصار ذلك حجة له عليه السلام على اليهود وحجة لنا في تصديقه.

وثانيها: أنا إذا تصورنا ما جرى لهم وعليهم من هذه الأمور العظيمة علمنا أن من خالف الله شقي في الدنيا والآخرة ومن أطاعه فقد سعد في الدنيا والآخرة، فصار ذلك مرغبا لنا في الطاعة ومنفرا عن المعصية.

وثالثها: أن أمة موسى عليه السلام مع أنهم خصوا بهذه المعجزات الظاهرة والبراهين الباهرة، فقد خالفوا موسى عليه السلام في أمور حتى قالوا: {اجعل لنا إلها كما لهم آلهة}، وأما أمة محمد ﷺ فمع أن معجزتهم هي القرآن الذي لا يعرف كونه معجزا إلا بالدلائل الدقيقة انقادوا لمحمد ﷺ وما خالفوه في أمر ألبتة، وهذا يدل على أن أمة محمد ﷺ أفضل من أمة موسى - عليه السلام -^{١٥٧}.

^{١٥٧} التفسير الكبير ٣/٧١، ٧٢ بتصرف

المبحث الثامن : في استسقاء موسى لقومه وقوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مَفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ [البقرة: ٦٠]

وقوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ [الأعراف: ١٦٠]

هذه الآية من النعم المتعددة على بني إسرائيل ، إذ كانوا على وجه هلكة في التيه من شدة العطش والجوع ، فرفع عنهم الحاجة إلى الماء بهذا المعجزة الباهرة. وجعل العيون النابعة من الحجر اثنتي عشرة عينا على عدد الأسباط حتى لا يتدافعوا عند الشرب.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قول الله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ

لِقَوْمِهِ ﴿ الآية

قال : كان هذا إذ هم في البرية اشتكوا إلى نبيهم الظم فأمروا بحجر طوري ، أي : من الطور أن يضربه موسى بعصاه فكانوا يحملونه معهم فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين معلومة مستفيض ماؤها لهم.^{١٥٨}

^{١٥٨} تفسير الطبري ٣٠٧/١

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وأخرج عبد بن حميد عن قتادة قال : كان هذا في البرية حيث خشوا الظمأ استسقى موسى فأمر بحجر أن يضربه وكان حجرا طورانيا من الطور يحملونه معهم حتى إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشاربهم قال : لكل سبط منهم عين معلومة يستفيد ماءها.^{١٥٩}

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير^{١٦٠} عن مجاهد قال : انفجر لهم الحجر بضربة موسى اثنتي عشرة عينا كل ذلك كان في تيههم حين تاهوا.^{١٦١}

وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ ﴾ قال الطاهر بن عاشور : صريح في أن طالب السقي هو موسى - عليه الصلاة والسلام - وحده ، سأله من الله تعالى ولم يشاركه قومه في الدعاء لتظهر كرامته وحده.

وقوله تعالى : ﴿ لِقَوْمِهِ ﴾ مؤذن بأن موسى لم يصبه العطش ، وإنما كان دعاءه بالسقيا بعد طلبهم^{١٦٢} . والله أعلم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن جوير أنه سئل في قوله : ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ قال : كان موسى يضع الحجر ويقوم من كل سبط رجل ويضرب موسى الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا فينتضح من كل عين على رجل فيدعو ذلك الرجل سبطه إلى تلك العين.^{١٦٣}

وعن ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ﴾ قال خافوا الظمأ في تيههم حين تاهوا فانفجر لهم الحجر اثنتي عشرة عينا ضربه موسى

^{١٥٩} الدر المنثور ١/١٤٠

^{١٦٠} في التفسير ١/٣٠٧

^{١٦١} الدر المنثور ١/١٤٠

^{١٦٢} تفسير التحرير والتنوير ١/٥١٨ باختصار وتصرف

^{١٦٣} الدر المنثور ١/١٤٠

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

قال ابن جريج قال ابن عباس : الأسباط بنو يعقوب كانوا اثني عشر رجلا كل واحد منهم ولد سبطا أمة من الناس.^{١٦٤}

قال ابن زيد : استسقى لهم موسى في التيه فسقوا في حجر مثل رأس الشاة قال يلقونه في جانب الجوالق إذا ارتحلوا ويقرعه موسى بالعصا إذا نزل فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين فكان بنو إسرائيل يشربون منه حتى إذا كان الرحيل استمسكت العيون وقيل به فألقي في جانب الجوالق فإذا نزل رمي به فقرعه بالعصا فتنفجرت عين من كل ناحية مثل البحر^{١٦٥}.

وقد ذكر بعض أهل التفسير في وصف هذا الحجر ، أشياء لا مستند لها من كتاب ولا سنة ، وإنما نقلوها عن أهل الكتاب ولا فائدة من ذكرها ، كما ذكروا في عدد بني إسرائيل ، وسعة معسكرهم ، ما لا يخرج عن حد المبالغات ، وفي وصف العصا كذلك. ومما قالوا : إنه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه منه ثلاث أعين يسيل كل عين في جدول إلى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثني عشر ميلا ، أو كان حجرا أهبطه الله تعالى مع آدم عليه السلام من الجنة ووقع إلى شعيب عليه السلام فأعطاه موسى عليه السلام مع العصا ، وقيل كان الحجر من رخام حجمه ذراع في ذراع والعصا عشرة أذرع على طوله عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة^{١٦٦}.

قال الفخر الرازي : اعلم أن السكوت عن أمثال هذه المباحث واجب ، لأنه ليس فيها نص متواتر قاطع ، ولا يتعلق بها عمل حتى يكتفى فيها بالظن المستفاد من أخبار الآحاد فالأولى تركها^{١٦٧}. انتهى.

ونوافق الفخر الرازي - رحمه الله - أن الواجب السكوت عن مثل هذه الأمور ، ولكن لا نوافق من عدم ذكرها أنه ليس فيها نص متواتر قاطع ، بل لو صح الخبر من طريق الآحاد أخذنا به. والله أعلم.

^{١٦٤} أخرجه الطبري في تفسيره ٣٠٧/١

^{١٦٥} أخرجه الطبري في تفسيره ٣٠٧/١

^{١٦٦} انظر تفسير البغوي ١ / ٧٧ ، وأبي السعود ١ / ١٠٥ ، والبيضاوي ١٢ والتفسير الكبير ٣ / ٩٥

^{١٦٧} التفسير الكبير ٣ / ٩٥

قال ابن جرير : وأما قوله ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ فَإِنَّمَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ لِأَنَّ مَعْنَاهُمْ فِي الَّذِي أَخْرَجَ اللَّهُ جِلَّ وَعَزَّ لَهُمْ مِنَ الْحَجَرِ الَّذِي وَصَفَ جِلَّ ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ صِفَتَهُ مِنَ الشَّرْبِ كَانَ مُخَالَفًا مَعَانِي سَائِرِ الْخَلْقِ فِيمَا أَخْرَجَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْمِيَاهِ مِنَ الْجِبَالِ وَالْأَرْضِينَ الَّتِي لَا مَالِكَ لَهَا سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ كَانَ جَعَلَ لِكُلِّ سَبْطٍ مِنَ الْأَسْبَاطِ الْإِثْنَيْ عَشَرَ عَيْنًا مِنَ الْحَجَرِ الَّذِي وَصَفَ صِفَتَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ يَشْرَبُ مِنْهَا دُونَ سَائِرِ الْأَسْبَاطِ غَيْرِهِ لَا يَدْخُلُ سَبْطٌ مِنْهُمْ فِي شَرْبِ سَبْطِ غَيْرِهِ ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لِكُلِّ عَيْنٍ مِنْ تِلْكَ الْعَيُونِ الْإِثْنَيْ عَشَرَ مَوْضِعًا مِنَ الْحَجَرِ قَدْ عَرَفَهُ السَّبْطُ الَّذِي مِنْهُ شَرِبَهُ فَلِذَلِكَ خَصَّ جِلَّ ثَنَاؤَهُ هَؤُلَاءِ بِالْخَيْرِ عَنْهُمْ أَنَّ كُلَّ أُنَاسٍ مِنْهُمْ كَانُوا عَالِمِينَ بِمَشْرَبِهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ إِذْ كَانَ غَيْرُهُمْ فِي الْمَاءِ الَّذِي لَا يَمْلِكُهُ أَحَدٌ شُرَكَاءَ فِي مَنَابِعِهِ وَمَسَائِلِهِ وَكَانَ كُلُّ سَبْطٍ مِنْ هَؤُلَاءِ مَفْرَدًا بِشَرْبِ مَنبَعٍ مِنْ مَنَابِعِ الْحَجَرِ دُونَ سَائِرِ مَنَابِعِهِ خَاصًّا لَهُمْ دُونَ سَائِرِ الْأَسْبَاطِ غَيْرِهِمْ فَلِذَلِكَ خَصُّوا بِالْخَيْرِ عَنْهُمْ أَنَّ كُلَّ أُنَاسٍ مِنْهُمْ قَدْ عَلِمُوا مَشْرَبَهُمْ. ^{١٦٨}

وقوله تعالى : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ﴾ أَخْبَرَ اللَّهُ جِلَّ ثَنَاؤَهُ أَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِأَكْلِ مَا رَزَقَهُمْ فِي التِّيهِ مِنَ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى وَبِشَرْبِ مَا فَجَّرَ لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ الْمُتَعَاوِرِ الَّذِي لَا قَرَارَ لَهُ فِي الْأَرْضِ وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ لِمَالِكِيهِ يَتَدَفَّقُ بَعْيُونَ الْمَاءِ وَيَزْخَرُ بَيْنَ بَيْعِ الْعَذْبِ الْفَرَاتِ بِقُدْرَةِ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ثُمَّ تَقَدَّمَ جِلَّ ذَكَرَهُ إِلَيْهِمْ مَعَ إِبَاحَتِهِمْ مَا أَبْلَحَ وَإِنْعَامَهُ عَلَيْهِمْ بِمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْعَيْشِ الْمُنِيِّ بِالنَّهْيِ عَنِ السَّعْيِ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَالْعَثَا فِيهَا اسْتِكْبَارًا فَقَالَ جِلَّ ثَنَاؤَهُ لَهُمْ ﴿ وَلَا تَعَثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾

١٦٩

^{١٦٨} تفسير الطبري ٣٠٨، ٣٠٧/١

^{١٦٩} انظر تفسير الطبري ٣٠٨/١

الفرق بين قوله تعالى: ﴿فَأَنْفَجَرَتْ﴾ و﴿فَأَنْبَجَسَتْ﴾.

ذكر سبحانه وتعالى: ﴿فَأَنْفَجَرَتْ﴾ في سورة [البقرة: ٦٠] وفي [الأعراف: ١٦] ﴿فَأَنْبَجَسَتْ﴾ وبينهما اختلاف لأن الانفجار خروج الماء بكثرة والانبحاس خروجه قليلا.

قال الراغب الأصفهاني: يقال ببحس الماء وانبحس انفجر، لكن الانبحاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع، ولذلك قال عز وجل: ﴿فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ وقال في موضع آخر: ﴿فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ فاستعمل حيث ضاق المخرج اللفظان، قال تعالى: {وفجرنا..نهرًا} وقال: {وفجرنا الأرض عيوننا} ولم يقل ببحسنا^{١٧٠}.

وقد ذكر الفخر الرازي الجواب على هذا من ثلاثة أوجه:

أحدها: الفجر الشق في الأصل، والانفجار الانشقاق، ومنه الفاجر لأنه يشق عصا المسلمين بخروجه إلى الفسق، والانبحاس اسم للشق الضيق القليل، فهما مختلفان اختلاف العام والخاص، فلا يتناقضان.

وثانيها: لعله انبحس أولا، ثم انفجر ثانيا، وكذا العيون يظهر الماء منها قليلا ثم يكثر لدوام خروجه.

وثالثها: لا يمتنع أن حاجتهم كانت تشتد إلى الماء فينفجر، أي يخرج الماء كثيرا ثم كلنت تقل فكان الماء ينبحس أي يخرج قليلا^{١٧١}.

ولا تعارض بين اللفظين لاختلاف الأحوال ففي حالة كانوا يحتاجون إلى الماء الكثير فجاء التعبير بقوله فانفجرت، وتارة كان احتياجهم للماء قليلا فيأتي التعبير فانبحست.

^{١٧٠} مفردات القرآن مادة: بحس

^{١٧١} انظر التفسير الكبير ٩٦/٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وجه الإعجاز في انفجار الحجر بالماء.

أولا : إذا كان الحجر الذي يضربه موسى ﷺ معهودا محمولا فهذا معجز ، وإن كلن أي حجر في البرية يضربه فهو معجز آخر.

ثانيا : بما أن كتلة الحجر يخرج ما هو أكبر وأكثر منها من الماء دل على معجز ثان.

ثالثا : تفرق الماء إلى عيون متعددة - اثنا عشرة عينا - والمنبع واحد صغير دل على معجز ثالث.

رابعا : كون كل سبط من الأسباط يعلم العين التي يشرب منها ، وقد خصصت له دون غيره دل على معجز رابع.

خامسا : ظهور الماء على وجه الأرض مع أنهم في صحراء قاحلة متى أرادوا دل على معجز خامس. والله أعلم.

المبحث التاسع : أخذ آل فرعون بالسنين ونقص الثمرات وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ

أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾
فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا
بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَّا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ [الأعراف: ١٣٠-١٣١]

قال الراغب الأصفهاني : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ فعبارة عن
الجذب وأكثر ما تستعمل السنة في الحول الذي فيه الجذب، يقال أسنت القوم أصابتهم
السنة، قال الشاعر: لها أرج ما حولها غير مست^{١٧٢}.

وفي لسان العرب : السنة : الجذب يقال أخذتم السنة إذا أجذبوا وأقحطوا وهي
من الأسماء الغالبة نحو الدابة في الفرس والجمال في الإبل وقد خصوها بقلب
لامها تاء في أسنتوا إذا أجذبوا وفي حديث عمر رضي الله عنه : أنه كان لا يجيز
نكاحا عام سنة^{١٧٣} أي عام جذب. يقول : لعل الضيق يحملهم على أن ينكحوا غير
الأكفاء. وكذلك حديثه الآخر (كان لا يقطع في عام سنة^{١٧٤}) يعني السارق
وفي حديث طهفة^{١٧٥} (فأصابتنا سنوية حمراء) أي جذب شديد وهو تصغير تعظيم
وفي حديث الدعاء على قريش (أعني عليهم بسنين كسني يوسف^{١٧٦})

^{١٧٢} مفردات القرآن مادة : سنة

^{١٧٣} أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣٩/٤ باب: ما قالوا في النكاح في عام الجذب.

^{١٧٤} أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٥٢١/٥ باب: في الرجل يسرق التمر والطعام، وعبدالرزاق في مصنفه

٢٤٢/١٠ باب: القطع في عام سنة، وجزء أشيب ص ٣٤

^{١٧٥} قال ابن حجر في الإصابة ٥٤٦/٣ : طهية بن أبي زهير النهدي وقال أبو عمر طهفة بن زهير النهدي قاله

بالفاء وضبطه غيره بالياء المثناة التحتانية بدل الفاء بوزنه وروى بن الأعرابي في معجمه وأبو نعيم من طريق العوام
بن حوشب عن الحسن بن عمران بن حصين قال وقدم وفد بني همد على النبي ﷺ فقام طهفة بن أبي زهير فقال
أتيناك يا رسول الله من غوري تمائة على أكوار تميس نرمي بها العيس ونستخلب الخبير ونستحلب الصبير
ونستعصد البرير فذكر الحديث وفيه غريب كثير وفيه أن النبي ﷺ دعا لهم وكتب لهم كتابا فقال أبو نعيم كذا
قال شريك عن العوام وقال زهير بن معاوية معاوية يعني بسند آخر طهفة بن أبي زهير ثم أفردته بترجمة وأخرج من

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

حديث الدعاء على قريش (أعني عليهم بسنين كسني يوسف^{١٧٦}) هي التي ذكرها الله في كتابه: {ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد} أي سبع سنين فيها قحط. فأما قول بعض الأنصار هو سويد بن الصامت :

فليست بسنهاء ولا رجبية * ولكن عرايا في السنين الجوائح

قال أبو عبيد : لم تصبها السنة المجدبة السنهاء التي أصابتها السنة المجدبة وقد تكون النخلة التي حملت عاما ولم تحمل آخر وقد تكون التي أصابها الجذب وأضر بها فنفي ذلك عنها.

قال الأصمعي : إذا حملت النخلة سنة ولم تحمل سنة قيل : قد عاومت سانته.^{١٧٧}

قال الفخر الرازي : السنين جميع السنة قال أبو علي الفارسي: السنة على معنيين: أحدهما: يراد بها — الحول والعام — والآخر يراد بها — الجذب — وهو خلاف الخصب.

قال أبو زيد: بعض العرب تقول ، هذه سنين ورأيت سنينا ، فتعرب النون ونحوه.

قال الفراء: ومنه قول الشاعر: دعاني من نجد فإن سنينه * لعين بنا وشيبننا مردا

قال الزجاج : السنين في كلام العرب الجدوب ، يقال : مستهم السنة ومعناه : جذب السنة. وشدة السنة.^{١٧٨}

طريق الوليد بن عبد الواحد عن زهير وكذا ذكره بن قتيبة في غريب الحديث من طريق زهير بن معاوية عن ليث عن حبة العربي عن حذيفة بن اليمان قال قدم طهفة ، ورواه بن الجوزي في العلل من وجه ضعيف جدا من حديث علي بن أبي طالب فقال فيه قدم وفد بني همد وفيهم طخفة بن زهير كذا وقع فيه بالخاء المعجمة والفاء ووقع عند = الرشاطي عن الهمداني طهفة بن أبي زهير وذكر حديثه مطولا بغير إسناد . وقال في لسان الميزان ٤٣٣/٣ : عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن سعيد العذري عن شريك بن جابر باطل في وفد بني همد رواه عنه أبو سعيد كبران وفي العلل المتناهية ١٨٥/١ لابن الجوزي قال : وهذا لا يصح وفيه مجهولان.

^{١٧٦} أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب صفة الصلاة ، باب: يهوي بالتكبير حين يسجد ، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، باب: استحباب القنوت في جميع الصلاة ، وأحمد في المسند ٥٢١/٢ رقم ١٠٧٦٤ ، والدارقطني في السنن ٣٨/٢ جميعهم عن أبي هريرة ، وأخرجه نعيم بن حماد في كتاب الفتن ٦٠١/٢ عن ابن مسعود وإسناده صحيح.

^{١٧٧} لسان العرب مادة : سنة

^{١٧٨} التفسير الكبير ٢١٤/١٤

ف قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَّصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾

فمعناه : أخذناهم بالجذب والقحط ، وليس المعنى الزمن المقدر . قال الطاهر بن عاشور : فالسنين في الآية مراد بها القحوط ، وجمعها باعتبار كثرة مواقعها أي : أصابهم القحط في جميع الأراضين والبلدان ، فالمعنى : ولقد أخذناهم بالقحوط العامة في كل أرض^{١٧٩} . انتهى .

وقال الطبري : ولقد اخترنا قوم فرعون وأتباعه على ما هم عليه من الضلالة بالسنين يقول بالجدوب سنة بعد سنة والقحوط . يقال منه أسنت القوم إذا أجدبوا .

﴿ وَنَقَّصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ يقول واختبرناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل بكثرة العاهات ، وبسببها يقل الإنتاج فيحصل الضرر عليهم .

﴿ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ عظة لهم وتذكيرا لهم لينزجروا عن ضلالتهم ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة . لأن المصائب إذا وقعت من شأنها أن عظة لصاحبها ، ولكنهم أبوا إلا التمرد والعناد ، ولم تردهم نزول هذه المحن عليهم إلا كفرا وعصيانا .

عن أبي عبيدة عن عبد الله ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ قال سني الجوع .

وعن قتادة قوله ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ أخذهم الله بالسنين بالجوع عاما فعاما ﴿ وَنَقَّصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ فأما السنين فكان ذلك في باديتهم وأهل مواشيهم وأما بنقص من الثمرات فكان ذلك في أمصارهم وقراهم .^{١٨٠}

^{١٧٩} تفسير التحرير والتنوير ٥ / ٦٣

^{١٨٠} تفسير الطبري ٦ / ٢٩ بتصرف

المبحث العاشر : في أنواع العذاب الذي نزل على بني إسرائيل .

قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ
وَالدَّمَ ءآيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣]

قال ابن عباس : إن القوم لما قالوا لموسى : مهما أتيتنا بآية من ربك، فهي عندنا من بلب
السحر ، ونحن لا نؤمن بما ألبتة ، وكان موسى عليه السلام رجلا حديدا، فعند ذلك دعا
عليهم فاستجاب الله له، فأرسل عليهم الطوفان الدائم ليلا ونهارا سبتا إلى سبت، حتى
كان الرجل منهم لا يرى شمسا ولا قمرا ولا يستطيع الخروج من داره وجاءهم الغرق،
فصرخوا إلى فرعون واستغاثوا به، فأرسل إلى موسى عليه السلام وقال: اكشف عنا
العذاب فقد صارت مصر بحرا واحدا، فإن كشفت هذا العذاب آمنا بك، فأزال الله
عنهم المطر وأرسل الرياح فجففت الأرض، وخرج من النبات ما لم يروا مثله قط.
فقالوا: هذا الذي جزعنا منه خير لنا لكنا لم نشعر. فلا والله لا نؤمن بك ولا نرسل معك
بني إسرائيل فنكثوا العهد، فأرسل الله عليهم الجراد، فأكل النبات وعظم الأمر عليهم حتى
صارت عند طيراتها تغطي الشمس، ووقع بعضها على بعض في الأرض ذراعا، فأكلت
النبات، فصرخ أهل مصر، فدعا موسى عليه السلام فأرسل الله تعالى ريحا فاحتملت
الجراد فألقته في البحر، فنظر أهل مصر إلى أن بقية من كلهم وزرعهم تكفيهم. فقالوا:
هذا الذي بقي يكفيننا ولا نؤمن بك. فأرسل الله بعد ذلك عليهم القمل، سبتا إلى سبت،
فلم يبق في أرضهم عود أخضر إلا أكلته، فصاحوا وسأل موسى عليه السلام ربه، فأرسل
الله عليها ريحا حارة فأحرقتها، واحتملتها الرياح فألقته في البحر، فلم يؤمنوا، فأرسل الله
عليهم الضفادع بعد ذلك فخرج من البحر مثل الليل الدامس ووقع في الثياب والأطعمة،
فكان الرجل منهم يسقط وعلى رأسه ذراع من الضفادع، فصرخوا إلى موسى عليه
السلام، وحلفوا بالله لن نرفع عننا هذا العذاب لنؤمنن بك، فدعا الله تعالى فأمات
الضفادع، وأرسل عليها المطر فاحتملها إلى البحر، ثم أظهروا الكفر والفساد ، فأرسل الله
عليهم الدم فجرت أنهارهم دما فلم يقدرُوا على الماء العذب، وبنو إسرائيل يجدون الماء

العذب الطيب حتى بلغ منهم الجهد، فصرخوا وركب فرعون وأشراف قومه إلى أنهار بني إسرائيل فجعل يدخل الرجل منهم النهر فإذا اغترف صار في يده دما ومكثوا سبعة أيام في ذل لا يشربون إلا الدم. فقال فرعون: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٦﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى آجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٧﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٤-١٣٦] فهذا هو القول المرضي عند أكثر المفسرين، وقد وقع في أكثرها اختلافات . وقد روي نحو هذا عن سعيد بن جبير ، وقتادة ، والسدي.^{١٨١}

^{١٨١} انظر تفسير الطبري ٦ / ٣٤ وتفسير ابن كثير ٣ / ٤٦١، ٤٦٢، والبداية والنهاية ١ / ٢٤٨ والدر المنثور ٣ / ٢٠٤

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

أما الطوفان :

اختلف المفسرون في معنى الطوفان ، فقال بعضهم : هو الماء ، فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما جاء موسى بالآيات كان أول الآيات الطوفان فأرسل الله عليهم السماء.^{١٨٢}

والأكثر من أهل العلم على أن هذا الطوفان هو المطر الكثير على ما روي عن ابن عباس ، وبه قال سعيد بن جبير ، وقتادة ، والسدي ، والضحاك^{١٨٣} ومجاهد إلا أنه قلل : الطوفان الماء والطاعون على كل حال.^{١٨٤}

وقال آخرون بل هو الموت ، وقد روى عطاء عن ابن عباس أنه قال: الطوفان هو كثرة الموت.^{١٨٥}

وعن ابن جريج قال : سألت عطاء ما الطوفان ؟ قال الموت.^{١٨٦}

وعن عبد الله بن كثير ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾ قال : الموت.^{١٨٧}

وروى ابن جرير^{١٨٨} وابن مردويه من طريق يحيى بن يمان ، عن المنهال بن خليفة ، عن الحجاج ، عن الحكم بن ميناء ، عن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال : ((الطوفان الموت)) وهو غريب^{١٨٩}.

وقال آخرون بل ذلك كان أمرا من الله طاف بهم.

^{١٨٢} أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣٠ / ٦

^{١٨٣} انظر التفسير الكبير ٢١٨/٢١٧/١٤ والبداية والنهاية ٢٤٨/١

^{١٨٤} أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣٠ / ٦

^{١٨٥} انظر تفسير الطبري ٥١/١٣ وتفسير ابن كثير ٢٥٠/٢ والتفسير الكبير ٢١٧/١٤ ، ٢١٨ والبداية والنهاية

٢٤٨/١

^{١٨٦} أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣١/٦

^{١٨٧} أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣١/٦

^{١٨٨} في تفسيره ٥٢،٥١/١٣

^{١٨٩} قاله ابن كثير في البداية والنهاية ٢٤٨/١ وفي التفسير ٢٥٠/٢ وهو حديث غريب . قال أحمد شاكر - رحمه

الله - في تحقيقه لتفسير الطبري : هو ضعيف ، لضعف المنهال بن خليفة . وقال الألباني في ضعيف الجامع ص ٥٣٦

رقم ٣٦٦٠ : موضوع ، وأحال على السلسلة الضعيفة رقم الحديث ٣٨٤٣

عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾

قال أمر الله الطوفان ثم قال ﴿ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ﴾^{١٩٠}

قال ابن جرير : والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله ابن عباس على ما رواه عنه أبو ظبيان : أنه أمر من الله طاف بهم وأنه مصدر من قول القائل طاف بهم أمر الله يطوف طوفانا كما يقال نقص هذا الشيء ينقص نقصانا وإذا كان ذلك كذلك جاز أن يكون الذي طاف بهم المطر الشديد ، وجاز أن يكون الموت الذريع ، ومن الدلالة على أن المطر الشديد قد يسمى طوفانا ، قول الحسن بن عرفطة :

غير الجدة من آياتها * خرق الريح وطوفان المطر^{١٩١}

ويروى خرق الريح بطوفان المطر.

وقول الراعي :

تضحى إذا العيس أدر كنا نكائتها * خرقاء يعتادها الطوفان والزؤد^{١٩٢}

وقول أبي النجم :

قدم طوفان فبث مددا * شهرا شآيب وشهرا بردا.^{١٩٣}

وقال الزجاج: الطوفان من كل شيء ما كان كثيرا محيطا مطبقا بالقوم كلهم، كالغرق الذي يشمل المدن الكثيرة، فإنه يقال له طوفان، وكذلك القتل الذريع طوفان، والموت الجارف طوفان.

وقال الأخفش: هو فعلان من الطوف، لأنه يطوف بالشيء حتى يعم. قال: وواحد في القياس طوفانه.

وقال المبرد: الطوفان مصدر مثل «الرجحان والنقصان» فلا حاجة إلى أن يطلب له واحدا.

^{١٩٠} أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣٢/٦

^{١٩١} البيت في لسان العرب مادة : طوف.

^{١٩٢} البيت في لسان العرب مادة : زاد.

^{١٩٣} انظر تفسير الطبري ٣٢/٦

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

قال ابن حجر في فتح الباري : ويقال للموت الكثير الطوفان قال أبو عبيدة : الطوفان من السيل ومن الموت : البالغ الذريع ، كأنه مأخوذ من أطاف به إذا عمه بالهلاك. وعن الأخفش الطوفان : واحده طوفانه وقيل : هو مصدر كالرجحان والنقصان فلا واحد له.

وروى بن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال أرسل عليهم المطر حتى خافوا الهلاك فأتوا موسى فدعا الله فرفع ثم عادوا.

وعند ابن مردويه بإسنادين ضعيفين عن عائشة مرفوعا ((الطوفان الموت))^{١٩٤} قال النحاس : الطوفان في اللغة : ما كان مهلكا ، من موت أو سيل ، أي يطيف بهم فيهلكهم^{١٩٥}.

وكل هذه الأقوال التي ذكرها أهل التفسير واللغة في معنى الطوفان محتمل وقوعها ، ولا نستطيع الجزم بأن هذا القول هو المتعين الأخذ به ، فيكون الجمع بين هذه المعاني جميعا ، أن المطر جاءهم ، فسال الماء عليهم ، وحصل من هذا الفيضان أن أصابهم الغرق ، فكثر الموت فيهم. والله أعلم.

^{١٩٤} فتح الباري ٢٩٩/٨ والحديث سبق تخريجه.

^{١٩٥} معاني القرآن ٣ / ٦٩

وأما الجراد:

قال في اللسان : والجراد : معروف الواحدة جرادة تقع على الذكر والأنثى قال الجوهري : وليس الجراد بذكر للجرادة وإنما هو اسم للجنس كالبقرة والبقرة والتمر والتمرة والحمام والحمامة وما أشبه ذلك فحق مذكره أن لا يكون مؤنثه من لفظه لثلا يلتبس الواحد المذكر بالجمع . قال أبو عبيد : قيل هو سرودة ثم دبي ثم غوغاء ثم خيفان ثم كتفان ثم جراد وقيل : الجراد الذكر و الجرادة الأنثى ; ومن كلامهم : رأيت جرادا على جرادة كقولهم : رأيت نعاما على نعامة : قال الفارسي : وذلك موضوع على ما يحفظون عليه ويتركون غيره بالغالب إليه من إلزام المؤنث العلامة المشعرة بالتأنيث وإن كان أيضا غير ذلك من كلامهم واسعا كثيرا يعني المؤنث الذي لا علامة فيه كالعين والقدر والعناق والمذكر الذي فيه علامة التأنيث كالحمامة والحية : قال أبو حنيفة : قال الأصمعي إذا اصفرت الذكور واسودت الإناث ذهب عنه الأسماء إلا الجراد يعني أنه اسم لا يفارقها.

وذهب أبو عبيد في الجراد إلى أنه آخر أسمائه . كما تقدم وقال أعرابي : تركت جرادا كأنه نعامة جائمة.

وجردت الأرض فهي مجرودة إذا أكل الجراد نبتها ، وجرد الجراد الأرض يجردها جردا : احتتك ما عليها من النبات فلم يبق منه شيئا . وقيل : إنما سمي جرادا بذلك . قال ابن سيده : فأما ما حكاه أبو عبيد من قولهم : أرض مجرودة من الجراد فالوجه عندي أن يكون مفعولة من جردها الجراد كما تقدم وللآخر أن يعني بها كثرة الجراد كما قالوا : أرض موحوشة كثيرة الوحش فيكون على صيغة مفعول من غير فعل إلا بحسب التوهم كأنه جردت الأرض أي حدث فيها الجراد أو كأنها رميت بذلك^{١٩٦} .

^{١٩٦} انظر لسان العرب مادة : جرد

وأما القمل :

فقد اختلف المفسرون فيه اختلافا كثيرا :

فقيل : هو الربي الصغير الذي لا أجنحة له ، وهي بنات الجراد . قاله ابن عباس ، والسدي ، وقتادة ، ومجاهد.^{١٩٧}

وقال الراغب : صغار الذباب^{١٩٨} .

وقال عكرمة : الجنادب ، بنات الجراد . وقال حبيب بن أبي ثابت : الجعلان .

وقال أبو الحسن الأعرابي العدوي : دواب صغار من جنس القردان إلا أنها أصغر منه واحدهما قملة^{١٩٩} .

قال النحاس : وليس هذا بناقض لما قاله أهل التفسير لأنه يجوز أن تكون هذه الأشياء كلها أرسلت عليهم وهي كلها تجتمع في أنها تؤذيهم^{٢٠٠} .

وعن سعيد بن جبير : كان إلى جنبهم كتيب أعفر فضربه موسى عليه السلام بعصاه فصار قملا . فأخذت في أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ، ولزم جلودهم كأنه الجدري ، فصاحوا وصرخوا وفرغوا إلى موسى فرغ عنهم ، فقالوا: قد تيقنا الآن أنك ساحر عليم . وعزة فرعون لا تؤمن بك أبدا ، وقرأ الحسن { والقمل } بفتح القلف ، وسكون الميم . يريد القمل المعروف.^{٢٠١}

قال ابن حجر : قوله أي البخاري في صحيحه ﴿ وَالْقُمَّل ﴾ الحمnan بضم المهملة وسكون الميم شبة صغار الحلم بفتح المهملة واللام قال أبو عبيدة : ﴿ وَالْقُمَّل ﴾ عند

العرب هو الحمnan ، والحمnan : ضرب من القردان واحدها حمنانة.^{٢٠٢}

وأما الضفادع فمعروفة ، ولم يختلف أهل العلم بأنها الدابة المعروفة التي تعيش في الماء وخارجة .

^{١٩٧} انظر تفسير الطبري ٣٣،٣٢/٦

^{١٩٨} مفردات ألفاظ القرآن ٤٢٩

^{١٩٩} ذكر هذه الأقوال النحاس في معاني القرآن ٧٠ / ٣

^{٢٠٠} معاني القرآن ٧٠ / ٣

^{٢٠١} انظر تفسير الطبري ٣٩،٣٨/٦

^{٢٠٢} انظر فتح الباري ٢٩٩/٨

وأما الدم :

قال ابن كثير: وأما الدم فكان قد مزج ماؤهم كله به فلا يستقون من النيل شيئا إلا وجدوه دما عبيطا ولا من نهر ولا بئر ولا شيء إلا كان دما في الساعة الراهنة . هذا كله ولم ينل بني إسرائيل من ذلك شيء بالكلية. وهذا من تمام المعجزة الباهرة، والحجة القاطعة، أن هذا كله يحصل لهم عن فعل موسى عليه السلام، فينالهم عن آخرهم، ولا يحصل هذا لأحد من بني إسرائيل، وفي هذا أدل دليل.^{٢٠٣}

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد قال : سألت النيل دما فكان الإسرائيلي يستقي ماء طيبا ويستقي الفرعوني دما ويشتركان في إناء واحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء طيبا وما يلي الفرعوني دما.^{٢٠٤}

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة قال : أرسل الله عليهم الدم فكانوا لا يعترفون من مائهم إلا دما أحمر حتى لقد ذكر لنا أن فرعون كان يجمع بين الرجلين على الإناء الواحد القبطي والإسرائيلي فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما.^{٢٠٥}

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم في قوله: ﴿ وَاللَّحْمَ ﴾ قال : سلط الله عليهم الرعاف.^{٢٠٦}

وأخرج أحمد في الزهد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن نوف الشامي قال : مكث موسى في آل فرعون بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم الآيات الجراد والقمل والضفادع والدم فيأبون أن يسلموا.^{٢٠٧}

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال : مكث موسى في آل فرعون بعد ما غلب السحرة أربعين سنة يريهم الآيات الجراد والقمل والضفادع.^{٢٠٨}

^{٢٠٣} البداية والنهاية ٢٤٨/١

^{٢٠٤} أخرجه ابن جرير في تفسيره ٦/٣٧ وانظر الدر المنثور ٢٠٦/٣

^{٢٠٥} انظر الدر المنثور ٢٠٦/٣

^{٢٠٦} أخرجه ابن جرير في تفسيره ٦/٣٩ وانظر الدر المنثور ٢٠٦/٣

^{٢٠٧} انظر الدر المنثور ٢٠٦/٣

^{٢٠٨} انظر الدر المنثور ٢٠٦/٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ قال: كانت آيات مفصلات بعضها على أثر بعض ليكون لله الحجة عليهم. ^{٢٠٩}

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله: ﴿ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ قال: يتبع بعضها بعضها تمكث فيهم سبتا إلى سبت ثم ترفع عنهم شهرا. ^{٢١٠}

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة قال: كان بين كل آيتين من هذه الآيات ثلاثون يوما. ^{٢١١}

وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: كانت الآيات التسع في تسع سنين في كل سنة آية. ^{٢١٢}

قال الفخر الرازي: ﴿مُفَصَّلَاتٍ﴾ أي مبینات ظاهرات لا يشكك على عاقل أنها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره. ^{٢١٣} وهذه الآيات دليل على صدق موسى - عليه الصلاة والسلام - لأنها مقترنة بالتحدي. والله أعلم.

وجه الإعجاز في هذه الآيات :

أولا : أن هذه الآيات لم تقع إلا بعد مخالفتهم لموسى عليه السلام وعدم الإيمان به وبما جاء به.

ثانيا : تسلط هذه البلايا على آل فرعون ، وبنو إسرائيل في أمان منها لم يلحقهم منها شيء دل على معجز آخر.

ثالثا : كونها لا ترتفع عنهم إلا إذا طلبوا من موسى ﷺ أن يدعوا لهم الله عز وجل أن يرفعها.

رابعا : خروجها عن المؤلف مما أفسد عليهم معاشهم وحياتهم. والله أعلم.

^{٢٠٩} المصدر السابق ٢٠٧/٣

^{٢١٠} المصدر السابق ٢٠٧/٣

^{٢١١} المصدر السابق ٢٠٧/٣

^{٢١٢} المصدر السابق ٢٠٧/٣

^{٢١٣} انظر التفسير الكبير ٢١٨، ٢١٧/١٤

المبحث الحادي عشر: في نتق الجبل.

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ [البقرة: ٦٣-٦٤]

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ [الأعراف: ١٧١]

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ هذه الآية تفسر معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾

في لسان العرب : النتق : الزعزعة ، والهز ، والجذب ، والنفض ، و نتق الشيء ينتقه وينتقه بالضم نتقا : جذبه واقتلعه وفي التنزيل ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾

﴿ أي زعزعناه ورفعناه وجاء في الخبر : أنه اقتلع من مكانه وقال الفراء في

ذلك : رفع الجبل على عسكرهم فرسخا في فرسخ و نتقنا : رفعنا ، وفرس

ناتق إذا كان ينفض راكمه ، و نتقت الدابة راكمها وبراكمها تنتق و تنتق نتقا و نتوقا إذا

نزته وأتعبته حتى يأخذه لذلك ربو و نتقت الغرب من البئر : أي جذبته بكرة ، و

نتق السقاء والحجاب وغيرهما من الأوعية نتقا إذا تفضه ليقتلع منه زبدته ، وقيل :

نفضه حتى يستخرج ما فيه ، وقد انتق هو و أنتق : فتق جرابه ليصلحه من

السوس . وفي الحديث في صفة مكة والكعبة : أقل نتائق الدنيا مدرا : النتائق

: جمع نتيقة فعيلة بمعنى مفعولة من النتق وهو أن يقلع الشيء فيرفعه من مكانه

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

ليرمي به هذا هو الأصل وأراد بها ههنا البلاد لرفع بنائها وشهرتها في موضعها ،
ونتقت الشيء إذا حركته حتى يسفك ما فيه قال : وكان نتق الجبل أنه قطع منه
شيء على قدر عسكر موسى فأظل عليهم قال لهم موسى : إما أن تقبلوا التوراة
وإما أن يسقط عليكم^{٢١٤}. انتهى.

فمعنى ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ ﴾ أي قلعناه من أصله وجعلناه فوقهم.

قال مجاهد^{٢١٥} : كما تنتق الزبدة أخرجنا الجبل.

وقال قتادة : انتزعه الله من أصله ثم جعله فوق رؤوسهم ، ثم قال : لتأخذن أميري أو
لأرمينكم به^{٢١٦}.

وقوله : ﴿ كَأَنَّهُ زُلَّةٌ ﴾ قال ابن عباس : كأنه سقيفة والظلة كل ما أظلك من

سقف بيت أو سحابة أو جناح حائط، والجمع ظلل وظلال .

﴿ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ [الأعراف: ١٧١] أي : تيقنوا.

قال الفخر الرازي : وقال أهل المعاني: قوي في نفوسهم أنه واقع بهم إن خالفوه، وهذا
هو الأظهر في معنى الظن.^{٢١٧}

و اختلف في الطور؛ قال ابن عباس : الطور الجبل الذي أنزلت عليه التوراة ، يعني على
موسى ، وكانت بنو إسرائيل أسفل منه.

قال ابن جريج : وقال لي عطاء : رفع الجبل على بني إسرائيل فقال لتؤمنن به أو ليقعن
عليكم فذلك قوله كأنه ظلة.^{٢١٨}

وروى الضحاك عنه : أن الطور مما أنبت من الجبال خاصة دون ما لم ينبت.^{٢١٩}

^{٢١٤} انظر لسان العرب مادة : نتق.

^{٢١٥} انظر تفسير الطبري ١٠٩/٦ والدر المنثور ٢٥٧/٣

^{٢١٦} انظر الدر المنثور ٢٥٧/٣

^{٢١٧} انظر التفسير الكبير ٤٥/١٥

^{٢١٨} انظر تفسير الطبري ٣٢٥/١

^{٢١٩} انظر تفسير الطبري ٣٢٦/١ والدر المنثور ١٤٦/١

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وقال مجاهد وقتادة: أي جبل كان. إلا أن مجاهدا قال: هو اسم لكل جبل بالسريانية.^{٢٢٠}
قال أبو السعود في معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي: أعرضتم عن الوفاء
بالميثاق. ﴿مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ من بعد أخذ ذلك الميثاق المؤكد^{٢٢١}.

^{٢٢٠} انظر تفسير الطبري ٣٢٦/١ والدر المنثور ١٤٦/١

^{٢٢١} تفسير أبو السعود ١٠٩/١

المطلب الثاني : في سبب رفع الطور.

وقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾

اختلف المفسرون - رحمهم الله - في الميثاق الذي بسببه رفع الجبل فوقهم ، قال ابن جرير - رحمه الله - : وكان سبب أخذ الميثاق عليهم فيما ذكره ابن زيد ما حدثني به يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : لما رجع موسى من عند ربه بالألواح قال لقومه بني إسرائيل إن هذه الألواح فيها كتاب الله وأمره الذي أمركم به ونهى الذي نهاكم عنه فقالوا ومن يأخذه بقولك أنت لا والله حتى نرى الله جهرة حتى يطلع الله علينا فيقول هذا كتابي فخذوه فما له لا يكلمنا كما كلمك أنت يا موسى فيقول هذا كتابي فخذوه قال فجاءت غضبة من الله فجاءهم صاعقة فصعقتهم فماتوا أجمعون ، قال ثم أحياهم الله بعد موتهم فقال لهم موسى خذوا كتاب الله فقالوا لا قال أي شيء أصابكم قالوا متنا ثم حيينا قال خذوا كتاب الله قالوا : لا ، فبعث ملائكته فنتقت الجبل فوقهم فقبل لهم أتعرفون هذا قالوا نعم هذا الطور قال خذوا الكتاب وإلا طرحناه عليكم قال فأخذوه بالميثاق ، وقرأ قول الله ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾

[البقرة: ٨٣] حتى بلغ ﴿ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥]

قال ولو كانوا أخذوه أول مرة لأخذوه بغير ميثاق^{٢٢٢}.

وعند القرطبي والرازي وابن كثير: أن موسى عليه السلام لما جاء بني إسرائيل من عند الله بالألواح فيها التوراة قال لهم: خذوها والتزموها. فقالوا: لا ! إلا أن يكلمنا الله بها كما كلمك. فصعقوا ثم أحيوا. فقال لهم: خذوها. فقالوا لا. فأمر الله الملائكة فاقتلعت جبلا

^{٢٢٢} تفسير الطبري ١/٣٢٤.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

من جبال فلسطين طوله فرسخ في مثله ؛ وكذلك كان عسكرهم؛ فجعل عليهم مثل الظلة، وأتوا ببحر من خلفهم ، وبار من قبل وجوههم ، وقيل لهم: خذوها وعليكم الميثاق ألا تضيعوها ، وإلا سقط عليكم الجبل. فسجدوا توبة لله وأخذوا التوراة بالميثاق. وكان سجودهم على شق ؛ لأنهم كانوا يرقبون الجبل خوفا ؛ فلما رحمهم الله قالوا: لا سجدة أفضل من سجدة تقبلها الله ورحم بها عباده ، فأمروا سجودهم على شق واحد. ٢٢٣

قال ابن الجوزي : وفي هذا الميثاق ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه أخذ ميثاقهم أن يعملوا بما في التوراة فكرهوا الإقرار بما فيها فرفع عليهم الجبل. قاله مقاتل.

قال أبو سليمان الدمشقي أعطوا الله عهدا ليعملن بما في التوراة فلما جاء بها موسى فرأوا ما فيها من التثقل امتنعوا من أخذها فرفع الطور عليهم.

والثاني : أنه ما أخذه الله تعالى على الرسل وتابعيهم من الإيمان بمحمد ﷺ ذكره الزجاج. والثالث : ذكره الزجاج أيضا فقال : يجوز أن يكون الميثاق يوم أخذ الذرية من ظهـر آدم ٢٢٤ .

وكل هذه الأقوال تحتملها الآية ، إذ أن بني إسرائيل قد أخذت عليهم كل هذه العهود ، لكنهم خالفوها ، وبدلوا فيها. والله أعلم.

٢٢٣ انظر تفسير القرطبي ٤٣٦/١ ، ٤٣٧ و التفسير الكبير ٤٥/١٥ والبداية والنهاية ٢٧٤/١

٢٢٤ زاد المسير ٩٣ / ١

وجه الإعجاز في رفع الجبل.

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ هذه الآية تفسر معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ كما مر معنا ، وأن النتق : معناه النزع ، وأن الله - عز وجل - قد رفع الجبل بجرمه الهائل الكبير فوقهم بلا عمد حقيقة ، وأصبح لهم كالسقيفة التي تظلهم يخوفهم به ، وهم ينظرون إليه مرعوبين خائفين أن يسقط عليهم. فهذه معجزة باهرة لموسى - عليه الصلاة والسلام - فمن يصدق بأن الأرض مكورة ، وأنها تدور في الفلك كغيرها من الكواكب ، فمن الأولى أن يصدق بهذه المعجزة العظيمة. فليس الجبل إلا شئ لا يذكر مع الأرض. والله أعلم .

المبحث الثاني عشر : في الغمام الذي ظلل به بنو إسرائيل .

قال تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰنَ
وَأَلْسَلَوْا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوْا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ ﴾ [البقرة: ٥٧]

قال ابن جرير : الغمام جمع غمامة كما أن السحاب جمع سحابة والغمام هو ما غم
السماء فألبسها من سحاب وقمام وغير ذلك مما يسترها عن أعين الناظرين وكل مغطى
فإن العرب تسميه مغموما ، وقد قيل : إن الغمام التي ظللها الله على بني إسرائيل لم تكن
سحابا^{٢٢٥} .

وأخرج بإسناده عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ قال
ليس بالسحاب ، هو الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة لم يكن إلا لهم .

ولا أعلم على ماذا استند مجاهد - رحمه الله - على قوله هذا ، فمثل هذا لا اجتهاد فيه
ولا مجال له إلا طريق السماع الصحيح .

وقد أخرج ابن جرير بإسناده عن ابن عباس قال : حدثني القاسم بن الحسن^{٢٢٦} قال
حدثنا الحسين^{٢٢٧} قال حدثني حجاج^{٢٢٨} عن ابن جريج^{٢٢٩} قال : قال ابن عباس :

^{٢٢٥} تفسير الطبري ٢٩٣/١

^{٢٢٦} القاسم بن الحسن بن يزيد أبو محمد الهمداني الصائغ قال الخطيب البغدادي : كان ثقة ، مات في سنة اثنتين

وسبعين ومائتين في الجانب الشرقي في شارع باب الخراسان حذاء منزل بني أشكاب ذكر محمد بن مخلد انه مات

في شهر ربيع الآخر وقال بن قانع انه مات بمصر . انظر تاريخ بغداد ٤٣٢/١٢ وسير أعلام النبلاء ١٥٨/١٣

^{٢٢٧} هو سنيد بن داود المصيبي أبو علي المحتسب واسمه الحسين وسنيد لقب غلب عليه ، قال أبو بكر الأثرم عن

احمد بن حنبل قد كان سنيد لزم حجاجا قديما قد رأيت حجاجا يملئ وأرجو ان لا يكون حدث الا بالصدق وقال

عبد الله بن احمد بن حنبل عن أبيه رأيت سنيد بن داود عند حجاج بن محمد وهو يسمع منه كتاب الجامع لابن

جرير فكان في كتاب الجامع ابن جريج أخبرت عن يحيى وأخبرت عن الزهري وأخبرت عن صفوان بن سليم قال

فجعل سنيد يقول لحجاج قل يا أبا محمد بن جريج عن الزهري وابن جريج عن يحيى بن سعيد وابن جريج عن

صفوان بن سليم وكان يقول له هكذا قال ولم يحمده أبي فيما رآه يصنع بحجاج وذمه على ذلك قال أبي وبعض

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ ﴾ قال : هو غمام أبرد من هذا وأطيب ، وهو الذي يأتي الله عز وجل فيه يوم القيامة في قوله : { في ظلل من الغمام } وهو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر . قال ابن عباس : وكان معهم في التيه^{٢٣٠} . وهذا لا مجال للإجتهد فيه إلا أن يكون بخبر مسموع . والله أعلم .

قال ابن جرير : وإذ كان معني الغمام ما وصفنا مما غم السماء من شيء فغطى وجهها عن الناظر إليها فليس الذي ظلله الله عز وجل على بني إسرائيل فوصفه بأنه كان غماما

هذه الأحاديث التي كان يرسلها بن جريج أحاديث موضوعة كان بن جريج لا يبالي من أين أخذها يعني قوله أخبرت وحدثت عن فلان وقال أبو بكر الخلال أخبرني محمد بن علي قال حدثنا الأثرم انه سمع أبا عبد الله يحكي عن سنيد نحو هذا الفعل مع حجاج قال وتكلم أبو عبد الله في ذلك بكلام ينكر على سنيد قال أبو بكر الخلال : فرى ان حجاجا كان منه هذا في وقت تغيره لان عبد الله بن احمد حكى عن أبيه ان حجاجا تغير في = آخر عمره ونرى ان أحاديث الناس عن حجاج صحاح صالحة الا ما روى سنيد من هذه الأحاديث وقال أبو عبيد الآجري : سألت أبا داود عنه فقال : لم يكن بذاك وكان يسكن الثغور . وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سئل أبي عنه فقال ضعيف . وقال النسائي : الحسين بن داود ليس بثقة . وذكره بن حبان في كتاب الثقات وقال : كان قد صنف التفسير ، روى عنه ابنه والناس ربما خالف . وقال أبو بكر الخطيب : لا اعلم أي شيء غمصوا على سنيد ، وقد رأيت الأكابر من أهل العلم رروا عنه واحتجوا به ، ولم اسمع عنهم فيه الا الخير وقد كان سنيد له معرفة بالحديث وضبط فأنه اعلم . وقد ذكره أبو حاتم في جملة شيوخه الذين روى عنهم ، فقال : بغدادي صدوق . قال أبو بكر بن أبي عاصم : مات سنة ست وعشرين ومئتين . انظر الجرح والتعديل ٣٢٦/٤ وتهذيب الكمال ١٦١/١٢ وتهذيب التهذيب ٢٤٤/٤ وسير أعلام النبلاء ٦٢٧/١٠

^{٢٢٨} حجاج بن محمد المصيصي الأعور أبو محمد مولى سليمان بن مجالد ترمذي الأصل سكن بغداد ثم تحول إلى المصيصة قال علي بن المديني والنسائي ثقة قال ابن سعد تحول إلى المصيصة ثم قدم بغداد في حاجة له فمات بها سنة ٢٠٦ كان ثقة صدوقا إن شاء الله وكان قد تغير في آخر عمره حين رجع إلى بغداد . انظر تهذيب الكمال ٤٥٢/٥ وتهذيب التهذيب ٢٠٥/٢ وتقريب التهذيب ١٥٣

^{٢٢٩} في الكاشف للذهبي : عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج ع ثقة مدلس قال الدارقطني يجتنب تدليسه فإنه وحش التدليس لا يدلس إلا فيما قد سمعه من مجروح كإبراهيم بن يحيى وموسى بن عبيدة فأما ابن عيينة فيدلس عن الثقات . مات سنة خمسين ومائة وقال أبو عيسى مات سنة خمسين ومائة وقال البخاري قال أبو نعيم مثل أبي عيسى قال البخاري وعلي بن المديني مات سنة ١٤٩ وقد جاز السبعين وقال عمرو بن علي مات سنة ١٤٩ . ترجمته في ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق ص ٢٥ ، والهداية والإرشاد ٤٨٠/٢ وتقريب التهذيب ص ٣٦٣ ^{٢٣٠} أخرجه في تفسيره ٢٩٣/١ والخبر لا يصح عن ابن عباس رضي الله عنه لعلتين : الأولى : للإنتقاع الذي بين ابن عباس وابن جريج ، والثانية : لضعف الحسين بن داود الملقب بسنيد .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

بأولى بوصفه إياه بذلك أن يكون سحاباً منه بأن يكون غير ذلك مما ألبس وجه السماء من شيء وقد قيل : إنه ما أبيض من السحاب.^{٢٣١}

ذكر المفسرون - رحمهم الله - أن هذا الغمام سخره الله - تعالى - لهم بحيث يظلهم من الشمس عندما كانوا في التيه. والله أعلم.

وجه الإعجاز في الغمام الذي ظلل به بنو إسرائيل .

يظهر الإعجاز في هذه الآية ، أن بني إسرائيل عندما أمروا أن يخرجوا من مصر ، خرجوا وهم متخفين من الأحمال والأمتعة ، وهذا شأن الذي يريد النجاة بنفسه ، وعندما عبروا البحر دخلوا في صحراء سيناء ، وفي العادة أن الصحراء تكون الشمس فيها شديدة الحرارة ، والشجر الذي يستظل به قليل ، والمياه فيها شحيحة ، والطعام نادر ، سخر الله تعالى لهم الغمام يقيهم حر الشمس. والله أعلم.

^{٢٣١} انظر تفسير الطبري ١/٢٩٣، ٢٩٤

المبحث الثالث عشر : في المن والسلوى المنزلة على بني إسرائيل .

قال تعالى : ﴿ يَلْبِنَىٰ إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْجِنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ ۗ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۗ وَمَن يَحِلَّلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۗ ﴾ [طه: ٨٠-٨١]

قال ابن كثير : يذكر تعالى منته وإحسانه إلى بني إسرائيل بما أجهاهم من أعدائهم وخلصهم من الضيق والهرج وأنه وعدهم صحبة نبيهم إلى جانب الطور الأيمن أي منهم، ليزل عليه أحكاما عظيمة فيها مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم وأنه تعالى أنزل عليهم في حال شدتهم وضرورتهم في سفرهم في الأرض التي ليس فيها زرع ولا ضرع، منا من السماء، يصبحون فيجدونه خلال بيوتهم، فيأخذون منه قدر حاجتهم في ذلك اليوم إلى مثله من الغد، ومن ادخر منه لأكثر من ذلك فسد، ومن أخذ منه قليلا كفاه، أو كثيرا لم يفضل عنه فيصنعون منه مثل الخبز، وهو في غاية البياض والحلاوة، فإذا كان من آخر النهار غشيهم طير السلوى، فيقتنصون منها بلا كلفة ما يحتاجون إليه حسب كفايتهم لعشائهم. ٢٣٢

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتاد في قوله تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۗ ﴾ [البقرة: ٥٧]

قال : كان هذا في البرية ظلل عليهم الغمام من الشمس وأطعمهم المن والسلوى حين برزوا إلى البرية فكان المن يسقط عليهم في محلتهم سقوط الثلج أشد بياضا من الثلج يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فيأخذ الرجل قدر ما يكفيه يومه ذلك

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

فإن تعدى فسد وما يبقى عنده حتى إذا كان يوم سادسه جمعة أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه فيبقى عنده لأن إذا كان يوم عيد لا يشخص فيه لأمر معيشة ولا لطلب شيء وهذا كله في البرية.^{٢٣٣}

وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة قال : المن : شيء أنزله الله عليهم مثل الطل شبه الرب الغليظ ، والسلوى : طير أكبر من العصفور.^{٢٣٤}

وأخرج وكيع وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد قال : المن : صمغة ، السلوى : طائر.^{٢٣٥}

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي قال : قالوا يا موسى كيف لنا بماء هاهنا أين الطعام ؟ فأنزل الله عليهم المن فكان يسقط على شجرة الترنجيبين.^{٢٣٦}

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن وهب بن منبه أنه سئل ما المن ؟ قلل : خبز الرقاق مثل الذرة أو مثل النقي .^{٢٣٧}

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس قال : المن : شراب كان يتزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ثم يشربونه.^{٢٣٨}

وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كان المن ينزل عليهم بالليل على الأشجار فيغذون إليه فيأكلون منه ما شاءوا ، والسلوى : طائر شبيه بالسماي كانوا يأكلون منه ما شاءوا .^{٢٣٩}

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : المن : الذي يسقط من السماء على الشجر فتأكله الناس ، والسلوى : هو السماي .^{٢٤٠}

^{٢٣٣} انظر الدر المنثور ١٣٧/١

^{٢٣٤} المصدر السابق ١٣٧/١

^{٢٣٥} المصدر السابق ١٣٧/١

^{٢٣٦} انظر تفسير الطبري ٢٩٤/١ والدر المنثور ١٣٧/١

^{٢٣٧} انظر تفسير الطبري ٢٩٤/١ والدر المنثور ١٣٧/١

^{٢٣٨} انظر تفسير الطبري ٢٩٤/١

^{٢٣٩} انظر الدر المنثور ١٣٧/١

^{٢٤٠} انظر الدر المنثور ١٣٧/١

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وقد تظاهرت الأخبار عن النبي ﷺ أن الكمأة من الطعام الذي أنزل على بني إسرائيل فعن سعيد بن زيد قال : قال النبي ﷺ (الكمأة^{٢٤١} من المن وماؤها شفاء للعين).^{٢٤٢}

وجه الإعجاز في المن والسلوى المنزلة على بني إسرائيل .

يظهر الإعجاز في كونهم في هذا المكان الذي لا طعام فيه ولا شراب ، ينزل عليهم الشراب الذي مثل العسل ، والطعام الذي هو من اللحم الطيب الذي تشتهي النفس السليمة من طير يشبه السمان ، بدون كلفة ولا مئونة ، فيحصل كل واحد منهم القدر الذي يكفيه سائر يومه ، وهم خلق كثير ، ويحصل لهم هذا كل يوم ، ولذا هؤوا عن الإدخار ، وأيضا هذه الطيور يمسكوا بها بدون عناء بأدوات صيد وغيرها ، بل تنزل عليهم مسخرة لهم. والله أعلم.

^{٢٤١} في لسان العرب مادة : كمأ : الكمء : نبات ينقض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر.

^{٢٤٢} أخرجه البخاري في التفسير ١٦٢٧/٤ ، باب: وقوله تعالى: وظللنا عليكم الغمام...ومسلم في الأشربة ، باب : فضل الكمأة وأحمد في المسند ١٨٧/١ والنسائي في الكبرى ١٥٦/٤ والترمذي ٤٠١/٤ وابن ماجه ١١٤٣/٢ والبيهقي ٣٤٥/٩ وأخرج أحمد ٣٠١/٢، ٣٠٥، ٣٢٥، والترمذي ٤٠١/٤ والنسائي ١٥٧/٤ من حديث أبي هريرة مثله ، وأخرج النسائي ١٥٧/٤ من حديث جابر بن عبد الله مثله وأخرج الطبراني في الكبير ٦٣/١٢ عن ابن عباس مثله وعن حريث الغطفاني ٣٠٢/٣

المبحث الرابع عشر : ميت بني إسرائيل.

المطلب الأول : قصة بقرة بني إسرائيل.

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعُ لَوْنَهَا تَسْرُ النَّظِيرِينَ ﴿١٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٢٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٦٧-٧٣]

تعرضت هذه الآية لقصة من قصص بني إسرائيل والتي يتبين فيها مدى تعنت هؤلاء القوم وكثرة لجاحهم وعنادهم ، والبعد عن امتثال أوامر الله - تعالى - وقلة توفيرهم لنبينهم موسى - عليه الصلاة والسلام - وكل هذا من قلة دينهم .

قال ابن جرير : هذه الآية مما وبخ الله بها المخاطبين من بني إسرائيل في نقض أوائلهم الميثاق الذي أخذه الله عليهم بالطاعة لأنبيائه فقال لهم : واذكروا أيضا من نكثكم ميثاقي

إذ قال موسى لقومه وقومه بنو إسرائيل إذ ادأروا في القتل الذي قتل فيهم إليه ﴿ إِنَّ

اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا ﴾

والهزو : اللعب والسخرية كما قال الراجز :

قد هزئت مني أم طيسله * قالت أراه معدما لا شيء له^{٢٤٣}

يعني بقوله قد هزئت قد سخرت ولعبت ولا ينبغي أن يكون من أنبياء الله فيما أخبرت عن الله من أمر أو نهي هزو أو لعب فظنوا بموسى أنه في أمره إياهم عن أمر الله تعالى ذكره بذبح البقرة عند تدارثهم في القتل إليه أنه هازيء لاعب ولم يكن لهم أن يظنوا ذلك بنبي الله وهو يخبرهم أن الله هو الذي أمرهم بذبح البقرة.^{٢٤٤}

وقد ذكر البغوي^{٢٤٥} وابن الجوزي والبيضاوي^{٢٤٦} والنسفي^{٢٤٧} وأبو السعود^{٢٤٨} وغيرهم من المفسرين أن أول هذه القصة مؤخر في التلاوة ، وأن أول هذه القصة قوله تعالى : ﴿

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارْتُمْ فِيهَا ﴾ وهي مقدمة في المعنى ، لأن السبب في الأمر

بذبح البقرة قتل النفس ، وذكر ابن الجوزي^{٢٤٩} أن تقدير الكلام : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ

نَفْسًا فَادَّارْتُمْ فِيهَا ﴾ فسألتم موسى فقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا

بَقْرَةً ﴾. انتهى. وكل منهم تكلم عن معنى في التقديم والتأخير ، وعدم الترتيب بكلام

لا يخرج بعضه عن التكلف.

^{٢٤٣} البيت في لسان العرب مادة : ظل.

^{٢٤٤} انظر تفسير الطبري ٣٣٧/١

^{٢٤٥} في تفسيره ٨٤ / ١

^{٢٤٦} في تفسيره ١٤

^{٢٤٧} في تفسيره ٥٣

^{٢٤٨} في تفسيره ١١٤ / ١

^{٢٤٩} في زاد المسير ١٠٠ / ١

وقد خطأ الفخر الرازي^{٢٥٠} من يقول بأن في الآية تقديم وتأخير، وأشار على أنهما قصتان

منفصلتان ، وقال بهذا أيضا الطاهر بن عاشور في تفسيره^{٢٥١} وذكر بأن أمر موسى إيلهم بذبح البقرة أشارت إليها التوراة ونقل نصا منها ، ثم ما كان ما حدث من قتل القتيل نزلت في يوم ذبح البقرة ، فأمرهم الله بأن يضربوا القتيل ببعض تلك البقرة ، ثم قال وبذلك يظهر وجه ذكرهما قصتين .

وقال رحمه الله : وقد أجمل القرآن ذكر القصتين لأن موضع التذكير والعبارة منهما هو ما حدث في خلالهما ، لا تفصيل الوقائع فكانت القصة الأولى تشريعا سبق ذكره لما قارنه من تلقيه الأمر بكثرة السؤال الدال على ضعف الفهم للشريعة وعلى تطلب أشياء لا ينبغي أن يظن إتمام التشريع بها ، وكانت القصة الثانية منة عليهم بأية من آيات الله ومعجزة من معجزات رسولهم بينه الله لهم ليزدادوا إيمانا ، ولذلك ختمت بقوله ﴿

وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وأتبع بقوله ﴿ ثم قست قلوبكم من بعد

ذلك ﴾ انتهى

وكان سبب قول موسى لهم ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾

ماروي عن ابن عباس ، وعبيدة السلماني ، وأبو العالية ، ومجاهد ، والسدي ، وغير واحد من السلف: كان رجل في بني إسرائيل كثير المال، وكان شيخا كبيرا، وله بنو أخ، وكانوا يتمنون موته ليرثوه، فعمد أحدهم فقتله في الليل وطرحه في مجمع الطرق، ويقال على باب رجل منهم. فلما أصبح الناس اختصموا فيه، وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ ويتظلم، فقالوا: مالكم تحتصمون ولا تأتون نبي الله؟ فجاء ابن أخيه فشكى أمر عمه إلى رسول الله موسى صلى الله عليه وسلم. فقال موسى عليه السلام: «أنشد الله رجلا عنده علم من أمر هذا القتيل إلا أعلمنا به» فلم يكن عند أحد منهم علم منه، وسألوه أن يسأل في هذه القضية ربه عز وجل. فسأل ربه عز وجل في ذلك، فأمره الله أن يأمرهم

^{٢٥٠} التفسير الكبير ٣ / ١٢٣

^{٢٥١} التحرير والتنوير ١ / ٥٤٦، ٥٤٧

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

بذبح بقرة فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا

هُزُؤًا ﴾ يعنون نحن نسألك عن أمر هذا القتل، وأنت تقول لنا هذا؟ ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ

أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ أي أعوذ بالله أن أقول عنه غير ما أوحى إلي، وهذا

هو الذي أجابني حين سألته عما سألتهموني أن أسأله فيه. ^{٢٥٢}

وهذه القصة كما ترى - وإن كانت معتدلة بعيدة عن مبالغات أهل الكتاب - لا يبعد عن كونها من أخبارهم.

قال ابن جرير وغير واحد من المفسرين: لو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل المقصود منها، ولكن شددوا فشدد الله عليهم.

فسألوا عن صفتها، ثم عن لونها، ثم عن سننها، فأجيبوا بما عز وجوده عليهم.

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس قال : لو أخذوا أدنى بقرة فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا وتعنتوا موسى فشدد الله عليهم. ^{٢٥٣}

وأخرج ابن جرير ^{٢٥٤} وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس في قوله ﴿ لَا

فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ قال : الفارض الهرمة والبكر الصغيرة

والعوان النصف. ^{٢٥٥}

أخرج البزار عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : (إن بني إسرائيل لو أخذوا أدنى بقرة لأجزأهم ذلك ، أو لأجزأت عنهم). ^{٢٥٦}

^{٢٥٢} انظر تفسير الطبري ٣٣٧/١، ٣٤٠،

^{٢٥٣} انظر المصدر السابق ٣٣٧/١ والدر المنثور ١٥٠/١

^{٢٥٤} في التفسير ٢٤١/١

^{٢٥٥} الدر المنثور ١٥١/١

^{٢٥٦} إسناده ضعيف قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣١٤/٦ : رواه البزار وفيه عباد بن منصور وهو ضعيف وبقية

رجاله ثقات . قال الذهبي في الكاشف ٥٣٢/١ : عباد بن منصور الناجي ضعيف وقال النسائي ليس بالقوي. وقال

ابن حجر في تقريب التهذيب ص ٢٩١ : صدوق رمي بالقدر ، وكان يدلس وتغير بآخره . مات سنة ١٥٢هـ .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ((لولا أن بني إسرائيل قالوا: ﴿ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ ما أعطوا أبدا ولو أنهم اعترضوا

بقرة من البقر فذبحوها لأجزأت عنهم ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم)).^{٢٥٧}

والمقصود أنهم أمروا بذبح بقرة عوان ، وهي الوسط النصف بين الفارض وهي الكبيرة ، والبكر وهي الصغيرة، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وأبو العالية ، وعكرمة ، وقتادة^{٢٥٨} وجماعة ، ثم شددوا وضيّقوا على أنفسهم فسألوا عن لوئها، فأمروا بصفراء فاقع لوئها. قال الزجاج : وفاقع نعت للأصفر الشديد الصفرة ، يقال : أصفر فاقع ، وأحمر قانيء ، وأخضر ناضر ، وأبيض يقق ، وأسود حالك ، فهذه صفات المبالغة في الألوان^{٢٥٩} .

ثم شددوا أيضا ﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ

تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا

بَقْرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا

قَالُوا أَلَّيْنِ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧﴾ ﴿

وهذه الصفات أضيّق مما تقدم، حيث أمروا بذبح بقرة ليست بالذلول، وهي المذللة بالحرثة وسقي الأرض بالساقية، مسلمة وهي الصحيحة التي لا عيب فيها، قاله أبو العالية وقتادة^{٢٦٠} .

^{٢٥٧} أخرجه تمام الرازي في الفوائد ولفظه (لولا أن بني إسرائيل استثنوا فقالوا {وإننا إن شاء الله لمهتدون} ما أعطوا ، ولكن استثنوا {وإسناده ضعيف ، فيه: عباد بن منصور ، مدلس وكان تغير بآخره . والمعروف في الحديث الوقف كذا رواه غير واحد كما في الدر المنثور ١/١٥٠ . وأخرجه الطبري في تفسيره ١/٣٤٧ حيث رواه عن ابن عباس ولم يرفعه. وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١ / ٢٧٤ : في صحته نظر . وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤ /

١٥٢ رقم ١٥٢

^{٢٥٨} انظر تفسير الطبري ١/٢٤٢

^{٢٥٩} انظر زاد المسير ١ / ٩٨

^{٢٦٠} الدر المنثور ١/١٥٢

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وقوله ﴿لَا شَيْئَةَ فِيهَا﴾ أي ليس فيها لون يخالف لونها، بل هي مسلمة من العيوب، ومن مخالطه سائر الألوان غير لونها. فلما حددها بهذه الصفات، وحصرها بهذه النعوت والأوصاف.

﴿قَالُوا أَلَكُنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ قال ابن قتيبة: الآن: هو الوقت الذي أنت فيه، وهو حد الزمانين، حد الماضي من آخره، وحد المستقبل من أوله.

ومعنى ﴿جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ بينت لنا. ٢٦١

وقد ورد عن غلاء ثمنها روايات متعددة عن السلف، ولا تخرج عن كونها من الإسرائيليات فعن ابن عباس قال: وجدوها عند رجل يزعم أنه ليس بائعها بمال أبدا فلم يزالوا به حتى جعلوا له أن يسلخوا له مسكها فيملئوه له دنائير فرضي به فأعطاهم إياها. ٢٦٢

وعن السدي: إنهم لم يجدوا هذه البقرة بهذه الصفة إلا عند رجل منهم كان بارا بأبيه، فطلبوها منه فأبى عليهم، فأرغبوه في ثمنها حتى أعطوه بوزنها ذهبا فأبى عليهم، حتى أعطوه بوزنها عشر مرات، فباعها لهم. ٢٦٣

وعن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني قال: وجدوا البقرة عند رجل فقال: إني لا أبيعها إلا بملء جلدتها ذهبا فاشتروها بملء جلدتها ذهبا. ٢٦٤

فأمرهم نبي الله موسى بذبحها ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ يعني

بقوله ﴿فَذَبْحُوهَا﴾ فذبح قوم موسى البقرة التي وصفها الله لهم وأمرهم بذبحها ويعني

بقوله ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي قاربوا أن يدعوا ذبحها ويتركوا فرض الله عليهم في ذلك.

٢٦١ انظر زاد المسير ١ / ٩٩

٢٦٢ انظر تفسير الطبري ١ / ٣٥٥

٢٦٣ انظر المصدر السابق ١ / ٣٥٥

٢٦٤ انظر المصدر السابق ١ / ٣٥٥

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

واختلف المفسرون في السبب الذي من أجله كادوا أن يضيعوا فرض الله عليهم في ذبح ما أمرهم بذبحه من ذلك :

فقال بعضهم : ذلك السبب كان غلاء ثمن البقرة التي أمروا بذبحها وبينت لهم صفتها .
وقال آخرون : لم يكادوا أن يفعلوا ذلك خوف الفضيحة إن أطلع الله على قاتل القتيل الذي اختصموا فيه إلى موسى .

قال ابن جرير : والصواب - والله أعلم - أن القوم لم يكادوا يفعلون ما أمرهم الله به من ذبح البقرة للخلتين كليهما إحداهما غلاء ثمنها ، والأخرى خوف عظيم الفضيحة على أنفسهم بإظهار الله نبيه موسى صلوات الله عليه وأتباعه على قاتله^{٢٦٥} .

ثم أمرهم عن الله أن يضربوا ذلك القتيل ببعضها ، قيل بلحم فخذها ، وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وقيل بالبضعة التي بين الكتفين ، فلما ضربوه ببعضها أحياه الله تعالى ، فقام وهو يشخب أوداجه^{٢٦٦} ، فسأله نبي الله موسى : من قتلك؟ قال : قتلي ابن أخي ، ثم عاد

ميتا كما كان . قال الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ أي كما شاهدتم إحياء هذا القتيل عن أمر الله له ، كذلك أمره

في سائر الموتى ، إذا شاء إحياءهم أحياهم في ساعة واحدة كما قال تعالى : ﴿ مَا

خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [لقمان: ٢٨] .^{٢٦٧}

^{٢٦٥} انظر تفسير الطبري ٣٥٤/١

^{٢٦٦} الأوداج: عروق في العنق.

^{٢٦٧} انظر البداية والنهاية ٢٧٤/١ ، ٢٧٥

المطلب الثاني : في الفائدة في ضرب المقتول ببعض البقرة مع أن الله تعالى قادر على أن يحييه ابتداء.

قال الفخر الرازي : الفائدة فيه لتكون الحجة أوكد وعن الحيلة أبعد فقد كان يجوز للملحد أن يوهم أن موسى عليه السلام إنما أحياه بضرب من السحر والحيلة، فإنه إذا حيي عندما يضرب بقطعة من البقرة المذبوحة انتفت الشبهة في أنه لم يحي بشيء انتقل إليه من الجسم الذي ضرب به ، إذ كان ذلك إنما حيي بفعل فعلوه هم، فدل ذلك على أن إعلام الأنبياء إنما يكون من عند الله لا يتمويه من العباد وأيضاً فتقديم القربان مما يعظم أمر القربان^{٢٦٨}. وهذا الكلام حسن ويمكن أن يقال أيضاً أن بني إسرائيل قد رأوا من المعجزات العظيمة التي حصلت لموسى - عليه الصلاة والسلام - بواسطة العصا ، فحتى يرفع كل توهم أن للعصا أي تأثير أقام هذه المعجزة بمادة أخرى غيرها. والله أعلم.

وجه الإعجاز في إحياء ميت بني إسرائيل.

إن الإعجاز في هذه الآية العظيمة يتبين لنا في سلب الحياة من هذا القتل من بني إسرائيل حيث كان جثة هامدة ، لا حراك لها ، قد فقدت كل حول لها ، فإذا هي بأمر الله تعالى تقوم وتخبر بقاتلها ، ثم تعود إلى بعد ذلك لحالها ، وهذه الآية لا تكون إلا من نبي أيده ربه عز وجل بهذه الآية العجيبة. والله أعلم.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

المبحث الخامس عشر: في قول نبينا محمد ﷺ عن موسى - عليه الصلاة والسلام - :
((ثوبي حجر)) .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوُا مُوسَىٰ
فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩]

روى الإمام البخاري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «إن موسى كان رجلا حيا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه. فأذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده ، إما برص، وإما أدرة^{٢٦٩} ، وإما آفة. وإن الله عز وجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى ، فخلا يوما وحده ، فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل ، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها ، وإن الحجر عدا بثوبه ، فأخذ موسى عصله وطلب الحجر فجعل يقول : ثوبي حجر ، ثوبي حجر ، حتى انتهى إلى ماء من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله ، وبرأه الله مما يقولون ، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه ، وطفق بالحجر ضربا بعصاه . فو الله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربع أو خمسا. فذلك قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوُا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾ [الأحزاب: ٦٩] .^{٢٧٠}

قال المباركفوري - رحمه الله - في شرحه للترمذي :

قوله : (كان رجلا حيا) بفتح الحاء المهملة وكسر التحتانية الخفيفة بعدها أخرى مثقلة بوزن فعيل من الحياء أي ذا حياء ، ستيرا بفتح السين بوزن كريم ويقال ستيرا بكسر

^{٢٦٩} أي : فتق في إحدى الخصيتين. قال في القاموس المحيط مادة : الأدر والمأدور : من يفتق صفاقه فيقع قصبه في صفته ، ولا يفتق إلا من جانبه الأيسر ، أو من يصيبه فتق في إحدى خصيه ، أدر ، كفرح ، والاسم : الأدره ، بالضم ويحرك . وخصية أدرء : عظيمة بلا فتق . وقوم مآدير : أدر .

^{٢٧٠} أخرجه في كتاب أحاديث الأنبياء باب : حديث الخضر مع موسى عليهما السلام ١٢٤٩/٣ ، ورواه مسلم

١/٢٦٧ في الطهارة ، باب : جواز الاغتسال عريانا في الخلوة . وفي باب : من فضائل موسى ﷺ ٤/١٨٤١ ،

١٨٤٢ ورواه الإمام أحمد في المسد ٢/٣١٥، ٥١٤، ٥١٥ ، والترمذي ٥/٣٦٠ ، وابن حبان ١٤/٩٤ .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

السين وتشديد الفوقية المكسورة بوزن سكين أي ذا تستر يستتر في الغسل ما يرى من جلده شيء استحياء منه هذا يشعر بأن اغتسال بني إسرائيل عراة بمحضر منهم كان جائزا في شرعهم وإنما اغتسل موسى وحده استحياء.

فآذاه من آذاه : بالمد فيهما من الإيذاء.

إما برص : محركة بياض يظهر في ظاهر البدن لفساد مزاج.

وإما أدرة : بضم الهمزة وسكون الدال في الخصية يقال رجل آدر بين الأدر بفتح الهمزة والدال ووقع في رواية ابن مردويه عن عوف الجزم بأنهم قالوا إنه آدر.

وإن الله أراد أن يبرئه : بتشديد الراء من التبرئة أي يترهه عن نسبة ذلك العيب.

وإن موسى خلا يوما وحده : أي انفرد عن الناس يوما حال كونه منفردا.

عدا بثوبه : أي فر ومضى مسرعا .

ثوبي حجر، ثوبي حجر : أي أعطني ثوبي أو رد ثوبي وحجر بالضم على حذف النداء.

حتى انتهى إلى ملاء : أي جماعة والظاهر أن فيهم المؤذنين .

فأروه عريانا : أي أبصروه حال كونه عريانا.

وطفق : بكسر الفاء أخذ وشرع بالحجر ضربا يضربه ضربا فالجار متعلق بالفعل المقدر

كما في قوله سبحانه : { فطفق مسحاً بالسوق والأعناق } .

فوالله إن بالحجر لندبا : بالتحريك أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد فشبهه به أثر الضرب في الحجر.

قال الحافظ : ظاهره أنه بقية الحديث وقد بين في رواية همام في الغسل أنه قول أبي هريرة انتهى.

ولفظ رواية همام عند البخاري في الغسل هكذا قال أبو هريرة والله إنه لندب بالحجر

سته أو سبعة ضربا بالحجر فذلك قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا

كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ۝

﴿ [الأحزاب: ٦٩]. ٢٧١

٢٧١ تحفة الأحوذى ٦٢/٩

نقل الحافظ ابن حجر في الفتح عن ابن الجوزي قال : لما كان موسى في خلوة وخرج من الماء فلم يجد ثوبه تبع الحجر بناء على أن لا يصادف أحدا وهو عريان فاتفق أنه كان هناك قوم فاجتاز بهم كما أن جوانب الأهمار وإن خلت غالبا لا يؤمن من وجود قوم قريب منها فبنى الأمر على أنه لا يراه أحد لأجل خلاء المكان فاتفق رؤية من رآه والذي يظهر أنه استمر يتبع الحجر على ما في الخبر حتى وقف على مجلس لبني إسرائيل كان فيهم من قال فيه ما قال وبهذا تظهر الفائدة ، وإلا فلو كان الوقوف على قوم منهم في الجملة لم يقع ذلك الموقع .

وفيه : أن الأنبياء في خلقهم وخلقهم على غاية الكمال وأن من نسب نبيا من الأنبياء إلى نقص في خلقته فقد آذاه ويحشى على فاعله الكفر .

وفيه : معجزة ظاهرة لموسى - عليه السلام - وأن الآدمي يغلب عليه طباع البشر لأن موسى علم أن الحجر ما سار بثوبه إلا بأمر من الله ومع ذلك عامله معاملة من يعقل حتى ضربه ، ويحتمل أنه أراد بيان معجزة أخرى لقومه بتأثير الضرب بالعصا في الحجر .

وفيه : ما كان في الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - من الصبر على الجهال واحتمال أذاهم وجعل الله تعالى العاقبة لهم على من آذاهم.^{٢٧٢}

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام

وجه الإعجاز في هذه الآية.

وجه الإعجاز في هذه المعجزة ظاهر حيث أن الحجر بأمر الله - سبحانه - عدا بثوب موسى - عليه الصلاة والسلام - وهذا العدو في ذاته معجزة ظاهرة ، حيث سخر الله عز وجل فيه هذه القدرة على العدو بأي صفة أو طريقة مع حمله لثوب موسى - عليه الصلاة والسلام - مما يجعل في هذا الفعل معجزة لموسى - عليه الصلاة والسلام - . وهروب الحجر بثوب موسى - عليه الصلاة والسلام - حصل هذا الفعل ممن يعقل فعامله موسى - عليه الصلاة والسلام - معاملة من يعقل ، حيث ناداه أعطني ثوبي يا حجر .

وأيضاً في توجه الحجر إلى مكان الملاء وقت الهروب دون غيره من الأمكنة يدل على حدوث عقل في هذا الحجر ليصدر منه هذا الفعل .

وأيضاً في ضرب موسى - عليه الصلاة والسلام - للحجر بعصاه مما جعل في الحجر ندبا معجزة أخرى ، حيث وقع هذا التأثير على الحجر كأنها جروح من أثر الضرب . والله أعلم .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

- الفصل الرابع : دلائل نبوة المسيح عيسى بن مريم - عليه والسلام - .
- المبحث الأول : مولده عليه الصلاة والسلام.
- المبحث الثاني : تكلمه في المهد.
- المبحث الثالث : في خلق الطير.
- المبحث الرابع : إبراء الأكمه والأبرص.
- المبحث الخامس : إحياء الموتى.
- المبحث السادس : إخبارهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.
- المبحث السابع : في نزول المائدة.
- المبحث الثامن : في رفعه إلى السماء.

الفصل الرابع : دلائل نبوة المسيح^{٢٧٣} عيسى بن مريم - عليه السلام - .

المبحث الأول : مولده - عليه الصلاة والسلام - .

قال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿٦٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿٦٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿٦٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٦٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٧٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيِّئٍ ﴿٧١﴾ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ١٦-٢١]

^{٢٧٣} اختلف في المسيح ابن مريم مما إذا أخذ فقيلاً : لأنه مسح الأرض أي ذهب فيها فلم يسكن بكن ، وروي عن أبي عباس أنه كان لا يمسح ذا عاهة إلا برئ فكانه سمي مسيحاً لذلك فهو على هذا فاعيل بمعنى فاعل وقيل : لأنه ممسوح بدهن البركة كانت الأنبياء تمسح به طيب الرائحة فاذا مسح به عُلم أنه نبي ، وقيل : لأنه كان ممسوح الأخصيين ، وقيل : لأن الجمال مسحه أي أصابه وظهر عليه . وقيل إنما سمي بذلك لأنه مسح بالطهر من الذنوب وقال أبو الهيثم : المسيح ضد المسيخ ؛ يقال : مسحه الله أي خلقه خلقاً حسناً مباركاً . ومسحه أي خلقه خلقاً ملعوناً قبيحاً وقال ابن الأعرابي : المسيح الصديق والمسيخ الأعور وبه سمي الدجال وقال أبو عبيد : المسيح أصله بالعبرانية مشيحا بالشين فعرّب كما عرب موسى بموسى وأما الدجال فسمى مسيحاً لأنه ممسوح إحدى العينين وقد قيل في الدجال مسيح بكسر الميم وشد السين وبعضهم يقول كذلك بالخاء المنقوطة وبعضهم يقول مسيخ بفتح الميم والخاء والتخفيف والأول أشهر وعليه الأكثر سمي به لأنه يسبح في الأرض أي يطوفها ويدخل جميع بلداتها إلا مكة والمدينة وبين المقدس فهو فاعيل بمعنى فاعل والدجال يمسح الأرض مِحْنَةً وابن مريم يمسحها مِسْحَةً . وعلى أنه ممسوح العين فاعيل بمعنى مفعول وقال الشاعر : إن المسيح يقتل المسيخا . قاله القرظي في تفسيره ٨٩/٤

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

قال ابن كثير : ذكر تعالى هذه القصة بعد قصة زكريا التي هي كالمقدمة لها والتوطئة قبلها، كما ذكر في سورة آل عمران ، قرن بينهما في سياق واحد، وكما قال في سورة الأنبياء قال تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ٨١ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَحْيَىٰ وَصَلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ٨٢ ۝ وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرَجَهَا فَنَنفَخُنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ٨٣ ۝ ﴾ [الأنبياء: ٨١-٩١] ومريم لما جعلتها أمها محررة تخدم بيت المقدس، كفلها زوج أختها أو حالتها نبي ذلك الزمان زكريا عليه السلام و اتخذ لها محراباً وهو المكان الشريف من المسجد لا يدخله أحد عليها سواه ، وأنها لما بلغت اجتهدت في العبادة فلم يكن في ذلك الزمان نظيرها في فنون العبادات وظهر عليها من الأحوال ما غبطها به زكريا عليه السلام وأنها خاطبتها الملائكة بالبشارة لها باصطفاء الله لها وبأنه سيهب لها ولداً زكياً يكون نبياً كريماً طاهراً مكرماً مؤيداً بالمعجزات فتعجبت من وجود ولد من غير والد ، لأهل لا زوج لها ، ولا هي ممن تتزوج فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، فاستكانت لذلك وأتابت وسلمت لأمر الله وعلمت أن هذا فيه محنة عظيمة لها ، فإن الناس يتكلمون فيها بسببه ، لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر ، وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال من غير تدبر ولا تعقل وكانت إنما تخرج من المسجد في زمن حيضها أو لحاجة ضرورية لا بد منها من استقاء ماء أو تحصيل غذاء^{٢٧٤} .

وقال السعدي في تفسيره : لما ذكر قصة زكريا ويحيى ، وكانت من الآيات العجيبة ، انتقل منها إلى ما هو أعجب منها ، تدريجاً من الأدنى إلى الأعلى فقال: ﴿ وَأَذْكُرُ

^{٢٧٤} البداية والنهاية ٢ / ٥٩

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

فِي الْكِتَابِ الْكَرِيمِ ﴿مَرِيَمَ﴾ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ فَضَائِلِهَا، أَنْ تَذَكَرَ فِي الْكِتَابِ الْعَظِيمِ، الَّذِي يَتْلُوهُ الْمُسْلِمُونَ، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، تَذَكَرَ فِيهِ بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، وَأَفْضَلِ الثَّنَاءِ، جِزَاءً لِعَمَلِهَا الْفَاضِلِ، وَسَعِيهَا الْكَامِلِ. ^{٢٧٥}، أَي: وَاذْكَرَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَرِيَمَ، فِي حَالِهَا الْحَسَنِ الطَّيِّبِ، حِينَ ﴿أَنْتَبَذَتْ﴾ أَي: تَنَحَّتْ وَاعْتَزَلَتْ - قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ - ^{٢٧٦} عَنْ أَهْلِهَا ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أَي: مِمَّا يَلِي الْمَشْرِقَ عَنْهُمْ.

﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ أَي: مِنْ دُونِ أَهْلِهَا سِتْرًا وَحَاجِزًا، قَالَ السَّعْدِيُّ: وَهَذَا التَّبَاعُدُ مِنْهَا، وَاتِّخَاذُ الْحِجَابِ، لِتَعْتِزَلَ، وَتَتَفَرَّدَ بِعِبَادَةِ رَبِّهَا، وَتَقْنَتَ لَهُ فِي حَالَةِ الْإِحْلَاصِ وَالْخُضُوعِ، وَالذَّلِّ لِلَّهِ تَعَالَى، وَذَلِكَ امْتِنَالٌ مِنْهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ ^{١٢١} يَمْرَيْمُ أَقْنَتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ^{١٢٢} ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَلِيِّ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿ [آل عمران: ٤٢-٤٤]. ^{٢٧٧} ﴿

﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ قَالَ أَبُو السَّعُودِ: أَي جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عِبْرَ عَنْهُ بِذَلِكَ تَوْفِيَةِ لِلْمَقَامِ حَقَّهُ ^{٢٧٨}.

^{٢٧٥} تفسير السعدي ٩٦/٥

^{٢٧٦} انظر زاد المسير ٢١٦/٥

^{٢٧٧} تفسير السعدي ٩٧/٥

^{٢٧٨} تفسير أبي السعود ٢٦٠/٥

﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ قال السعدي أي: كاملا من الرجال، في صورة جميلة، وهيئة حسنة، لا عيب فيه ولا نقص، لكونها لا تحمل رؤيته على ما هو عليه ، فلما رآته في هذه الحال، وهي معتزلة عن أهلها، منفردة عن الناس، قد اتخذت الحجاب عن أعز الناس عليها، وهم أهلها، خافت أن يكون رجلا قد تعرض لها بسوء، وطمع فيها، فاعتصمت برها، واستعاذت منه فقالت له:

﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ﴾ أي: ألتجىء به وأعتصم برحمته، أن تنالني بسوء.^{٢٧٩} وهي على هذه الحالة من التعوذ لم يخطر في بالها أي ميل إلى جبريل مع أنه جاءها على صورة شاب حسن الخلقة ، ولم يشب في نفسها أي شائبة للذيلة وكل هذا من تمام عفتها عليها السلام.

﴿إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ قال السعدي : أي: إن كنت تخاف الله ، وتعمل بتقواه، فترك التعرض لي . فجمعت بين الاعتصام برها ، وبين تخوفه وترهيبه ، وأمره بلزوم التقوى ، وهي في تلك الحالة الخالية ، والشباب ، والبعد عن الناس . وهو في ذلك الجمال الباهر، والبشرية الكاملة السوية ، ولم ينطق لها بسوء ، أو يتعرض لها ، وإنما ذلك خوف منها ، وهذا أبلغ ما يكون من العفة ، والبعد عن الشر وأسبابه.

وهذه العفة - خصوصا مع اجتماع الدواعي، وعدم المانع - من أفضل الأعمال. ولذلك أثنى الله عليها فقال: ﴿وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِيمَانٌ وَإِيسَاءٌ﴾ [التحريم: ١٢]

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]

فأعاضها الله بعفتها، ولدأ من آيات الله، ورسولاً من رسله، فلما رأى جبريل منها
الروع والخيفة، قال: ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ أي: إنما وظيفتي وشغلي،
تنفذ رسالة ربي فيك ﴿ لِأَهَبَ لَكَ غُلَمًا زَكِيًّا ﴾ وهذه بشارة عظيمة
بالولد وزكائه، فإن الزكاء، يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة، واتصافه بالخصال
الحميدة، فتعجبت من وجود الولد من غير أب فقالت: ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي
غُلَمٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ والولد لا يوجد إلا بذلك!!

﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ تدل على
قدرة الله تعالى، وعلى أن الأسباب جميعها، لا تستقل بالتأثير، وإنما تأثيرها بتقدير
الله.

فيري عباده خرق العوائد في بعض الأسباب العادية، لئلا يقفوا مع الأسباب،
ويقطعوا النظر عن مقدرها ومسببها ﴿ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ ولنجعله رحمة منا به،
وبوالدته، وبالناس.

أما رحمة الله به، فلما خصه الله بوحيه ومنَّ عليه بما منَّ به على أولي العزم. وأما
رحمته بوالدته، فلما حصل لها من الفخر، والثناء الحسن، والمنافع العظيمة. وأما رحمته
بالناس، فإن أكبر نعمه عليهم، أن بعث فيهم رسولاً، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم،
ويعلمهم الكتاب والحكمة، فيؤمنون به، ويطيعونه، وتحصل لهم سعادة الدنيا
والآخرة.

﴿ وَكَانَ ﴾ أي: وجود عيسى عليه السلام على هذه الحالة ﴿ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾
﴿ قضاء سابقاً، فلا بد من نفوذ هذا التقدير والقضاء، فنسخ جبريل عليه السلام في
جيبها ٢٨٠ .

قال تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِء مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَاِمَّا تَرِينَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ [مرم: ٢٢-٢٦]

أي: لما حملت بعبي سى عليه السلام، خافت من الفضيحة، فتباعدت عن الناس ﴿ فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ فلما قرب ولادها ، ألاجأها المخاض إلى جذع نخلة، فلما آلمها وجع الولادة، ووجع الانفراد عن الطعام والشراب ، ووجع قلبها من قالة الناس، وخافت عدم صبرها، تمت أنها ماتت قبل هذا الحادث، وكانت نسيًا منسيًا، فلا تذكر.

وهذا التمني بناء على ذلك المزعج، وليس في هذه الأمنية خير لها، ولا مصلحة، وإنما الخير والمصلحة، بتقدير ما حصل فحينئذ سكن الملك روعها وثبت جأشها ونادها من تحتها، لعله من مكان أنزل من مكانها ، وقال لها: لا تحزني ، أي: لا تجزعي ولا تهتمي، ف ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ أي: فها تشرين منه.

﴿ وَهَزِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾ أي: طرياً لذيذاً نافعاً ﴿ فَكُلِي ﴾ من التمر ﴿ وَاشْرَبِي ﴾ من النهر ﴿ وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ بعيسى، فهذا طمأنيتها من جهة السلامة من ألم الولادة، وحصول المأكل والمشرب الهني.

وأما من جهة قالة الناس، فأمرها أنها إذا رأت أحداً من البشر، أن تقول على وجه الإشارة: ﴿ إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ أي: سكوياً ﴿ فَلَنْ أُكَلِّمَ

أَلْيَوْمَ انْسِيًّا ﴿١٢﴾ أي: لا تخاطبيهم بكلام، لتستريحي من قولهم وكلامهم. وكان معروفا عندهم أن السكوت من العبادات المشروعة، وإنما لم تؤمر بمخاطبتهم في نفي ذلك عن نفسها لأن الناس لا يصدقونها، ولا فيه فائدة، وليكون تبرئتها بكلام عيسى في المهدي، أعظم شاهد على براءتها.

فإن إتيان المرأة بولد، من دون زوج ودعواها أنه من غير أحد، من أكبر الدعلوي، التي لو أقيم عليها عدة من الشهود، لم تصدق بذلك، فجعلت بينة هذا الخارق للعادة، أمرا من جنسه، وهو كلام عيسى في حال صغره جدا.

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنْهَا حَقٌّ وَهِيَ غَيْرٌ لِأَسْمَائِهَا﴾ [التحریم: ١٢]

ذكر غير واحد من السلف أن جبريل نفخ في جيب درعها فترلت النفخة إلى فرجها فحملت من فورها كما تحمل المرأة عند جماع بعلمها. ومن قال إنه نفخ في فمها أو أن الذي كان يخاطبها هو الروح الذي ولج فيها من فمها فقله خلاف ما يفهم من سياقات هذه القصة في محالها من القرآن، فإن هذا السياق يدل على أن الذي أرسل إليها ملك من الملائكة وهو جبريل عليه السلام، وأنه إنما نفخ فيها ولم يواجه الملك الفرج بل نفخ في جيبها فترلت النفخة إلى فرجها فانسلكت فيه. كما قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ فدل على أن النفخة ولجت فيه، لا في فمها كما روي عن أبي بن كعب^{٢٨١}، ولا في صدرها كما رواه السدي بإسناده عن بعض الصحابة^{٢٨٢}.

^{٢٨١} في كتاب الإصابة لابن حجر ٧٦٢/٤: الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم قال جمعهم فجعلهم أرواحا ثم صورهم ثم استنطقهم فتكلموا فأخذ عليهم العهد والميثاق أن لا إله غيره وأن روح عيسى كانت في تلك الأرواح فأرسل إلى مريم ذلك

وفي مستدرك الحاكم قال : أخبرني محمد بن إسحاق الصفار العدل حدثنا أحمد بن نصر حدثنا عمرو بن حماد حدثنا أسباط عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - وعن مرة عن عبد الله قالا : (خرجت مريم إلى جانب الحراب ، بحيض أصابها فلما طهرت إذ هي برجل معها وهو قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (١٧) وهو جبريل عليه السلام ففزعت منه فـ ﴿ قَالَتْ إِنَّيَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾ (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ (١٩) الآية فخرجت وعليها جلبابها فأخذ بكمها فنفخ في جيب درعها وكان مشقوقا من قدامها فدخلت النفخة صدرها فحملت فأتتها أختها امرأة زكريا ليلة تزورها فلما فتحت لها الباب التزمتها فقالت امرأة زكريا : يا مريم أشعرت أبي حبلي ؟ فقالت مريم أيضا أشعرت أبي حبلي فقالت امرأة زكريا : فإني وجدت ما في بطني يسجد للذي في بطنك فذلك قوله عز وجل : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٣٩] فولدت امرأة زكريا يحيى ولما بلغ أن تضع مريم خرجت إلى جانب الحراب ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ ﴾ استحياء من الناس ﴿ يَلِيَّتْنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مِّنْسِيًّا ﴾ (٢٠) فنَادَ بِهَا ﴿ جَبْرِيلُ ﴾ ﴿ مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ (٢١) وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿ فهزته فأجرى لها في الحراب نورا والسري النهر فتساقطت النخلة رطبا جنيا فلما ولدته ذهب الشيطان فأخبر بني إسرائيل أن مريم ولدت فلما

الروح فسئل مقاتل بن حيان أين دخل ذلك الروح فذكر عن أبي العالية عن أبي أنه دخل من فيها أخرجه أبو جعفر الفريابي في كتاب القدر وعبد الله بن أحمد في زيادات كتاب الزهد وسنده قوي.

أرادوها على الكلام أشارت إلى عيسى فتكلم عيسى فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ
ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ﴿٢٨٣﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا ﴿٢٨٣﴾ فلما ولد
عيسى لم يبق في الأرض صنم يعبد من دون الله إلا وقع ساجدا لوجهه . هذا حديث
صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ^{٢٨٣}.

قال ابن كثير: ومعنى السجود هاهنا الخضوع والتعظيم كالسجود عند المواجهة
للسلام كما كان في شرع من قبلنا، وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم ^{٢٨٤}.

وعن ابن جريج قال: قال ابن عباس قوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾
قال كان عيسى ويحيى ابني خالة وكانت أم يحيى تقول لمريم إني أجد الذي في بطني
يسجد للذي في بطنك فذلك تصديقه بعيسى سجوده في بطن أمه وهو أول من
صدق بعيسى وكلمة عيسى ، ويحيى أكبر من عيسى ^{٢٨٥}.

وعن السدي قال: لقيت أم يحيى أم عيسى وهذه حامل بيحيى وهذه حامل بعيسى
فقلت امرأة زكريا يا مريم استشعرت أني حبلي قالت مريم استشعرت أني أيضا حبلي
، قالت: امرأة زكريا فإني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله: ﴿

مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ ^{٢٨٦}.

^{٢٨٣} المستدرک: ٥٩٣/٢ كتاب التاريخ ، باب: ذکر نبی اللہ وروحه عیسی بن مریم صلوات اللہ وسلامہ

عليهما ، والطبري في تاريخه: ٣٥٢/١

^{٢٨٤} انظر البداية والنهاية ٦٠/٢

^{٢٨٥} أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٥٣/٣

^{٢٨٦} أخرجه ابن جرير في تفسيره ٢٥٣/٣ قال ابن جرير: وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة أن معنى

قوله: {مصدقًا بكلمة من الله} بكتاب من الله من قول العرب أنشدني فلان كلمة كذا يراد به قصيدة كذا جهلا منه بتأويل

الكلمة واحترأ على ترجمة القرآن برأيه. وهذا الذي انتقده ابن جرير هو أبو عبيدة قال: معنى بكلمة من الله بكتاب من الله

قال: والعرب تقول أنشدن كلمة أي قصيدة كما روي أن الحويدرة ذكر لحسان فقال: لعن الله كلمته يعني قصيدته. انظر

تفسير القرطبي ٧٦/٤.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

وقال أبو القاسم : قال مالك : بلغني أن عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا خالة وكان حملهما جميعا معا ، فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم: إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك قال مالك : أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام ، لأن الله تعالى جعله يحيى الموتى ويريء الأكمه والأبرص.. رواه ابن أبي حاتم^{٢٨٧} .

وروي عن مجاهد قال : قالت مريم : كنت إذا خلوت حدثني عيسى وكلمني وإذا كنت بين الناس سبح في بطني^{٢٨٨} .

أما مقدار حملها فالظاهر أنها حملت به تسعة أشهر كما تحمل النساء ويضعن لميقات حملهن ووضعهن إذ لو كان خلاف ذلك لذكر.

وعن ابن عباس من طريق عكرمة : أنها حملت به ثمانية أشهر^{٢٨٩} .

وعن ابن عباس أيضا : ما هو إلا أن حملت به فوضعت^{٢٩٠} . وهذا القول قد رجحه القرطبي فقال : وهذا هو الظاهر ؛ لأن الله تعالى ذكر الانتباز عقب الحمل^{٢٩١} .

وعن الحسن قال : بلغني أن مريم حملت به لسبع أو تسع ساعات ووضعت من يومها^{٢٩٢} . واستأنسوا لذلك بقوله: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا

قَصِيًّا ۗ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ۗ وَالصَّحِيحُ أَنْ تَعْقِبَ

كل شيء بحسبه ، كقوله تعالى : ﴿ فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ ﴾ [الحج: ٦٣]

^{٢٨٧} انظر تفسير ابن كثير ١١٧/٣ ، والبداية والنهاية ٦٠/٢

^{٢٨٨} أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/٣٣٩ باب : ما ذكر فيما فضل به عيسى عليه السلام ، وفي ٧/٦٦ كتاب : الزهد ، باب : ما ذكر في زهد الأنبياء وكلامهم عليهم السلام. وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣/٢٩٤ ، وابن أبي حاتم ، وانظر تفسير ابن كثير ١١٦/٣ والدر المنثور ٤/٤٧٩ .

^{٢٨٩} أخرجه ابن عساکر

^{٢٩٠} أخرجه ابن جرير في التفسير ٩/٦٥ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٤٧٩ إلى الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم وعبد الرزاق .

^{٢٩١} تفسير القرطبي : ١١/٩٢

^{٢٩٢} أخرجه ابن عساکر في تاريخه ٤٧/٣٥٢

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

وكقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٤] ومعلوم أن بين كل حالين أربعين يوما^{٢٩٣}.

عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)) وفي رواية : ((من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء))^{٢٩٤}.

^{٢٩٣} انظر البداية والنهاية ٢/٦٠، ٦١

^{٢٩٤} رواه البخاري ٣/١٢٦٧ في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب : قوله : { يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم }... ومسلم ١/٥٧ رقم ٤٦ في كتاب الإيمان باب : الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

وجه الإعجاز في ولادة عيسى - عليه الصلاة والسلام - .

إن وجه الإعجاز في ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام ظاهر ، فالمعتاد من سنن الله الكونية الثابتة أنه لا يكون ولد من غير أب ، حيث جعل التقاء الزوجين ، الذكر والأنثى بهما يحصل التلقيح بين المائتين - المني ، والبويضة - وهذا قدره الله - سبحانه وتعالى - بين جميع الكائنات الحية ، فلما كان من ولادة سيدنا عيسى - عليه الصلاة والسلام - ما فيه مخالفة لهذه الظاهرة المستقرة المعتادة وهو وجوده من غير أب ظهر الإعجاز.

وإن كان حملها ووضعها كما ورد عن ابن عباس : ما هو إلا أن حملت به فوضعتة فهو معجز آخر.

المبحث الثاني : تكلمه في المهد.

قال تعلق : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَلْمَرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَاأَخْتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [مریم: ۲۷-۳۵]

قوله تعالى : ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَلْمَرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَاأَخْتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾ [مریم: ۲۷-۲۸]

قال ابن كثير : ذكر كثير من السلف ممن ينقل عن أهل الكتاب أنهم لما افتقدوها من بين أظهرهم ذهبوا في طلبها فمروا على محلتها والأنوار حولها، فلما واجهوها وجدوا معها ولدها فقالوا ﴿ يَلْمَرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ أي أمرا عظيما منكرا. وفي هذا الذي قالوه، مع أنه كلام ينقض أوله آخره وذلك لأن ظاهر سياق القرآن العظيم يدل على أنها حملته بنفسها وأتت به قومها وهي تحمله. قال ابن عباس: وذلك بعد ما تعالت من نفاسها بعد أربعين يوما.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

والمقصود أنهم لما رأوها تحمل معها ولدها ﴿ قَالَُوا يَمْرِيْمُ لَقَدْ جِئْتِ

شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ والفرية هي الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال والمقال .

قوله تعالى: ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾

قال ابن الجوزي : في المراد بهارون هذا خمسة أقوال :

أحدها : أنه أخ لها من أمها وكان من أمثل فتى في بني إسرائيل قاله أبو صالح عن ابن عباس وقال الضحاك كان من أبيها وأمها .

والثاني : أنها كانت من بني هارون قاله الضحاك عن ابن عباس ، وقال السدي : كانت من بني هارون أخي موسى عليهما السلام فنسبت إليه لأنها من ولده .

والثالث : أنه رجل صالح كان في بني إسرائيل فشبهاها به في الصلاح وهذا مروى عن ابن عباس أيضا وقتادة ويدل عليه ما روى المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران فقالوا : ألستم تقرأون يا أخت هارون وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى؟ فلم أدر ما أجيبهم فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : ألا أخبركم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم^{٢٩٥} .

والرابع : أن قوم هارون كان فيهم فساق وزناه فنسبوا إليهم قاله سعيد بن جبير .
والخامس : أنه رجل من فساق بني إسرائيل شبهاها به قاله وهب بن منبه^{٢٩٦} .

قالوا: ﴿ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴾ أي لست من

بيت هذا شيمتهم ولا سجتهم لا أخوك ولا أمك ولا أبوك . فاتهموها بالفاحشة العظمى ورموها بالداهية الدهياء^{٢٩٧} .

ذكر ابن جرير في تفسيره : أنهم اهتموا بما زكريا وأرادوا قتله ففر منهم فلحقوه وقد انشقت له الشجرة فدخلها وأمسك إبليس بطرف رداءه فنشروه فيها^{٢٩٨} .

^{٢٩٥} أخرجه مسلم ١٦٨٥/٣ كتاب: الآداب باب: النهي عن التكني بأبي القاسم ، وابن حبان ١٤٣/١٤

^{٢٩٦} زاد المسير ٢٢٧/٥ ، وانظر تفسير ابن عطية ٢٧،٢٦/١١

^{٢٩٧} انظر البداية والنهاية ٦٢/٢

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

ومن المنافقين من أتهمها بآبنا خالها يوسف بن يعقوب النجار .
فلما ضاق الحال وانحصر المجال وامتنع المقال، عظم التوكل على ذي الجلال ، ولم يبق
إلا الإخلاص والاتكال ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ﴾ أي خاطبوه وكلموه فإن جوابكم
عليه وماتبغون من الكلام لديه، فعندها ﴿ قَالُوا ﴾ من كان منهم جبارا شقيا: ﴿
كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ أي كيف تحيلنا في الجواب على
صبي صغير لا يعقل الخطاب، وهو مع ذلك رضيع في مهده ولا يميز بين مخض وزبده،
وما هذا منك إلا على سبيل التهكم بنا والاستهزاء والتنقص لنا والازدراء إذ لا تردين
علينا قولا نطقيا، بل تحيلين في الجواب على من كان في المهد صبيا . فعندها: ﴿ قَالَ
إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا
كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ
يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ
حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾ [مریم: ٣٠-٣٣]

هذا أول كلام تفوه به عيسى ابن مریم، فكان أول ماتكلم به أنه: ﴿ قَالَ إِنِّي
عَبْدُ اللَّهِ ﴾ اعترف لربه تعالى بالعبودية، وأن الله ربه ، فنزه جناب الله عن قول
الظالمين في زعمهم أنه ابن الله، بل هو عبده ورسوله وابن أمته، ثم برأ أمه مما نسبها
إليه الجاهلون وقذفوها به ورموها بسببه بقوله: ﴿ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي
نَبِيًّا ﴾ ﴿٣٠﴾ فإن الله لا يعطي النبوة من هو كما زعموا لعنهم الله وقبحهم، وكما
قال تعالى: ﴿ وَيَكْفُرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٣١﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا

قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ [النساء: ١٥٦-١٥٨] وذلك أن طائفة من اليهود في ذلك الزمان قالوا: إنها حملت به من زنى في زمن الحيض - لعنهم الله - فبرأها الله من ذلك وأخبر عنها أنها صديقة واتخذ ولدها نبيا مرسلًا أحد أولى العزم الخمسة الكبار ولهذا قال: ﴿

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ وذلك أنه حيث كان دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونزه جنابه عن النقص والعيب من اتخاذ الولد والصاحبة تعالى وتقدس ﴿ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ وهذه وظيفة العبيد في القيام بحق العزيز الحميد بالصلاة، والإحسان إلى الخليفة بالزكاة، وهي تشمل على طهارة النفوس من الأخلاق الرذيلة وتطهير الأموال الجزيلة بالعطية للمحاويج على اختلاف الأصناف وقرى الأضياف والنفقات على الزوجات والأرقاء والقربات وسائر وجوه الطاعات وأنواع القربات .

ثم قال ﴿ وَبِرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ أي وجعلني برا بوالدتي وذلك أنه تأكد حقها عليه لتحض جهتها إذا لا والد له سواها، فسبحان من خلق الخليفة وبرأها وأعطى كل نفس هداها. ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ أي لست بفظ ولا غليظ، ولا يصدر مني قول ولا فعل ينافي أمر الله وطاعته.

﴿ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾^{٢٩٩}

قال الفخر الرازي في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ (فيه فوائد:

^{٢٩٩} انظر البداية والنهاية ٦٣/٢

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

الفائدة الأولى: أن الكلام منه في ذلك الوقت كان سببا للوهم الذي ذهبت إليه النصارى، فلا جرم أول ما تكلم إنما تكلم بما يرفع ذلك الوهم فقال : ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ وكان ذلك الكلام وإن كان موهما من حيث إنه صدر عنه في تلك الحالة، ولكن ذلك الوهم يزول ولا يبقى من حيث إنه تنصيص على العبودية. الفائدة الثانية: أنه لما أقر بالعبودية فإن كان صادقا في مقاله فقد حصل الغرض وإن كان كاذبا لم تكن القوة قوة إلهية بل قوة شيطانية فعلى التقديرين يبطل كونه إلهيا. الفائدة الثالثة: أن الذي اشتدت الحاجة إليه في ذلك الوقت إنما هو نفي تهمة الزنا عن مريم عليها السلام ثم إن عيسى عليه السلام لم ينص على ذلك وإنما نص على إثبات عبودية نفسه كأنه جعل إزالة التهمة عن الله تعالى أولى من إزالة التهمة عن الأم، فلهذا أول ما تكلم إنما تكلم بما (. ٣٠٠

٣٠٠ انظر التفسير الكبير ٢٠٩/٢١

وجه الإعجاز في تكلم عيسى - عليه الصلاة والسلام - في المهد .

أولاً : عندما جاءت مريم - عليها السلام - إلى قومها وهي تحمل ابنها ورموها بالكلام الشنيع أشارت إلى عيسى - عليه الصلاة والسلام - وهو في المهد أن كلموه ، ولعلها بينت نذرها في ذلك الوقت أنها صائمة عن الكلام ، أنكروا عليها هذا التوجيه الذي لم يعهد فيما مضى أن صبيا في مثل هذا العمر أن يتكلم ، ولكن سرعان ما انتقل إنكارهم إلى تعجب عندما سمعوه يتكلم وأنه نبي مرسل من عند الله - تعالى - .

ثانياً : إن الكلام الذي يتكلم الناس به في العادة يؤخذ عن طريق التلقي والمشاهدة ، فالطفل الصغير يتلقى ممن حوله الأصوات التي فيها تعبير عن مكونات النفس ، فبحسب هذا التلقي تنشأ الفصاحة في المتكلم ، فإن تلقى الكلام من قوم فصحاء صار فصيحاً ، وإن تلقى من قوم في ألسنتهم انحراف عن الكلام المستقيم صار كلامه الذي ينطق به بحسب هذا الانحراف ، وعيسى - عليه الصلاة والسلام - عندما تكلم ، تكلم بلسان غاية في الفصاحة ، ويعلم كل من في ذلك الموقف بأنه يستحيل أن يتكلم بمثل هذه الفصاحة في هذا العمر أحد إلا إذا كان هذا أمراً قد قدره الله تعالى لعيسى - عليه الصلاة والسلام - حتى يبرأ أمه عليها السلام من كل قيل ، وتظهر معجزة أخرى على أنه مرسل من عند الله تعالى . والله أعلم .

المبحث الثالث : في خلق الطير.

قال تعالى : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ [آل عمران: ٤٩]

وقال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ [المائدة: ١١٠]

قوله تعالى : ﴿ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ ﴾ أي أصور وأقدر لكم ﴿ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾ قرأ أبو جعفر { كهية } بالتشديد. والباقون بالهمز. والهيئة الصورة المهيأة من قولهم : هيأت الشيء إذا قدرته وأصلحته^{٣٠١}. والطيير يذكر ويؤنث ، يقع على الواحد وعلى الجمع.

^{٣٠١} انظر تفسير البغوي ١ / ٣٠٣

دلالت نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلالت نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

وقوله تعالى : ﴿ فَأَنْفُخُ فِيهِ ﴾ أي في ذلك الطين المصور. قال أبو السعود :
الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير ، وقرىء فأنفخ فيها على أن
الضمير للهية المقدره أي : أخلق لكم من الطين هيئة كهية الطير فأنفخ
فيها. انتهى.^{٣٠٢} أي في الواحد منه أو منها أو في الطين فيكون طائرا.

قال ابن جرير : واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض أهل الحجاز ﴿ كَهَيْئَةِ
﴿ الطائر ﴾ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ ﴾ طائرا على التوحيد ، وقرأه آخرون ﴿
كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا ﴾ على الجماع كليهما.

ورجح - رحمه الله - قراءة من قرأ ﴿ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ
طَيْرًا ﴾ على الجمع فيهما جميعا . قال : لأن ذلك كان من صفة عيسى أنه يفعل
ذلك بإذن الله وأنه موافق لخط المصحف واتباع خط المصحف مع صحة المعنى
واستفاضه القراءة به أعجب إلي من خلاف المصحف^{٣٠٣}.

فمن قرأ على الأفراد ذهبوا إلى نوع واحد من الطير ، قيل : إنه الخفاش ، ومن قرأ
على الجمع وهي قراءة الأكثرين على أنه خلق أنواعا من الطير. والله أعلم^{٣٠٤}.

قال ابن عباس : أخذ طينا ، وصنع منه خفاشا ، ونفخ فيه ، فإذا هو يطير.^{٣٠٥}
قال وهب : كان يطير ما دام الناس ينظرون إليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا
ليتميز فعل الخلق من فعل الخالق ، وليعلم أن الكمال لله عز وجل^{٣٠٦}.

وقيل : لم يخلق غير الخفاش لأنه أكمل الطير خلقا ليكون أبلغ في القدرة ، لأن لها ثديا
وأسنانا وأذنا ، وهي تحيض^{٣٠٧} وتطهر وتلد.

^{٣٠٢} تفسير أبي السعود ٢ / ٣٩

^{٣٠٣} انظر تفسير الطبري ٣ / ٢٧٥

^{٣٠٤} انظر تفسير البغوي ١ / ٣٠٣

^{٣٠٥} انظر وزاد المسير ١ / ٣٩٢

^{٣٠٦} تفسير البغوي ١ / ٣٠٣ وزاد المسير ١ / ٣٩٢

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

ويقال: إنما طلبوا خلق خفاش لأنه أعجب من سائر الخلق؛ ومن عجائبه أنه لحم ودم يطير بغير ريش ويلد كما يلد الحيوان ولا يبيض كما يبيض سائر الطيور، فيكون له الضرع يخرج منه اللبن، ولا يبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل، وإنما يرى في ساعتين: بعد غروب الشمس ساعة وبعد طلوع الفجر ساعة قبل أن يسفر جدا، ويضحك كما يضحك الإنسان، ويحيض كما تحيض المرأة^{٣٠٨}.

ويقال: إن سؤالهم كان له على وجه التعنت فقالوا: أخلق لنا خفاشا واجعل فيه روحا إن كنت صادقا في مقالتك؛ فأخذ طينا وجعل منه خفاشا ثم نفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والأرض؛ وكان تسوية الطين والنفخ من عيسى والخلق من الله، كما أن النفخ من جبريل والخلق من الله^{٣٠٩}.

وجه الإعجاز في خلق الطير.

يظهر الإعجاز في هذه الآية العظيمة من وجهين:

الوجه الأول: تصوير الطين وتكوينه على شكل طائر.

والوجه الثاني: نفخ الروح في هذا التصوير.

أما الوجه الأول الذي فيه تصوير الطين وتكوينه على شكل طائر، فإن هذا لا وجه للإعجاز فيه، فقد رأينا من مهرة الصناع والحرفيين من يصنع الصور والتمائيل المجسمة على سائر أشكال الآدميين والحيوانات حتى تظن من براعة الصنع أنها حقيقة - ومع هذا لا يقدر أحد أن يبث فيها حياة - فهذا شيء يشترك فيه كثير من النلس بالممارسة والتعلم.. فبقي الوجه الثاني وهو نفخ الروح في هذا التصوير، فبقدرته سبحانه وتعالى عندما يصنع عيسى - عليه الصلاة والسلام - الطين طيرا فينفخ فيه، يخلق الله تعالى فيه الحياة ويصير كائن حي فيه الروح انتقل من الناحية الجمادية إلى الناحية الحيوانية، وهذا لا قدرة لأحد صنع مثله وإنما هو بتقدير العزيز العليم لتدل على أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - مرسل من عنده. والله أعلم.

^{٣٠٧} انظر تفسير البغوي ١ / ٣٠٣

^{٣٠٨} انظر تفسير السمرقندي ١ / ٢٦٩ وتفسير أبي السعود ٢ / ٣٩

^{٣٠٩} انظر تفسير السمرقندي ١ / ٢٦٩

المبحث الرابع : إبراء الأكمه والأبرص .

وقوله تعالى: ﴿ وَأُبْرِيُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ ﴾ [آل عمران: ٤٩]

قال ابن جرير : يعني بقوله ﴿ وَأُبْرِيُ ﴾ وأشفي يقال منه أبرأ الله المريض إذا شفاه منه فهو يبرئه إبراء وبرأ المريض فهو يبرأ برءا ، وقد يقال أيضا : برىء المريض فهو يبرأ لغتان معروفتان^{٣١٠}.

قال في معاني القرآن : الأكمه: قال مجاهد : هو الذي يبصر في النهار ولا يبصر في الليل فهو يتكمه.

قال الكسائي : يقال : كمه ، يكمه ، كمها.

وقال الضحاك : هو الأعمى.

قال أبو عبيدة : هو الذي يولد أعمى وأنشد لرؤبة^{٣١١} :

هرجت فارتد ارتداد الأكمه.^{٣١٢}

وقال ابن فارس: الكمه العمى يولد به الإنسان وقد يعرض.

وقال عكرمة: هو الأعمش .

وعن قتادة قال : كنا نحدث أن الأكمه الذي ولد وهو أعمى مضموم العينين^{٣١٣}.

وعن الضحاك عن ابن عباس قال الأكمه الذي يولد وهو أعمى^{٣١٤}.

وعن ابن جريج قال : قال ابن عباس : الأعمى^{٣١٥}.

^{٣١٠} انظر تفسير الطبري ٢٧٦/٣

^{٣١١} ابن العجاج ، وتماه كما في ديوانه ص ١٦٦

وكيد مطال وخصم منده * هرجت فارتد ارتداد الأكمه.

وفي تفسير الطبري ٢٧٦/٣

هرجت فارتد ارتداد الأكمه * في غائلات الحائر المنتهه.

^{٣١٢} معاني القرآن للنحاس ٤٠٢/١

^{٣١٣} انظر تفسير الطبري ٢٧٦/٣

^{٣١٤} المصدر نفسه ٢٧٦/٣

^{٣١٥} المصدر نفسه ٢٧٦/٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

قال ابن جرير : والمعروف عند العرب من معنى الكمه العمى^{٣١٦} ، يقال: منه كمهت عينه فهي تكمه كمها وأكمهتها أنا إذا أعميتها كما قال سويد بن أبي كاهل :
كمهت عيناه حتى ابيضتا فهو يلحى نفسه لما نزع
ومنه قول رؤبة :

هرجت فارتد ارتداد الأكمه في غائلات الحائر المتتهته

وإنما أخبر الله عز وجل عن عيسى صلوات الله عليه أنه يقول ذلك لبني إسرائيل احتجاجا منه بهذه العبر والآيات عليهم في نبوته ، وذلك أن الكمه والبرص لا علاج لهما فيقدر على إبرائه ذو طب بعلاج ، فكان ذلك من أدلته على صدق قوله : إنه لله رسول ؛ لأنه من المعجزات مع سائر الآيات التي أعطاه الله إياها دلالة على نبوته ، فأما ما قال عكرمة من أن الكمه العمش ، وما قاله مجاهد من أنه سوء البصر بالليل ، فلا معنى لهما لأن الله لا يحتاج على خلقه بحجة تكون لهم السبيل إلى معارضته فيها ، ولو كان مما احتج به عيسى على بني إسرائيل في نبوته أنه يبرىء الأعمش أو الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل لقدروا على معارضته ، بأن يقولوا وما في هذا لك من الحجة وفينا خلق مما يعالج ذلك وليسوا لله أنبياء ولا رسلا ، ففي ذلك دلالة بينة على صحة ما قلنا من أن الأكمه هو الأعمى الذي لا يبصر شيئا لا ليلا ولا نهارا وهو مما قال قتادة من أنه المولود كذلك أشبه لأن علاج مثل ذلك لا يدعيه أحد من البشر إلا من أعطاه الله مثل الذي أعطى عيسى وكذلك علاج الأبرص^{٣١٧}.

والبرص معروف وهو بياض يعتري الجلد، والأبرص القمر، وسام أبرص معروف، ويجمع على الأبارص^{٣١٨}. وخص هذان بالذكر لأنهما عياءان. وكان الغالب على زمن عيسى عليه السلام الطب فأراهم الله المعجزة من جنس ذلك.

^{٣١٦} وانظر القاموس المحيط مادة : كمه ص ١٦١٦

^{٣١٧} تفسير الطبري ٣/٢٧٧، ٢٧٨

^{٣١٨} وانظر القاموس المحيط مادة : برص ص ٧٩٠

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

وجه الإعجاز في إبراء الأكمه والأبرص.

إن مرض العمى الذي يولد به الإنسان ، والبرص الذي يصيب الجلد فيجعل منظر الجسد قبيحا من الأمراض المستعصية على الإنسان التي لم يصل لأي علاج لها منذ القدم ، وبما أن قوم عيسى - عليه الصلاة والسلام - قد برعوا في الطب - كما ذكر غير واحد من أهل التاريخ - كانوا يعلمون بأن هاتين العاهتين لا سبيل لأحد أن يصل لعلاج لهما ، كان من تقدير الله - عز وجل - وإظهارا لنبوة عيسى أن أجرى على يد عيسى - عليه الصلاة والسلام - شفاء أصحاب هذه العاهات من عاهاتهم بقدرته سبحانه شفاء تاما ، والذي يظهر أيضا أن هذا الشفاء كان بدون علاج أو دواء زيادة في إظهار خرق الآية . والله أعلم.

المبحث الخامس : إحياء الموتى .

قوله تعالى : ﴿ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٤٩] وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ [المائدة : ١١٠]

جاء بلفظ الإحياء في سورة آل عمران ، ولفظ الإخراج في سورة المائدة ، فيمكن الجمع بين الآيتين أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - أحيا أمواتا كثيرين وهذا ما يفيد لفظ الجمع في الآية ، فمن هؤلاء الأموات من يحيهم قبل أن يدفنوا في التراب ، ومنهم من يحيهم بعد أن واراهم الثرى ، وهؤلاء قد يكون لموتهم زمنا طويلا ، وبهذا يظهر الجمع بين لفظ الإحياء والإخراج .

أما من أحياهم عيسى - عليه الصلاة والسلام - فقد ذكر المفسرون كثيرا من الحكايات التي منبعها من الإسرائيليات التي لا نكذبها ، ولا نصدقها إنما تذكر للعبرة فمما ذكره المفسرون من هذه الإسرائيليات أنه : أحيا أربعة أنفس: العاذر وكان صديقا له ، وابن العجوز ، وابنة العاشر ، وسام بن نوح . فإله أعلم .

فأما العاذر فإنه كان قد توفي قبل ذلك بأيام فدعا الله فقام بإذن الله وودكه يقطر فعاش وولد له ، وأما ابن العجوز فإنه مر به يحمل على سريره فدعا الله فقام ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع إلى أهله ، وأما بنت العاشر فكان أتى عليها ليلة فدعا الله فعاشت بعد ذلك وولد لها ؛ فلما رأوا ذلك قالوا: إنك تحيي من كان موته قريبا فلعلهم لم يموتوا فأصابتهم سكتة فأحي لنا سام بن نوح . فقال لهم: دلوني على قبره فخرج وخرج القوم معه حتى انتهى إلى قبره فدعا الله فخرج من قبره وقد شاب رأسه . فقال له عيسى: كيف شاب رأسك ولم يكن في زمانكم شيب ؟ فقال: يا روح الله ، إنك دعوتني فسمعت صوتا يقول: أجب روح الله ، فظننت أن القيامة قد قامت ، فمن هول ذلك شاب رأسي . فسأله عن النزع فقال: يا روح الله ، إن مرارة النزع لم تذهب عن حنجرتي ؛ وقد كان من وقت موته أكثر من أربعة آلاف سنة ، فقال للقوم: صدقوه فإنه نبي ؛ فأمن به بعضهم وكذبه بعضهم وقالوا:

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

هذا سحر.^{٣١٩} وهذه الرواية ذكرتها لأنها بعيدة عن المبالغات والأكاذيب التي فيها طعن في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. والله أعلم.
وجه الإعجاز في إحياء الموتى.

إن من المتقرر في الأذهان ، حقيقة قاطعة لا بد من وقوعها ، ألا وهي الموت ، الذي لا سبيل من الخلاص منه ، وتتبعها أخرى وهي أن من مات لا يعود للحياة الدنيا أبداً وإن كان هذا الأمر بيد الله سبحانه ، ومن أفعاله التي هي من خصائصه سبحانه فقد قضى الله - عز وجل - وقدر لعيسى - عليه الصلاة والسلام - أن أحيا له بعض الأموات ورد إليهم أرواحهم ، أحياءهم حياة حقيقة ، وهذا وجه الإعجاز في هذه الآية ، وإن كان هذا الفعل مخالفاً للسنن الكونية التي سنها الله - عز وجل - إلا أنه أظهرها على يديه إثباتاً لنبوته ، وحجة له على قومه. والله أعلم.

^{٣١٩} انظر تفسير السمرقندي ١/ ٢٦٩ وتفسير القرطبي ٤/ ٩٥ وتفسير البغوي ١/ ٣٠٣ والبداية والنهاية

المبحث السادس : إخبارهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم.

قوله تعالى: ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَةً لِّكُم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٩]

أي أخبركم مما لم أعينته وترفعونه في بيوتكم حتى تأكلوه ، وبهذا المعنى قال جل المفسرين.

قيل : كان يخبر الرجل بما أكل البارحة ، وبما أكل اليوم ، وبما ادخره للعشاء^{٣٢٠} .
وذلك أنهم لما أحيا لهم الموتى طلبوا منه آية أخرى وقالوا: أخبرنا بما نأكل في بيوتنا
وما ندخر للغد: فأخبرهم فقال: يا فلان أنت أكلت كذا وكذا، وأنت أكلت كذا
وكذا وادخرت كذا وكذا؛ فذلك قوله ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ ﴾ الآية^{٣٢١} .

وقال مجاهد : بما أكلتم البارحة ، وبما خبأتم^{٣٢٢} .

وقال عطاء بن أبي رباح : الطعام والشيء يدخرونه في بيوتهم غيبا علمه الله إياه^{٣٢٣} .
وقال سعيد بن جبير وغيره: كان يخبر الصبيان في الكتاب بما يدخرون حتى منعهم
آبائهم من الجلوس معه^{٣٢٤} .

وخالف قتادة المفسرين فقال : إنما كان هذا في المائدة ، وكانت خوانا ينزل
عليهم أينما كانوا كالمن والسلوى ، وأمروا أن لا يخونوا ولا يخبثوا للغد فخانوا
وخبثوا للغد ، فجعل عيسى يخبرهم بما أكلوا من المائدة ، وبما ادخروا منها فمسخوا
خنازير^{٣٢٥} .

^{٣٢٠} انظر تفسير البغوي ٣٠٤/١

^{٣٢١} انظر تفسير السمرقندي ١/٢٦٩ وتفسير القرطبي ٩٥/٤

^{٣٢٢} انظر زاد المسير ١/٣٩٢

^{٣٢٣} انظر تفسير الطبري ٣/٢٧٩

^{٣٢٤} انظر تفسير القرطبي ٩٥/٤

^{٣٢٥} انظر تفسير البغوي ٣٠٤/١ وزاد المسير ١/٣٩٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

قرأ مجاهد والزهري والسختياني ﴿وما تذخرون﴾ بالذال المعجمة مخففاً.

وجه الإعجاز في هذه الآية.

إن إخبار عيسى - عليه الصلاة والسلام - قومه بأمر غيبي - ما يأكلون وما يدخرون - دون سابق معرفة ، أو استعانة بوسائط تدله على ذلك هو وجه الإعجاز الذي يدل على أنه وحى من عند الله تعالى.

قال ابن جرير : فإن قال قائل : وما كان في قوله لهم ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا

تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ من الحجة له على صدقه وقد رأينا

المتنحمة والمتكهنة تخبر بذلك كثيرا فتصيب؟

قيل : إن المتنجم والمتكهن معلوم منهما عند من يخبره بذلك أنهما ينبئان به عن استخراج له ببعض الأسباب المؤدية إلى علمه ، ولم يكن ذلك كذلك من عيسى صلوات الله عليه ومن سائر أنبياء الله ورسله ، وإنما كان عيسى يخبر به عن غير استخراج ولا طلب لمعرفته باحتيال ، ولكن ابتداء بإعلام الله إياه من غير أصل تقدم ذلك احتذاه أو بنى عليه أو فزع إليه ، كما يفزع المتنجم إلى حسابه والمتكهن إلى رثيه ، فذلك هو الفصل بين علم الأنبياء بالغيوب وإخبارهم عنها وبين علم سائر المتكذبة على الله أو المدعية علم ذلك.^{٣٢٦}

ويمكن أن يقال أن الله - سبحانه وتعالى - أباح لنا طعام أهل الكتاب لأنهم يذكرون الله تعالى عند الذبح قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ

وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥]

ولو أنهم لا يسموا الله تعالى عند الذبح لم يبح لنا طعامهم ، لأنه فهمي عن ذلك قال تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ

^{٣٢٦} تفسير الطبري ٢٧٩/٣

الشَّيْطَانِ لِيُوحُونَ إِلَيْهِ أَوْلِيَاءَهُمْ لِيُجَدِّدُوا لَكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ

إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿٣٢٧﴾ [الأنعام: ١٢١] ومعلوم من السنة المطهرة أن النبي ﷺ قال

: ((إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله ، وعند طعامه قال الشيطان لأصحابه : لا مبيت لكم ولا عشاء))^{٣٢٧} فالشياطين تخبر الكهان ببعض الأمور

الغائبة ، ولها القدرة على ذلك لأنهم يطلعوا على أفعال بني آدم قال تعالى : ﴿

يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ

يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهِمَاتٍ إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ

مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

﴾ [الأعراف: ٢٧] أما إذا سمي على الشيء فلا تستطيع الإطلاع عليه ، فعيسى

— عليه الصلاة والسلام — كان يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون مع أنهم يسمون الله

عليه ، لأن إخبار عيسى — عليه الصلاة والسلام — صدق محض ، لا يشوبه كذب

أبدا ، لأنه إخبار من عند الله تعالى ، أما الشياطين ومن في حكمهم ممن يسترق

السمع فيخبر ببعض الأمور الغائبة يسمع الكلمة ويكذب عليها مائة كذبه كما ورد

في الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة — رضي الله عنها — قالت : سألت أنلس

رسول الله ﷺ عن الكهان ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ((ليسوا بشيء)) قالوا يا

رسول الله ، فإنهم يحدثون أحيانا بالشيء يكون حقا فقال رسول الله ﷺ : ((تلك

الكلمة من الحق^{٣٢٨} ، يخطفها الجني فيقرأها في أذن وليه قر الدجاجة ، فيخلطون فيها

^{٣٢٧} أخرجه مسلم ٣ / ١٥٩٨ في كتاب الأشربة ، باب : آدىب الطعام والشراب وأحكامها.

^{٣٢٨} في صحيح مسلم من (الجن).

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

أكثر من مائة كذبة))^{٣٢٩} قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ
الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢٢﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٣﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ
وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣].

^{٣٢٩} أخرجه البخاري ٥ / ٢٢٩٤ في كتاب الأدب ، باب : قول الرجل للشيء ليس بشيء وهو ينوي أنه ليس
بحق. ومسلم ٤ / ١٧٥٠ في كتاب السلام ، باب : تحريم الكهانة. والقر: ترديدك الكلام في أذن المخاطب
حتى يفهمه ، وقر الدجاجة : صوتها إذ قطعت.

المبحث السابع : في نزول المائدة.

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَأُعَذِّبَهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المائدة: ١١٢-١١٥]

قال الرازي - رحمه الله - قرأ الكسائي {هل تستطيع} بالتاء، {ربك} بالنصب ويادغام اللام في التاء، وسبب الإدغام أن اللام قريب المخرج من التاء لأهمهما من حروف طرف اللسان وأصول الثنايا وبحسب قرب الحرف من الحرف يحسن الإدغام وهذه القراءة مروية عن علي وابن عباس.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كانوا أعلم بالله من أن يقولوا هل يستطيع وإنما قالوا: هل يستطيع أن تسأل ربك.

وعن معاذ بن جبل: أقرأني رسول الله ﷺ {هل تستطيع} بالتاء، {ربك} بالنصب. والباقون يستطيع بالياء. ربك برفع الباء وبالإظهار.

فأما القراءة الأولى فمعناها: هل يستطيع سؤال ربك؟ قالوا: وهذه القراءة أولى من الثانية، لأن هذه القراءة توجب شكهم في استطاعة عيسى، والثانية توجب شكهم في استطاعة الله، ولا شك أن الأولى أولى^{٣٣٠}.

^{٣٣٠} انظر التفسير الكبير ١٢٩/١٢

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

قال ابن الأنباري : ولا يجوز لأحد أن يتوهم أن الحواريين شكوا في قدرة الله ، وإنما هذا كما يقول الإنسان لصاحبه : هل تستطيع أن تقوم معي ، وهو يعلم أنه مستطيع ، ولكنه يريد : هل يسهل عليك ^{٣٣١} .

وكلام ابن الأنباري هو الصواب لأنهم لو اعتقدوا عدم قدرة الله - عز وجل - على إنزال المائدة لكفروا ، وبه نرد على الزمخشري في الكشف الذي قال بأنهم كانوا شاكين ^{٣٣٢} .

وأما قوله تعالى : ﴿ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وإن كان في معنى الآية عدة أقوال ^{٣٣٣} ، فالذي يظهر لي أنه نهي عن سؤال مثل هذه المسائل ، لما فيها من التعنت ، وطلب ما لا حاجة فيه . وبهذا المعنى يتبين قول عيسى - عليه الصلاة والسلام - لهم ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ . والله أعلم .

والمائدة : هو الخوان الموضوع عليه طعام ، فهو اسم لمعنى مركب يدل على طعام وما يوضع عليه . والخوان - بكسر الخاء وضمها - تحت من خشب له قوائم مجعول ليوضع عليه الطعام للأكل ، اتفقوا على أنه معرب ^{٣٣٤} .

أما ما ذكره المفسرون من أصناف الطعام وألوانه ^{٣٣٥} الذي نزلت به المائدة فلا عبرة فيه لأنها وردت بأخبار جملها من الموضوعات عدا الخبر الذي ورد عن عمار بن ياسر مرفوعا قال : قال رسول الله ﷺ : ((أنزلت المائدة من السماء خبزاً

^{٣٣١} انظر زاد المسير ٢ / ٤٥٦ وانظر التحرير والتنوير ٤ / ١٠٥ فقد أطل في بيان هذا المعنى.

^{٣٣٢} انظر الكشف ١ / ٦٥٤

^{٣٣٣} انظر زاد المسير ٢ / ٥٥٧

^{٣٣٤} وانظر التحرير والتنوير ٤ / ١٠٦

^{٣٣٥} انظر مثلاً تفسير القرطبي ٦ / ٣٧٢ ، وابن كثير ٢ / ١١٨ وغيرهم من المفسرين فقد ذكروا أقوالاً عديدة متضاربة في هذه الأصناف كان الأولى الإعراض عن ذكرها.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

ولحما فأمرُوا أن لا يَخُونُوا ولا يدخروا لَعد فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخوا قردة
وخنازير))^{٣٣٦}.

وقد اختلف المفسرون - رحمهم الله - في هل نزلت المائدة من السماء أم لم تنزل
، وقد ذكر هذا الاختلاف جمع من المفسرين منهم الطبري ، والسمرقندي^{٣٣٧} ، وابن
الجوزي^{٣٣٨} ، وابن كثير^{٣٣٩} ، والطاهر بن عاشور^{٣٤٠} وغيرهم .

ومنهم القرطبي حيث قال : اختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا ؟ فالذي عليه

الجمهور - وهو الحق - نزولها، لقوله تعالى : ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۗ ﴾

وقال مجاهد: ما نزلت وإنما هو ضرب مثل ضربه الله تعالى لخلقها فنهاهم عن مسألة
الآيات لأنبيائه.

وقيل: وعدهم بالإجابة فلما قال لهم: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ ۗ ﴾ الآية -

استغفروا منها، واستغفروا الله وقالوا: لا نريد هذا، قاله الحسن^{٣٤١}.

^{٣٣٦} أخرجه الإمام الترمذي في جامعه في كتاب التفسير ٥ / ٢٦٠ قال : حدثنا الحسن بن قرعة حدثنا سفيان بن حبيب
حدثنا سعيد عن قتادة عن خلاص بن عمرو عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ فذكره ... ثم قال : قال أبو عيسى
: هذا حديث قد رواه أبو عاصم وغير واحد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن خلاص بن عمار بن ياسر موقوفا ، ولا
نعرفه مرفوعا إلا من حديث الحسن بن قرعة حدثنا حميد بن مسعدة حدثنا سفيان بن حبيب عن سعيد بن أبي عروبة نحوه ، ولم
يرفعه وهذا أصح من حديث الحسن بن قرعة ، ولا نعلم للحديث المرفوع أصلا . انتهى . وأخرجه أبو يعلى ٣ / ٢١٢ أيضا من
حديث الحسن بن قرعة . قال محقق الكتاب حسين أسد : رجاله ثقات .

^{٣٣٧} في تفسيره ١ / ٤٦٨

^{٣٣٨} في زاد المسير ٢ / ٤٥٩

^{٣٣٩} في تفسيره ٢ / ١٢٠

^{٣٤٠} في التحرير والتنوير ٤ / ١١١

^{٣٤١} ذكر ابن كثير في تفسيره ٢ / ١٢٠ وتابعه المباركفوري في تحفة الأحوذى ٨ / ٣٤٥ أن الأسانيد صحيحة إلى الحسن

و. ومجاهد ، في هذا القول .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

وهذا القول والذي قبله فيهما نظر ، والأولى أنها نزلت ^{٣٤٢} .
وهو الصحيح لأن قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ﴾ وعد من الله تعالى لا
يخلف ، وليس مشروطا بشرط ، ولكنه معقب بتحذير من الكفر ^{٣٤٣} .
وقد ذكر المفسرون في كيفية نزولها ، وحال عيسى - عليه الصلاة والسلام - وقت
نزولها أقوالا ليس لها مستند صحيح ، وهي أشبه بالحكايات والقصص التي يتداولها
السمار. من أكاذيب بني إسرائيل.

^{٣٤٢} انظر تفسير القرطبي ٣٦٩/٦

^{٣٤٣} انظر التحرير والتنوير ٤ / ١١١

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

وجه الإعجاز في نزول المائدة.

إن سؤال بني إسرائيل لعيسى - عليه الصلاة والسلام - أن ينزل عليهم مائدة من السماء يأكلون منها وتطمئن قلوبهم وتكون دليلا على صدق عيسى - عليه الصلاة والسلام - وهذا سؤال يعتبر من المحال تحقيقه ، لأن السماء لا ينزل منها طعام معد بالكيفية التي يريدونها ، والعادة أن الطعام يكون من الأرض ، ثم بعد هذا الطلب المعجز لأي أحد إلا لمن له الخلق والأمر كله ، يتوجه نبي الله عيسى إلى ربه - سبحانه وتعالى الذي يقول للشيء كن فيكون - بالدعاء أن يحقق لهم مرادهم فيحصل هذا الأمر الخارق للعادة ، من نزول طعام من السماء ، الله أعلم بكيفية نزوله في ذلك الزمان ، وأعلم بما فيه من ألوان الطعام.

والخلاصة في وجه الإعجاز :

أولا : أن نزول المائدة كان على كيفية وهيئة لم يسبق أن حصل على مثل هذه الطريقة.

ثانيا : أن نزول المائدة لم يكن إلا بعد طلب من بني إسرائيل.

ثالثا : أن نزولها لم يحدث إلا بعد دعاء عيسى - عليه الصلاة والسلام - . والله أعلم.

المبحث الثامن : في رفعه إلى السماء.

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرًا أَلَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ ابْنِي مَتَّىٰ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٥٢-٥٥]

قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾ قال أبو عبيدة : أحس ، بمعنى عرف^{٣٤٤} . وقال الزجاج : أحس في اللغة علم ووجد . ويقال : هل أحسست الخبر ، أي هل عرفته وعلمته^{٣٤٥} . وقال الشوكاني : وأصل ذلك وجود الشيء بالحاسة والإحساس العلم بالشيء قال الله تعالى : ﴿ هل تحس منهم من أحد ﴾ والمراد بالإحساس هنا : الإدراك القوي الجاري مجرى المشاهدة . وبالكفر إصرارهم عليه . وقيل : سمع منهم كلمة الكفر . وقال الفراء : أرادوا قتله . وعلى هذا فمعنى الآية : فلما أدرك منهم عيسى إرادة قتله التي هي كفر ﴿ قال من أنصاري إلى الله ﴾ الأنصار جمع نصير .

^{٣٤٤} انظر معاني القرآن للنحاس ١ / ٤٠٥ ، وتفسير البيهقي ١ / ٣٠٥

^{٣٤٥} انظر معاني القرآن وإعرابه ١ / ٤٢١ وتفسير السمرقندي ١ / ٢٧٠

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

وقوله : ﴿ إلى الله ﴾ متعلق محذوف وقع حالا أي متوجها إلى الله أو ملتجئا إليه أو ذاهبا إليه. وقيل : إلى بمعنى مع كقوله تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم إلى أموالكم ﴾. وقيل المعنى : من أنصاري في السبيل إلى الله. وقيل المعنى : من يضم نصرته إلى نصرته الله.

والحواريون جمع حوارى ، وحوارى الرجل صفوته وخلاصته وهو مأخوذ من الحور وهو البياض عند أهل اللغة ، حورت الثياب بيضتها والحوارى من الطعام ما حور أي بيض والحوارى أيضا الناصر ومنه قوله ﷺ ((لكل نبي حوارى وحوارىي الزبير))^{٣٤٦}.

وقد اختلف في سبب تسميتهم بذلك فقيل : لبياض ثيابهم. وقيل : لخلوص نياتهم وقيل : لأنهم خاصة الأنبياء وكانوا اثني عشر رجلا^{٣٤٧}.

ومعنى أنصار الله : أنصار دينه ورسوله.

وقوله تعالى : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾ قال الزجاج : المكر من الخلق خبث وخذاع ، ومن الله - عز وجل - المجازاة ، فسمي باسم ذلك لأنه مجازاة عليه كقوله تعالى ﴿ الله يستهزئ بهم ﴾ [البقرة: ١٥] ﴿ والله خير الماكرين ﴾ [آل عمران: ٥٤] لأن مكره مجازاة ونصر للمؤمنين. قال ابن عباس : ومكرهم أن اليهود أرادوا قتل عيسى فدخل خوخة فدخل رجل منهم فألقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى إلى السماء فلما خرج إليهم ظنوه عيسى فقتلوه^{٣٤٨}.

^{٣٤٦} أخرجه البخاري ٦ / ٢٦٥٠ في كتاب : التمني ، باب : بعث النبي ﷺ الزبير طلعة وحده. ومسلم ٤ / ١٨٧٩ في كتاب :

فضائل الصحابة ، باب : من فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما. وأحمد ٣ / ٣٣٨ ، وابن حبان ١٥ / ٤٤٤ من حديث

جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

^{٣٤٧} انظر فتح القدير ١ / ٣٤٤ ، وزاد المسير ١ / ٣٩٤ وتفسير أبي السعود ٢ / ٤١

^{٣٤٨} انظر زاد المسير ١ / ٣٩٥

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَبْسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ العامل في «إذ» مكروا ، أو

قوله: ﴿ خَيْرَ الْمَاكِرِينَ ﴾ أو فعل مضمّر تقديره وقع ذلك^{٣٤٩}. وقال جماعة من أهل

المعاني منهم الضحاك والفراء في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ على

التقديم والتأخير؛ لأن الواو لا توجب الرتبة. والمعنى: إني رافعك إلي ومطهرك من

الذين كفروا ومتوفيك بعد أن تنزل من السماء. كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ

سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [طه: ١٢٩] والتقدير ولو لا

كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما. قال الشاعر:

ألا يا نخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

أي عليك السلام ورحمة الله.

وقال الحسن وابن جريح: معنى متوفيك قابضك ورافعك إلى السماء من غير موت؛

مثل توفيت مالي من فلان أي قبضته.

وقال ابن زيد: متوفيك قابضك، ومتوفيك ورافعك واحد ولم يمت بعد.

وروى ابن طلحة عن ابن عباس معنى متوفيك ميمتك.

وقال الربيع بن أنس: وهي وفاة نوم؛ قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ

﴿ [الأنعام: ٦٠] أي ينيمكم لأن النوم أخو الموت؛ كما قال ﷺ فعن جابر بن عبد الله

قال سئل رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله، أينام أهل الجنة؟ فقال رسول الله

ﷺ: ((النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون))^{٣٥٠}

والسبب في احتياج المفسرين إلى تأويل الوفاة بهذه التأويلات لأن الصحيح أن الله

تعالى رفعه إلى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد، وهو اختيار

^{٣٤٩} انظر فتح القدير ١ / ٣٤٤

^{٣٥٠} رواه الطبراني في الأوسط ١ / ٢٨٢، و٨ / ٣٤٢ قال في مجمع الزوائد ١٠ / ٤١٥: رواه الطبراني في الأوسط

والبزار ورجال البزار رجال الصحيح.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

الطبري، وهو الصحيح عن ابن عباس، وقاله الضحاك ، وقد جاءت الأخبار الثابتة
الصحيحة عن النبي ﷺ في نزوله آخر الزمان وقتله الدجال^{٣٥١}.

^{٣٥١} انظر فتح القدير ١ / ٣٤٤

قال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَعَّ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [١٥٥] وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا [١٥٦] وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا [١٥٧] بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا [١٥٨] وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴾ [النساء: ١٥٥-١٥٩]

قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ ﴾ أي فبسبب نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم أو على أعقابهم^{٣٥٢}. وقد سبق أن ذكرنا في رفع الطور أن سببه أنهم امتنعوا عن قبول ما في التوراة من تشريع فرفع الله سبحانه عليهم الطور حتى يقبلوا ما فيها ، وأخذ عليهم الميثاق. أو أن الله أخذ عليهم الميثاق أن يبينوا ما أنزل عليهم من ذكر النبي ﷺ وغيره. قاله الزجاج^{٣٥٣}.

قوله تعالى : ﴿ وَكُفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ أي : ما في كتبهم التي حرفوها^{٣٥٤}.

قوله تعالى : ﴿ وَقَتَلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ كزكريا ويحيى عليهما السلام وغيرهما.

^{٣٥٢} انظر تفسير أبي السعود ٢ / ٢٥٠

^{٣٥٣} انظر زاد المسير ٢ / ٢٤٣

^{٣٥٤} انظر فتح القدير ١ / ٥٣٤

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ جمع أغلف أي محجوبة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والوعظ. قاله النسفي.^{٣٥٥} قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ، والسدي ، وقتادة وغير واحد: أي في غطاء ، وهذا كقول المشركين كما قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَمَلُونَ ﴾ [فصلت: ٥]

وقيل معناه: أنهم ادعوا أن قلوبهم غلف للعلم ، أي أوعية للعلم قد حوته وحصلته، رواه الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس.

﴿ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ يعني حتم الله على قلوبهم بسبب كفرهم ، وهو رد وإنكار لقولهم قلوبنا غلف . فعلى القول الأول كأنهم يعتذرون إليه بأن قلوبهم لا تعي ما يقول ، لأنها في غلف ، وفي أكنة ، وعلى القول الثاني: عكس عليهم ما ادعوه من كل وجه.

ومعنى ﴿ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ أي إيمانهم قليل ، قاله مجاهد ، أو فلا يؤمن منهم إلا القليل ، وهم عبد الله بن سلام ، وأصحابه ، قاله ابن عباس^{٣٥٦}.

وقوله تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴾ أي نسبتهم إياها إلى الزنا عليهم لعنة الله. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني أنهم رموها بالزنا ، وكذلك قال السدي وجوير ومحمد بن إسحاق وغير واحد ، وهو ظاهر من الآية، أنهم رموها وابنها بالعظام ، فجعلوها زانية وقد حملت بولدها من ذلك، زاد بعضهم: وهي حائض فعليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة.

^{٣٥٥} في تفسيره ١ / ٢٦١

^{٣٥٦} انظر زاد المسير ٢ / ٢٤٣

قوله تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾
قال ابن كثير : أي هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب قتلناه، وهذا منهم من باب
التهمك والاستهزاء، كقول المشركين ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ
لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر: ٦] وكان من خبر اليهود، - عليهم لعائن الله وسخطه
وغضبه وعقابه - أنه لما بعث الله عيسى بن مريم بالبينات والهدى حسدوه على ما
آتاه الله تعالى من النبوة والمعجزات الباهرات التي كان يريء بها الأكمه والأبرص
ويحيي الموتى بإذن الله، ويصور من الطين طائرا، ثم ينفخ فيه، فيكون طائرا يشاهد
طيرانه بإذن الله عز وجل، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها وأجراها على
يديه، ومع هذا كذبوه وخالفوه وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم حتى جعل نبي الله
عيسى عليه السلام، لا يساكنهم في بلدة، بل يكثر السياحة هو وأمه عليهما السلام،
ثم لم يقنعهم ذلك ، حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان، وكان رجلا مشركا
من عبدة الكواكب ، وكان يقال لأهل ملته اليونان، وأنهم إليه أن في بيت المقدس
رجلا يفتن الناس ويضلهم ، ويفسد على الملك رعاياه ، فغضب الملك من هذا
وكتب إلى نائبه بالمقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه ويضع الشوك على
رأسه ، ويكف أذاه عن الناس ، فلما وصل الكتاب امتثل متولي بيت المقدس ذلك،
وذهب هو وطائفة من اليهود إلى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام ، وهو في جماعة
من أصحابه اثني عشر أو ثلاثة عشر، وقيل سبعة عشر نفرا ، وكان ذلك يوم الجمعة
بعد العصر ليلة السبت ، فحصره هنالك. فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم
عليه أو خروجه إليهم ، قال لأصحابه: أيكم يلقي عليه شبيهي وهو رفيقي في الجنة ؟
فانتدب لذلك شاب منهم فكأنه استصغره عن ذلك ، فأعادها ثانية وثالثة ، وكل
ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب ، فقال: أنت هو، وألقى الله عليه شبه عيسى حتى
كأنه هو، وفتحت روزنة من سقف البيت، وأخذت عيسى عليه السلام سنة من
النوم ، فرفع إلى السماء وهو كذلك ، كما قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

يَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴿ الآية ، فلما رفع خرج أولئك النفر، فلما رأى أولئك ذلك الشاب ، ظنوا أنه عيسى، فأخذوه في الليل وصلبوه ، ووضعوا الشوك على رأسه ، فأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه ، وتبححوا بذلك وسلم لهم طوائف من النصارى ، ذلك لجهلهم وقلة عقلهم ، ما عدا من كان في البيت مع المسيح ، فإنهم شاهدوا رفعه. وأما الباقيون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود، أن المصلوب هو المسيح بن مريم ، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت، ويقال إنه خاطبها، والله أعلم، وهذا كله من امتحان الله عباده، لما له في ذلك من الحكمة البالغة.

أخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم: من حديث أبي معاوية عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس، قال: لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء، خرج على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلا من الحوارين، يعني فخرج عليهم من عين في البيت، ورأسه يقطر ماء، فقال: إن منكم من يكفر بي اثني عشرة مرة، بعد أن آمن بي، ثم قال: أيكم يلقي عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سنا، فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام ذلك الشاب، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال: أنا، فقال: أنت هو ذاك، فألقي عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السماء، قال: وجاء الطلب من اليهود فأخذوا الشبه فقتلوه ثم صلبوه، وكفر به بعضهم اثني عشرة مرة بعد أن آمن به، وافترقوا ثلاث فرق، فقالت طائفة، كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية، وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شاء، ثم رفعه الله إليه وهؤلاء النسطورية، وقالت فرقة: كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوهما، فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا ﷺ . قال ابن كثير: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس^{٣٥٧}. قال الشوكاني: وصدق ابن كثير فهؤلاء كلهم من رجال الصحيح. وقال وأخرجه النسائي من حديث أبي كريب، عن أبي معاوية بنحوه. وقد رويت

^{٣٥٧} تفسير ابن كثير ٢ / ٤٠١

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

وأخرجه النسائي من حديث أبي كريب، عن أبي معاوية بنحوه. وقد رويت قصته عليه السلام من طرق بألفاظ مختلفة، وساقها عبد بن حميد وابن جرير عن وهب بن منبه على صفة قريبة من الإنجيل، وكذلك ساقها ابن المنذر عنه^{٣٥٨}. وكذا ذكره غير واحد من السلف، أنه قال لهم: أيكم يلقي عليه شبيهي فيقتل مكاني، وهو رفيقي في الجنة.

قال ابن جرير عن مجاهد: صلبوا رجلا شبهوه بعيسى ورفع الله عز وجل عيسى إلى السماء حيا، واختار ابن جرير أن شبه عيسى ألقى على جميع أصحابه^{٣٥٩}.

وقد أوضح الله الأمر وجلاه وبينه، وأظهره في القرآن العظيم فقال ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ أي رأوا شبهه فظنوه إياه، ولهذا قال: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾^ج يعني بذلك من ادعى أنه قتله من اليهود، ومن سلمه من جهال النصارى، كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسعر، ولهذا قال: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ أي وما قتلوه متيقنين أنه هو بل شاكين متوهمين ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ﴾ أي منيع الجنب، لا يرام جنبه ولا يضام من لاذ ببابه، ﴿ حَكِيمًا ﴾ أي في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة والسلطان العظيم والأمر القديم^{٣٦٠}.

^{٣٥٨} فتح القدير ١ / ٥٣٥

^{٣٥٩} انظر تفسير الطبري ١٦، ١٥ / ٦

^{٣٦٠} انظر تفسير ابن كثير ٢ / ٤٠١، ٤٠٠

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ((والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص^{٣٦١} فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد)).^{٣٦٢} وعنه أيضا عن النبي ﷺ قال : ((والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفتح الروحاء حاجا أو معتمرا أو ليشينهما))^{٣٦٣}

ولا ينزل بشرع مبتدأ فينسخ به شريعتنا بل ينزل مجددا لما درس منها متبعها. كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ((كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)). وفي رواية : ((فأمكم منكم)). قال ابن أبي ذئب : تدري ما أمكم منكم؟. قلت : تخبرني. قال : فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ.^{٣٦٤}

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾

فقال ابن جرير : اختلف أهل التأويل في معنى ذلك قال بعضهم : معنى ذلك ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ يعني بعيسى يعني قبل موت عيسى يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال ، فتصير الملل كلها واحدة ، وهي ملة الإسلام الحنيفية ، دين إبراهيم عليه السلام . وبه قال : ابن عباس ،

^{٣٦١} القلاص بالكسر جمع قلوص قال في القاموس المحيط مادة : قلوص ص ٨١٠ ، ٨١١ والقلوص من الإبل : الشابة أو الباقية على السير ، أو أول ما يركب من إناثها إلى أن تنثى ، ثم هي ناقة ، والناقة الطويلة القوائم ، خاص بالإناث ، جمع : قلائص وقلوص .

^{٣٦٢} أخرجه مسلم ١٣٦/١ في كتاب : الإيمان ، باب : نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ وأحمد في المسند ٤٩٣/٢ وابن حبان ٢٢٧/١٥ باب : ذكر الإخبار عن رفع التباغض والتحاسد والشحناء عند نزول عيسى بن مريم صلوات الله عليه ، وابن منده في كتابه الإيمان ٥١٤/١ وأبو عوانه ١٠٦/١

^{٣٦٣} أخرجه مسلم ٩١٥/٢ في كتاب الحج ، باب : إهلال النبي ﷺ .

^{٣٦٤} أخرجه مسلم ١٣٧/١ في كتاب : الإيمان باب : نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

والحسن البصري ، وقتادة ، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم^{٣٦٥} . وقد رجحه ابن كثير^{٣٦٦}.

وقال آخرون : يعني بذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت الكتابي.

ذكر من كان يوجه ذلك إلى أنه إذا عاين علم الحق من الباطل لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في دينه.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، قوله ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ قال: لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى.

عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد في قوله: ﴿ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ قَبْلَ مَوْتِهِ^ط ﴿ كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى قبل موته قبل موت صاحب الكتاب.

وقال ابن عباس: لو ضربت عنقه لم تخرج نفسه حتى يؤمن بعيسى. وعن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لا يموت اليهودي حتى يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله، ولو عجل عليه بالسلاح.

وعن سعيد بن جبیر، عن ابن عباس ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾ قَبْلَ مَوْتِهِ^ط قال: هي في قراءة أبي قبل موتهم، ليس يهودي يموت أبدا حتى

يؤمن بعيسى، قيل لابن عباس: أرأيت إن خر من فوق بيت؟ قال: يتكلم به في الهوي، فقيل: أرأيت إن ضربت عنق أحد منهم؟ قال: يلجج بها لسانه.

وقال آخرون: معنى ذلك وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بمحمد ﷺ قبل موت الكتابي.

^{٣٦٥} انظر تفسير الطبري ١٩، ١٨/٦ والدر المنثور ٤٢٧/٢

^{٣٦٦} انظر تفسير ابن كثير ٤٠٤/٢

قال عكرمة: لا يموت النصراني ولا اليهودي حتى يؤمن بمحمد ﷺ يعني في قوله: ﴿

وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۗ﴾^{٣٦٧}

قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصحة القول الأول ، وهو أنه لا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موت عيسى عليه السلام. وقد رجحه ابن كثير أيضا بعد أن سرد الأقوال جميعا من تفسير الطبري حيث قلل : ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح، لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلم لهم من النصراني الجهلة ذلك ، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم، فقتلوا الشبيه وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنه رفعه إليه ، وإنه باق حي ، وإنه سيزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة فيقتل مسيح الضلالة ، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية يعني لا يقبلها من أحد من أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم، ولهذا قال: ﴿وَإِنْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۗ﴾ أي قبل موت عيسى عليه السلام الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصراني أنه قتل وصلب^{٣٦٨}.

^{٣٦٧} ذكر جميع هذه الأقوال بأسانيد الطبري في تفسيره ١٩، ١٨/٦ ، وانظر الدر المنثور ٤٢٧/٢

^{٣٦٨} انظر تفسير ابن كثير ٤٠٥/٢

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

الأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان.

قال في عون المعبود : تواترت الأخبار عن النبي ﷺ في نزول عيسى بن مريم من السماء بجسده العنصري إلى الأرض عند قرب الساعة وهذا هو مذهب أهل السنة. انتهى^{٣٦٩}.

قال النووي : قال القاضي : نزول عيسى عليه السلام وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته. وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى : {وخاتم النبيين} (لا نبي بعدي)) وبإجماع المسلمين أنه لا نبي بعد نبينا ﷺ وأن شريعته مؤبدة إلى يوم القيامة لا تنسخ.

وهذا استدلال فاسد لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا بل صححت أنه ينزل حكما مقسطا يحكم بشرعنا ويحیی من أمور شرعنا ما هجره الناس. انتهى^{٣٧٠}.

وفي فتح الباري : تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى عليه السلام يصلي خلفه^{٣٧١}. وقال الحافظ أيضا : الصحيح أن عيسى رفع وهو حي. انتهى^{٣٧٢}.

وقال الشوكاني في رسالته المسماة بالتوضيح في تواتر ما جاء في الأحاديث في المهدي والدجال والمسيح : وقد ورد في نزول عيسى عليه السلام من الأحاديث تسعة وعشرون حديثا ثم سردها وقال بعد ذلك وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع فتقرر بجميع ما سقناه أن الأحاديث الواردة في المهدي

^{٣٦٩} عون المعبود ١١ / ٣٠٧

^{٣٧٠} شرح النووي على مسلم ١٨ / ٧٥

^{٣٧١} فتح الباري ٦ / ٤٩٥

^{٣٧٢} فتح الباري ٦ / ٣٧٥

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

المنتظر متواترة والأحاديث الواردة في الدجال متواترة والأحاديث الواردة في نزول عيسى عليه السلام متواترة. انتهى.

قال الكتاني : وقد ذكروا أن نزوله ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ، والأحاديث في نزوله كثيرة ذكر الشوكاني منها في التوضيح تسعة وعشرين حديثا ما بين صحيح وحسن وضعيف منجبر ، منها ما هو مذكور في أحاديث الدجال ومنها ما هو مذكور في أحاديث المنتظر ، وتنضم إلى ذلك أيضا الآثار الواردة عن الصحابة فلها حكم الرفع إلا لا مجال للاجتهاد في ذلك والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة وكذا الواردة في الدجال ، وفي نزول سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام^{٣٧٣}.

وسأذكر إن شاء الله بعض الأحاديث التي فيها نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ، مع الاختصار ما استطعت وبالله تعالى أسأله المعونة فأقول :

عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ((لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم حكما مقسطا ، وإماما عادلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد))^{٣٧٤}.

وعن عمار بن المغيرة عن أبي هريرة قال : إن المساجد لتجدد لخروج المسيح ، وإنه سيخرج ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويؤمن به من أدركه ، فمن أدركه منكم فليقرئه مني السلام ، ثم التفت إلي فقال : يا ابن أخي إني أراك من أحدث القوم فإن أدركته فاقره مني السلام^{٣٧٥}.

^{٣٧٣} نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص ٢٢٩

^{٣٧٤} أخرجه ابن ماجه ١٣٦٣/٢ وابن أبي شيبة في المصنف ٤٩٤/٧

^{٣٧٥} أخرجه ابن أبي شيبة ٤٩٤/٧

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ((والذي نفسي بيده ليوشكن أن يستزل فيكم ابن مريم^{٣٧٦} حكما عدلا ، فيكسر الصليب^{٣٧٧} ، ويقتل الخنزير^{٣٧٨} ، ويضع الجزية^{٣٧٩} ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة خيرا من الدنيا وما فيها)). ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا إن شئتم ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩] ^{٣٨٠}

^{٣٧٦} قال ابن حجر في فتح الباري ٤٩٣/٦ : قال العلماء : الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء ، الرد على اليهود في زعمهم أنهم قتلوه فبين الله تعالى كذبهم وأنه الذي يقتلهم أو نزوله لدنو أجله ليدفن في الأرض إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها وقيل إنه دعا الله لما رأى صفة محمد وأتمه أن يجعله منهم فاستجاب الله دعاءه وأبقاه حتى يتزل في آخر الزمان مجددا لأمر الإسلام فيوافق خروج الدجال فيقتله والأول أوجه.

^{٣٧٧} في عون المعبود ٣٠٦/١١ قال ابن الملك : الصليب في اصطلاح النصارى خشبة مثلثة يدعون أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - صلب على خشبة مثلثة على تلك الصورة وقد يكون فيه صورة المسيح. ^{٣٧٨} ويقتل الخنزير: أي يحرم اقتناءه وأكله ويبيح قتله.

^{٣٧٩} ويضع الجزية: قال الخطابي أي يكره أهل الكتاب على الإسلام فلا يقبل منهم الجزية بل الإسلام أو القتل. وقال في النهاية : فلا يبقى ذمي تجرى عليه جزية أي لا يبقى فقير لاستغناء الناس بكثرة الأموال فتسقط الجزية لأنها إنما شرعت لترد في مصالح المسلمين تقوية لهم فإذا لم يبق محتاج لم تؤخذ. وقال القاضي عياض : أو أراد بوضع الجزية تقريرها على الكفار بلا محاباة فيكثر المال بسببه. وتعقبه النووي : بأن صوابه أن عيسى لا يقبل غير الإسلام. انظر عون المعبود ٣٠٦/١١ ، ويؤيده ما في رواية أحمد وتكون الدعوة واحدة قال النووي : فليس بإسقاط الجزية نسخ لما تقرر بشريعتنا لأنه مقيد بأنها تستمر إلى نزوله فتوضع ، فبيننا محمد بين غاية استمرارها فلا نسخ لشريعته بل هو عمل بما بينه . كذا في مرعاة الصعود.

^{٣٨٠} أخرجه البخاري ٧٧٤/٢ كتاب : البيوع باب : قتل الخنزير و٨٧٥/٢ كتاب : المظالم ، باب : كسر الصليب وقتل الخنزير . ومسلم ١٣٥/١ كتاب : الإيمان ، باب : نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ . والترمذي ٥٠٦/٤ كتاب : افتن باب : ما جاء في نزول عيسى بن مريم عليه السلام . والبيهقي ٢٤٤/١ كتاب : باب : الدليل على أن الخنزير أسوأ حالا من الكلب و١٨٠/٩ وأبو عوانه ١٠٥/١ ، وابن حبان ٢٣٠/١٥ وابن منده في كتابه الإيمان ٥١٢/١

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

وعن يحيى بن جابر عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ ((أن عيسى بن مريم يأتي قوما قد عصمهم الله من الدجال فيمسح وجوههم بدرجاتهم في الجنة.))^{٣٨١}

وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال : ((لقيت ليلة أسرى بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فتذاكروا أمر الساعة ، فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال : لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلى موسى فقال : لا علم لي بها ، فردوا أمرهم إلى عيسى فقال : أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله ، وفيما عهد إلى ربي عز وجل أن الدجال خارج ومعني قضيان فإذا رأني ذاب كما يذوب الرصاص ، قال : فيهلكه الله إذا رأني حتى إن الحجر والشجر يقول : يا مسلم إن تحتي كافرا فتعال فاقتله ، قال : فيهلكهم الله ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطؤون بلادهم فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يبرون على ماء إلا شربوه ، قال : ثم يرجع الناس يشكونهم فأدعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم ويترل الله المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم في البحر ففيما عهد إلي ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك أن الساعة كالحامل المتم لا يدري أهلها متى تفاجئهم بولدها ليلا أو نهارا.))^{٣٨٢}

وعن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة قال أتينا عثمان بن أبي العاص في يوم جمعة لنعرض عليه مصحفا لنا على مصحفه ، فلما حضرت الجمعة أمرنا فاغتسلنا ، ثم أتينا بطيب فتطينا ، ثم جئنا المسجد فجلسنا إلى رجل فحدثنا عن الدجال ثم جاء عثمان بن أبي العاص فقمنا إليه فجلسنا فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((يكون للمسلمين ثلاثة أمصار ، مصر بملتقى البحرين ، ومصر بالحيرة ، ومصر بالشام ، ففرع الناس ثلاث فزعات ، فيخرج الدجال في أعراض الناس فيهزم

^{٣٨١} أخرجه مسلم في صحيحه ٢٢٥٣/٤ في الفتن ، باب: ذكر الدجال مطولا. وابن حبان ٢٢٦/١٥ باب

: ذكر الإخبار عما يفعل عيسى بن مريم بمن نجاه الله من فتنة المسيح ، مختصرا.

^{٣٨٢} أخرجه أحمد ٣٧٥/١ وابن ماجه ١٣٦٥/٢ رقم: ٤٠٨١

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

من قبل المشرق فأول مصر يرده المصر الذي بملتقى البحرين فيصير أهلهم ثلاث فرق ، فرقة تقول نقيم نشامه ننظر ما هو ، وفرقة تلحق بالأعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم ومع الدجال سبعون ألفا عليهم السيجان وأكثر من معه اليهود والنساء ثم يأتي المصر الذي يليه فيصير أهله ثلاث فرق ، فرقة تقول نشامه ننظر ما هو وفرقة تلحق بالأعراب وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم بغرب الشام ، وينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق ، فيبعثون سرحا لهم فيصاب سرحهم فيشتد ذلك عليهم ويصيبهم مجاعة شديدة وجهد شديد حتى إن أحدهم ليحرق وتر قوسه فيأكله فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من الشجر يا أيها الناس أتاكم الغوث ثلاثا فيقول بعضهم لبعض : إن هذا لصوت رجل شعبان وينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند صلاة الفجر فيقول له أميرهم : يا روح الله ، تقدم صل فيقول : هذه الأمة أمراء بعضهم على بعض فيتقدم أميرهم فيصلي حتى إذا قضى صلاته أخذ عيسى حربته فذهب نحو الدجال فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الرصاص فيضع حربته بين ثنودته فيقتله ويهزم أصحابه فليس يومئذ شيء يوارى منهم أحدا حتى إن الشجرة تقول يا مؤمن هذا كافر ويقول الحجر يا مؤمن هذا كافر.))^{٣٨٣}

وعن معلى بن منصور حدثنا سليمان بن بلال حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ((لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابلق^{٣٨٤} فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلوهم فيهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا ، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتح الثلث لا يفتنون أبدا فيفتحون قسطنطينية فبينما هم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم

^{٣٨٣} أخرجه أحمد ٢١٦/٤ والطبراني في المعجم الكبير ٦٠/٩ ، والحاكم في المستدرک ٥٢٤/٤ ، وابن أبي شيبه في المصنف ٤٩١/٧ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤٢/٧ : رواه أحمد والطبراني وفيه علي بن زيد وفيه ضعف وقد وثق وبقية رجالهما رجال الصحيح.

^{٣٨٤} موضعان بالشام بقرب حلب.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج فيينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمرهم . فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لذاب حتى يهلك . ولكن يقتله الله بيده . فيريهم دمه في حربته.))^{٣٨٥}

وعن المقرري عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال : ((لينزلن ابن مريم حكما عادلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، وليضعن الجزية ، ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ، ولتذهبن الشحناء ، والتباغض ، والتحاسد ، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد.))^{٣٨٦}

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ((ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ويجمع له الصلاة ويعطي المال حتى لا يقبل ويضع الخراج وينزل الروحاء فيحجج منها أو يعتمر أو يجمعهما . قال : وتلا أبو هريرة { وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا } قال أبو هريرة : يؤمن به قبل موت عيسى.))^{٣٨٧}

وعن أبي هريرة ، أن نبي الله ﷺ قال : «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإنى أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي. وإنه نازل^{٣٨٨} ، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربع

^{٣٨٥} أخرجه مسلم في الفتن باب : في فتح قسطنطينية ، وخروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم ٢٢٢١/٤ ، وابن حبان ٢٢٤/١٥ باب : ذكر ذوبان الدجال عند رؤيته عيسى بن مريم قبل قتله إياه .

^{٣٨٦} أخرجه مسلم ١٣٦/١ باب : نزول عيسى بن مريم حاكما بشرية نبينا محمد ﷺ ، وأحمد في المسند ٤٩٣/٢ ، وابن حبان ٢٢٧/١٥ باب : ذكر الإخبار عن رفع التباغض والتحاسد والشحناء عند نزول عيسى بن مريم صلوات الله عليه ، وابن منده في كتابه الإيمان ٥١٤/١

^{٣٨٧} أخرجه أحمد ٢٩٠/٢

^{٣٨٨} قال القرطبي في التذكرة : ذهب قوم إلى أن بتزل عيسى عليه السلام يرتفع التكليف لئلا يكون رسولا إلى أهل ذلك الزمان يأمرهم عن الله وينهاهم وهذا مردود لقوله تعالى : { وخاتم النبيين } وقوله : ((لا نبي من بعدى)) وغير ذلك من الأخبار ، وإذا كان ذلك فلا يجوز أن يتوهم أن عيسى عليه السلام ينزل نبيا بشرية متجددة غير شريعة محمد نبينا ﷺ بل إذا نزل فإنه يكون يومئذ من أتباع محمد ﷺ كما أخبر حيث قال لعمر : ((لو كان موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي)) فعيسى عليه السلام إنما يتزل مقررًا لهذه الشريعة

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الشعر كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، بين ممصرتين^{٣٨٩}، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، ويقاتل الناس على الإسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها غير الإسلام^{٣٩٠}، ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال، وتقع الأمانة في الأرض في زمانه حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم، وتلعب الغلمان والصبيان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا، ثم يلبث في الأرض ما شاء الله» وربما

بجددا لها إذ هي آخر الشرائع ومحمد ﷺ آخر الرسل فينزل حكما مقسطا ، وإذا صار حكما فإنه لا سلطان يومئذ للمسلمين ولا إمام ولا قاضي ولا مفتي غيره ، وقد قبض الله العلم وخلا الناس منه فينزل وقد علم بأمر الله تعالى في السماء قبل أن ينزل ما يحتاج إليه من علم هذه الشريعة للحكم بين الناس والعمل به في نفسه فيجتمع المؤمنون عند ذكر ذلك إليه ويحكمونه على أنفسهم إذ لا أحد يصلح لذلك غيره . قال السيوطي : ما قاله ككون العلماء يسلبون علمهم باطل قطعاً بل لا تزال الأمة بعلمائهم وقضائهم وغيرهم إلا أن الإمام الأكبر المرجوع إليه هو نبي الله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقبض العلم إنما يكون بعد موت المؤمنين. انظر عون المعبود ٣٠٦/١١ .

^{٣٨٩} بين ممصرتين: قال في النهاية : الممصرة من الثياب التي فيها صفرة خفيفة أي ينزل عيسى - عليه

السلام - بين تويين فيهما صفرة خفيفة.

^{٣٩٠} قال في شرح السنة وغيره : أي فيبطل النصرانية ويحكم بالملة الحنيفية.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

قال: «أربعين سنة^{٣٩١}، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه^{٣٩٢}»^{٣٩٣}.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((ليهن عيسى بن مريم بفتح الروحاء بالحج أو بالعمرة أو لثنتينهما^{٣٩٤} جميعا))^{٣٩٥}

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم^{٣٩٦}؟))^{٣٩٧}

^{٣٩١} قال الحافظ عماد الدين بن كثير: ويشكل بما في رواية مسلم من حديث عبد الله بن عمرو أنه يمكث في الأرض سبع سنين، قال: اللهم أن تحمل هذه السبع على مدة إقامته بعد نزوله فيكون ذلك مضافا لمكثه بما قبل رفعه إلى السماء فعمره ذاك ثلاث وثلاثون سنة بالمشهور. انتهى. وفي فتح الباري في كتاب الأنبياء ٤٩٣/٦: وعند أحمد من حديث عائشة ويمكث عيسى في الأرض أربعين سنة، وروى مسلم من حديث ابن عمرو في مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله أما سبع سنين، وروى نعيم بن حماد في كتاب الفتن من حديث ابن عباس أن عيسى إذ ذاك يتزوج في الأرض ويقوم بها تسع عشرة سنة، وبإسناد فيه مبهم عن أبي هريرة بما أربعين سنة. وروى أحمد وأبو داود بإسناد صحيح من طريق عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة مثله مرفوعا. انتهى.

^{٣٩٢} قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: يتوفى بطيبة فيصلي عليه هنالك ويدفن بالحجرة النبوية، وقد روى الترمذي عن عبد الله بن سلام مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه. كذا في مرقاة السعود. انظر عون المعبود ٣٠٧/١١.

^{٣٩٣} أخرجه أحمد ٤٠٦/٢، ٤٣٧، وأبو داود في السنن ٤/١١٧ رقم ٤٣٢٤ كتاب: الفتن والملاحم، باب: خروج الدجال، وابن حبان ٢٣٣/١٥ وابن أبي شيبة في المصنف ٤٩٩/٧، ابن جرير في تفسيره ٢٢/٦، ونعيم بن حماد في الفتن ٥٧٥/٢ ومعر بن راشد في الجامع ٤٠١/١١.

^{٣٩٤} لثنتينهما: أي يقرن بينهما جميعا.

^{٣٩٥} أخرجه مسلم ٩١٥/٢ في كتاب الحج، باب: إهلال النبي ﷺ وهدية. وأحمد في مسنده ٢٤٠/٢، ٥١٣، ٥٤٠، وابن أبي شيبة ٤٩٤/٧ وابن حبان ٢٣٢/١٥ وابن منده ٥١٨/١ والبيهقي ٢/٥، والطبراني في الأوسط ٣٠٥/٥ والحميدي ٤٤٠/٢ وابن الجعد ص ٤٢٢.

^{٣٩٦} قال ابن حجر في فتح الباري ٤٩٥/٦: وقال أبو ذر الهروي حدثنا الجوزقي عن بعض المتقدمين قال:

معنى قوله: ((وإمامكم منكم)) يعني أنه يحكم بالقرآن لا بالإنجيل. وقال: ابن التين: معنى قوله: ((وإمامكم منكم)) أن الشريعة المحمدية متصلة إلى يوم القيامة وأن في كل قرن طائفة من أهل العلم وهذا والذي قبله لا يبين كون عيسى إذا نزل يكون إماما أو مأموما وعلى تقدير أن يكون عيسى إماما فمعناه أنه يصير معكم بالجماعة من هذه الأمة قال الطيبي المعنى يؤمكم عيسى حال كونه في دينكم ويعكر عليه قوله في حديث آخر عند مسلم ((فيقال له: صل لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه لهذه الأمة))

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : ((إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى بن مريم عليه السلام ، فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه مني السلام))^{٣٩٨} .
وعن كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ ((يوشك المسيح عيسى بن مريم أن ينزل حكما قسطا ، وإماما عادلا ، فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، وتكون الدعوة واحدة فأقرئوه أو أقرئه السلام من رسول الله ﷺ وأحدثه فيصدقني فلما حضرته الوفاة قال : أقرئوه مني السلام))^{٣٩٩} .
وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ((ألا إن عيسى بن مريم ليس بينه وبينني نبي ولا رسول إلا أنه خليفتي في أمي من بعدي إلا أنه يقتل الدجال ، ويكسر الصليب ويضع الجزية ، وتضع الحرب أوزارها ألا من أدركه منكم فليقرأ عليه السلام))^{٤٠٠}

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ((ينزل ابن مريم إماما عادلا ، وحكما مقسطا فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويرجع السلم ، وتتخذ السيوف مناجل ، وتذهب حمة كل ذات حمة ، وتنزل السماء رزقها ، وتخرج الأرض بركتها ، حتى يلعب الصبي بالثعبان ولا يضره ، ويراعي الغنم الذئب ولا يضرها ، ويراعي الأسد البقر ولا يضرها))^{٤٠١}

وقال ابن الجوزي : لو تقدم عيسى إماما لوقع في النفس إشكال ولقيل أتراه تقدم نائبا أو مبتدئا شرعا فصلى مأموما لثلاثين بدنس بغبار الشبهة وجه قوله لا نبي بعدي وفي صلاة عيسى خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال أن الأرض لا تخلو عن قائم لله بحجة والله أعلم .

^{٣٩٧} أخرجه البخاري ١٢٧٢/٣ كتاب : باب : نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ، ومسلم ١٣٦/١

باب : نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ ، وأبو عوانه ١٠٦/١ ، وابن منده ٥١٥/١

وأحمد ، والبيهقي في الأسماء والصفات .

^{٣٩٨} أخرجه أحمد ٢٩٨/٢ رقم ٧٩٩٧ ص ٢٩٩ رقم ٨٠٠٥ وابن الجعد ص ١٧٥ .

^{٣٩٩} أخرجه أحمد ٣٩٤/٢ رقم ٩١٥١ .

^{٤٠٠} أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ٣٠/٢

^{٤٠١} أخرجه أحمد ٤٨٢/٢

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

وأخرج أحمد والطبراني عن سمرة بن جندب أن رسول الله ﷺ قال : ((إن الدجال خارج^{٤٠٢} وهو أعور عين الشمال عليها طفرة غليظة ، وأنه يرى الأكمة والأبرص ، ويحيي الموتى ويقول : أنا ربكم ، فمن قال : أنت ربي فقد فتن ، ومن قلل : ربي الله حي لا يموت فقد عصم من فتنه ولا فتنة عليه ولا عذاب ، فلبث في الأرض ما شاء الله ثم يحيي عيسى بن مريم من المغرب - وعند الطبراني : من المشرق - مصدقا بمحمد وعلى ملته فيقتل الدجال ثم إنما هو قيام الساعة.))^{٤٠٣}

وعن يحيى بن أبي كثير قال حدثني الحضرمي بن لاحق أن ذكوان أبا صالح أخبره أن عائشة أخبرته قالت : دخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي فقال لي : ما يبكيك؟ قلت : يا رسول الله ، ذكرت الدجال فبكيت ، فقال رسول الله ﷺ : إن يخرج

^{٤٠٢} قال القاضي عياض : في هذه الأحاديث حجة لأهل السنة في صحة وجود الدجال وأنه شخص معين يتلي الله به العباد ويقدره على أشياء كإحياء الميت الذي يقتله وظهور الخصب والأثمار والجنة والنار واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء فتمطر والأرض فتنبت وكل ذلك بمشيئة الله ثم يعجزه الله فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ثم يبطل أمره ويقتله عيسى بن مريم وقد خالف في ذلك بعض الخوارج والمعتزلة والجهمية فأنكروا وجوده وردوا الأحاديث الصحيحة وذهب طوائف منهم كالجائبي إلى أنه صحيح الوجود لكن كل الذي معه مخاريق وخيالات لا حقيقة لها وألجأهم إلى ذلك انه لو كان ما معه بطريق الحقيقة لم يوثق بمعجزات الأنبياء وهو غلط منهم لأنه لم يدع النبوة فتكون الخوارق تدل على صدقه ، وإنما ادعى الإلهية وصورة حاله تكذبه لعجزه ونقصه فلا يغتر به إلا رعاع الناس إما لشدة الحاجة والفاقة ، وإما تقية وخوفا من أذاه وشره مع سرعة مروره في الأرض فلا يمكن حتى يتأمل الضعفاء حاله فمن صدقه في تلك الحال لم يلزم منه بطلان معجزات الأنبياء ولهذا يقول له الذي يحييه بعد أن يقتله ما ازددت فيك إلا بصيرة . قلت : ولا يعكر على ذلك ما ورد في حديث أبي أمامة عند ابن ماجه أنه يبدأ فيقول : أنا نبي ، ثم يثني فيقول : أنا ربكم ، فإنه يحمل على أنه إنما يظهر الخوارق بعد قوله الثاني ووقع في حديث أبي أمامة المذكور وأن من فتنته أن يقول للأعرابي : أريت إن بعثت لك أباك وأملك أتشهد أني ربك ؟ فيقول نعم فيمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه يقولان له يا بني اتبعه فإنه ربك . وإن من فتنته أن يمر بالحلي فيكذبونه فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت ويمر بالحلي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر ، والأرض أن تنبت فتمطر وتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظم وأمدته خواصر ، وأدره ضروعا. نقله عنه الحافظ ابن حجر في فتح

الباري ١٣ / ١٠٥ .

^{٤٠٣} أخرجه أحمد ١٣ / ٥ والطبراني ٢٢١ / ٧ ، ص ٢٦٥ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٣٦ / ٧ ورجاله رجال

الصحيح ، ورواه البزار بإسناد ضعيف.

دلالت نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلالت نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

الدجال وأنا حي كفتكموه ، وإن يخرج الدجال بعدي فإن ربكم عز وجل ليس بأعور إنه يخرج في يهودية أصبهان حتى يأتي المدينة فينزل ناحيتها ولها يومئذ سبعة أبواب على كل نقب منها ملكان فيخرج إليه شرار أهلها حتى الشام مدينة بفلسطين بياب لد - وقال أبو داود مرة : حتى يأتي فلسطين باب لد^{٤٠٤} - فينزل عيسى عليه السلام فيقتله ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة إماما عدلا وحكما مقسطا.))^{٤٠٥}

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : ((يخرج الدجال في خفقة^{٤٠٦} من الدين وإدبار من العلم ، فله أربعون ليلة يسيحها في الأرض ، اليوم منها كالسنة ، واليوم منها كالشهر ، واليوم منها كالجمعة ، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه ، وله حمار يركبه عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعا ، فيقول للناس : أنا ربكم ، وهو أعور ، وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه (ك ف ر) مهجاة يقرؤه كل مؤمن ، كاتب وغير كاتب ، يرد كل ماء منهل إلا المدينة ومكة حرمهما الله عليه وقامت الملائكة بأبوابها ومعه جبال من خبز والناس في جهد إلا من اتبعه ، ومعه نهران أنا أعلم بهما منه نهر يقول الجنة ونهر يقول النار فمن دخل الذي يسميه الجنة فهي النار ومن دخل الذي يسميه النار فهي الجنة وتبعث معه شياطين تكلم الناس ومعه فتنة عظيمة يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس ويقتل نفسا ، ثم يجيئه لا يسلط على غيرها من الناس فيما يرى الناس ، فيقول للناس : أيها الناس هل يفعل مثل هذا إلا الرب ؟ فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام فيأتهم فيحصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدا شديدا ، ثم يتزل عيسى فينادي من السحر فيقول : يا أيها الناس ما

^{٤٠٤} باب لد: قال النووي هو بضم اللام وتشديد الدال مصروف وهو بلدة قريبة من بيت المقدس . وقال في النهاية لد موضع بالشام وقيل بفلسطين. تحفة الأحوذى ٤١٨/٦ (أن حوز عبادي إلى الطور) بفتح الحاء المهملة وكسر الواو المشددة وبالزاي أمر من التحويز أي نحهم وأزهم عن طريقهم إلى الطور.

^{٤٠٥} أخرجه أحمد ٧٥/٦ رقم ٢٤٦٢٤ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٣٨/٧ : ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمي وهو ثقة. وابن حبان ٢٣٥/١٥ ، وابن أبي شيبة ٤٩٠/٧ وابن منده في كتاب الإيمان ٩٥٠/٢ مختصرا.

^{٤٠٦} في المستدرک للحاکم ٥٧٥/٤ (خفة)

يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث ؟ فيقولون : هذا رجل حي فينطلقون فإذا هم بعيسى فتقام الصلاة فيقال له : تقدم يا روح الله فيقول : ليتقدم إمامكم فليصل بكم فإذا صلوا الصبح خرجوا إليه فحين يراه الكذاب ينمات كما ينمات الملح في الماء فيمشي إليه فيقتله حتى إن الشجرة تنادي : يا روح الله هذا يهودي فلا يترك من كان يتبعه أحد إلا قتله.))^{٤٠٧}

وعن الزهري أخبرني عمرو بن سفيان الثقفي أخبرني رجل من الأنصار عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال : ((ذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال : يأتي سباخ المدينة وهو محرم عليه أن يدخلها فتنتفض بأهلها نفضة أو نفضتين وهي الزلزلة فيخرج إليه منها كل منافق ومنافقة ثم يأتي الدجال قبل الشام حتى يأتي بعض جبال الشام فيحاصرهم ، وبقية المسلمين يومئذ معتصمون بذروة جبل فيحاصرهم نازلا بأصله حتى إذا طال عليهم الحصار قال رجل : حتى متى أنتم هكذا وعدوكم نازل بأصل جبلكم هل أنتم إلا بين إحدى الحسينين بين أن تستشهدوا أو يظهركم ؟ فيتبايعون على القتال بيعة يعلم الله أنها الصدق من أنفسهم ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كفه فيتزل ابن مريم فيحسر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لأمة فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا عبد الله وروحه وكلمته عيسى اختاروا إحدى ثلاث : بين أن يبعث الله على الدجال وجنوده عذابا جسيما أو يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم سلاحهم ويكف سلاحهم فيقولون : هذه يا رسول الله ، أشفى لصدورنا فيومئذ ترى اليهودي العظيم الطويل الأكل الشروب لا تقل يده سيفه من الرعب فينزلون إليهم فيسلطون عليهم ويدوب الدجال حتى يدركه عيسى فيقتله.))^{٤٠٨}

عن قتادة عن أبي الطفيل قال : كنت بالكوفة فقيل : خرج الدجال ، قال : فأتينا على حذيفة بن أسيد وهو يحدث ، فقلت : هذا الدجال قد خرج فقال اجلس فجلست فأتى علي العريف فقال ، هذا الدجال قد خرج وأهل الكوفة يطاعوننه ، قال : اجلس فجلست فنودي أنها كذبة صباغ ، قال : فقلنا : يا أبا سريحة ما

^{٤٠٧} أخرجه أحمد ٣ / ٣٦٧

^{٤٠٨} أخرجه معمر بن راشد في جامعه ٣٩٧/١١ ونعيم بن حماد في الفتن ٥٥٢/٢ .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

أجلستنا إلا لأمر فحدثنا قال : إن الدجال لو خرج في زمانكم لرمته الصبيان بالخذف ولكن الدجال يخرج في بغض من الناس وخفة من الدين وسوء ذات بين فيرد كل منهل فتطوى له الأرض طي فروة الكبش حتى يأتي المدينة فيغلب على خارجها ويمنع داخلها ثم جبل إيلياء^{٤٠٩} فيحاصر عصابة من المسلمين فيقول لهم الذين عليهم ما تنتظرون بهذا الطاغية أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله أو يفتح لكم فيلقرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا فيصبحون ومعهم عيسى بن مريم فيقتل الدجال ويهزم أصحابه حتى أن الشجر والحجر والمدر يقول يا مؤمن هذا يهودي عندي فاقتله قال وفيه ثلاث علامات هو أعور وربكم ليس بأعور ومكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن أمني وكاتب ولا يسخر له من المطايا إلا الحمار فهو رجس على رجس ، ثم قال : انا لغير الدجال أخوف علي وعليكم قال : فقلنا : ما هو يا أبا سريحة ؟ قال : فتن كأنها قطع الليل المظلم ، قال : فقلنا : أي الناس فيها شر ؟ قال : كل خطيب مصقع ، وكل راكب موضع . قال : فقلنا : أي الناس فيها خير ؟ قال : كل غني خفي . قال : فقلت : ما أنا بالغني ، ولا بالخفي ، قال : فكن كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب.))^{٤١٠}

وعن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي يقول : سمعت عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال : ما هذا الحديث الذي تحدث به تقول : إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا ، فقال : سبحان الله ، أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوها لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يحرق البيت ويكون ويكون ، ثم قال : قال رسول الله ﷺ ((يخرج الدجال في أمي فيمكث أربعين لا أدري أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما ، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين

^{٤٠٩} إيلياء مدينة بيت المقدس فيها ثلاث لغات مد آخره وقصره إيلياء وإيليا وقصر أولها إيلياء وقال محمد بن سهل الكاتب معنى إيلياء بيت الله . انظر معجم ما استعجم ٢١٧/١ ، ومعجم البلدان ٢٩٣/١ .

^{٤١٠} أخرجه الحاكم في المستدرک ٥٧٤/٤ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ومعمر بن راشد في الجامع ٣٩٤/١١ .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه قال سمعتها من رسول الله ﷺ قال : فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرا ، فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستحيون ، فيقولون : فما تأمرنا فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم في ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لينا ورفع لينا ، قال : وأول من يسمعه رجل يلوط^{٤١١} حوض إبله قال : فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل أو الظل - نعمان الشاك - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلم إلى ربكم ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُؤُونَ ﴾ [الصفات: ٢٤] قال : ثم يقال أخرجوا بعث النار ، فيقال من كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، قال : فذلك يوم ﴿ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [المزمل: ١٧] وذلك ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ [الفلم: ٤٢] ^{٤١٢}

وعن أبي أمامة الباهلي قال : ((خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثا حدثناه عن الدجال وحذرناه فكان من قوله أن قال : إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال وإن الله لم يبعث نبيا إلا حذر من الدجال وأنا آخر الأنبياء وأتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم وإن يخرج من بعدي فكل حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق ، فيعيث يمينا وبعث شمالا ، يا عباد الله فاثبتوا ، وإن سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي ، إنه يبدأ

^{٤١١} طينه . القاموس المحيط مادة : لوط ص ٨٨٦ .

^{٤١٢} أخرجه مسلم ٢٢٥٨/٤ في الفتن ، باب : باب في خروج الدجال ومكته في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ في الصور وبعث من في القبور ، والحاكم في المستدرک ٥٨٦/٤ .

فيقول : أنا نبي ولا نبي بعدي ثم يثني فيقول : أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا وإنه أعور وإن ربكم عز وجل ليس بأعور وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب وإن من فتنته أن معه جنة ونارا ، فناره جنة وجنته نار فمن ابتلي بناره فليستعن بالله وليقرأ فواتح الكهف فتكون عليه بردا وسلاما كما كانت النار على إبراهيم ، وإن من فتنته أن يقول لأعرابي : رأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك ؟ فيقول له : نعم ، فيمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان : يا بني اتبعه فإنه ربك . وإن من فتنته أن يسלט على نفس واحدة فيقتلها ينشرها بالمنشار حتى يلقي شقتين ثم يقول : انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن ثم يزعم أن له ربا غيري فيبعثه الله فيقول له الخبيث : من ربك ؟ فيقول : ربي الله وأنت عدو الله الدجال والله ما كنت أشد بصيرة بك مني اليوم . وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا يبقى لهم سائمة إلا هلكت وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمدته خواصر وأدره ضروعا وأنه لا يبقى من الأرض شيء إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة فإنه لا يأتيها من نقب من نقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلته حتى ينزل عند الظريب الأحمر عند منقطع السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه فتتقي الخبث منها كما ينقي الكبر خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص .

فقال أم شريك بنت أبي العسكر : يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال : هم قليل وجلهم بيت المقدس وإمامهم رجل صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلي الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام يمشي القهقري ليتقدم عيسى يصلي فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصلي بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى : أقيموا الباب فيفتح ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هاربا ويقول عيسى : إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها فيدركه

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

عند باب لد الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء ما خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله الشيء لا حجر ولا شجر ولا دابة ولا حائط إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قالت : يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال فاقتله .

قال رسول الله ﷺ : وإن أيامه أربعون سنة ، السنة كنصف السنة ، والسنة كالشهر ، والشهر كالجمعة ، وآخر أيامه كالشررة يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بها الآخر حتى يمسي فقيل له : يا رسول الله ، كيف نصلي في تلك الأيام القصار ؟ قال : تقدرون فيها للصلاة كما تقدرون في هذه الأيام الطوال ثم صلوا .

قال رسول الله ﷺ : ليكون عيسى بن مريم في أمي حكما عدلا وإماما مقسطا يدق الصليب ، ويذبح الخنزير ، ويضع الجزية ، ويترك الصدقة ، فلا يسعى على شاة ولا بعير ، وترفع الشحناء ، والتباغض ، وتنزع حمة كل ذات حمة ، حتى يدخل الوليد يده في في الحية فلا تضره ، وينفر الوليد الأسد ، فلا يضره ، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها ، وتملأ الأرض من المسلم كما يملأ الإناء من الإناء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله ، وتضع الحرب أوزارها ، وتسلب قريش ملكها ، وتكون الأرض كثاثر الفضة تنبت نباتها كعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب يشبعهم ، ويجتمع النفر على الرمان فتشبعهم ، ويكون الثور بكذا وكذا من المال ، ويكون الفرس بالدريهمات . قيل : يا رسول الله ، وما يرخص الفرس ؟ قال : لا يركب لحرب أبدا . قيل له : فما يغلي الثور ؟ قال : لحرت الأرض كلها ، وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد ، يصيب الناس فيها جوع شديد يأمر الله السماء أن تحبس ثلث مطرها ، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء فلا تبقي ذات ظلف إلا هلكت إلا ما

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

شاء الله . قيل : فما يعيش الناس في ذلك الزمان ؟ قال : التهليل ، والتكبير ،
والتسبيح ، والتحميد ، ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام.))^{٤١٣}

وعن جابر عن النبي ﷺ قال : ((لا تزال طائفة من أممي يقاتلون على الحق ظاهرين
إلى يوم القيامة قال : فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم : تعال صل بنا ، فيقول
: لا إن بعضكم على بعض أمير تكرمه الله هذه الأمة.))^{٤١٤}

وعن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير عن أبيه عن النواس بن سمعان الكلبي قال : ذكر
رسول الله ﷺ الدجال فقال : ((إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن
يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، فمن أدركه
منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، فإنما جواركم من فتنته . قلنا : وما لبثه في
الأرض ؟ قال : أربعون يوماً ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر
أيامه كأيامكم . فقلنا : يا رسول الله ، هذا اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم
وليلة ؟ قال : لا اقدروا له قدره ، ثم ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي
دمشق فيدركه عند باب لد فيقتله.))^{٤١٥}

وعن أوس بن أوس عن النبي ﷺ قال : ((يتزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء
في دمشق.))^{٤١٦}

^{٤١٣} أخرجه ابن ماجه في السنن ١٣٥٩/٢ ، والحاكم في المستدرک ٥٨٠/٤ ، وابن أبي عاصم في الآحاد
والمثنائي ٤٤٧/٢ ، وفي السنة ١٧١/١ ، ونعيم بن حماد في الفتن ٥٣٦/٢ ، والرويانى في مسنده ٢٩٥/٢ ،
وتمام الرازي في فوائده ١١٦/١ . قال ابن كثير في تفسيره ٥٨٢/١ : هذا حديث غريب جدا من هذا
الوجه ولبعضه شواهد من أحاديث آخر .

^{٤١٤} أخرجه مسلم ١٣٧/١ وأحمد في المسند ٣٨٤،٣٤٥/٣ ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٨/٧ رواه أبو
يعلى ٥٩/٤ وفيه موسى بن عبيدة وهو متروك ، وابن منده في كتابه الإيمان ٥١٨/١ . وفي المنار المنيف لابن
القيم ص ١٤٧ : وقال الحارث بن أبي أسامة في مسنده حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا إبراهيم بن عقيل
عن أبيه عن وهب بن منبه عن جابر قال قال رسول الله ﷺ ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي
تعال صل بنا فيقول : لا إن بعضهم أمير بعض تكرمه الله لهذه الأمة وهذا إسناد جيد .

^{٤١٥} أخرجه أبو داود في السنن ١١٧/٤ رقم ٤٣٢٢ باب : خروج الدجال .
^{٤١٦} أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢١٧/١ ، وتمام الرازي في الفوائد ٣٣/٢ قال الهيثمي في مجمع الزوائد
٢٠٥/٨ رواه الطبراني ورجاله ثقات . وابن أبي عاصم في الآحاد والمثنائي ١٦٤/٣ عن النواس بن سمعان .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ((سيدرك رجال من أمتي عيسى بن مريم ويشهدون قتال الدجال.))^{٤١٧}

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : ((ليهبطن ابن مريم حكما عدلا ، وإماما مقسطا ، وليسلكن فجا حاجا أو معتمرا ، وليأتين قيري حتى يسلم علي ولأردن عليه.))

يقول أبو هريرة : أي بني أخي إن رأيتموه فقولوا : أبو هريرة يقرئك السلام.^{٤١٨}
وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ((من أدرك منكم عيسى بن مريم فليقرئه مني السلام.))^{٤١٩}

وعن أبي هريرة قال : يلبث عيسى بن مريم في الأرض أربعين سنة ، لو يقول للبطحاء سيلي عسلا لسالت.^{٤٢٠}

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ((ينزل عيسى بن مريم فيمكث في النلس أربعين سنة.))^{٤٢١}

وعن مجمع بن جارية (سمعت رسول الله ﷺ يقول : ليقتلن ابن مريم الدجال بياب لد)^{٤٢٢}

وأيضاً أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٩٦/١٩ ، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني ٩٩/٥ ، وابن قانع في معجم الصحابة ١٤١/٣ عن نافع بن كيسان عن أبيه .

^{٤١٧} أخرجه الحاكم في المستدرک ٥٨٧/٤ ، وأبو يعلى ٢٠٣/٥ ، والترمذي في العلل الكبير ص ٣٢٧ وقال : سألت محمدا عن هذا الحديث فلم يعرفه واستحسنه جدا ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٨٨/٧ فيه عباد بن منصور وهو ضعيف . وقال حدثنا علي عن ربحان بن سعيد قال ويروي عن ربحان عن عباد بن منصور أحاديث بهذا الإسناد ولا أراها عند علي وقد فاتته . قال أبو عيسى : ورأيت محمدا يستغرب أحاديث ربحان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب ويرضى به .

^{٤١٨} أخرجه الحاكم في المستدرک ٦٥١/٢ وصححه .

^{٤١٩} أخرجه الحاكم في المستدرک ٥٨٧/٤ .

^{٤٢٠} أخرجه الإمام أحمد في العلل ٥٩٨/٢ ، ونعيم بن حماد في الفتن ٥٨٠/٢ .

^{٤٢١} أخرجه الطبراني في الأوسط ٣٣١/٥ ، وابن عدي في الكامل ١٧٧/٧ قال الهيثمي في مجمع الزوائد

٢٠٥/٨ : ورجاله ثقات .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة عيسى عليه الصلاة والسلام

وعن ثوبان عن رسول الله ﷺ قال : ((عصابتان من أمي أحرزهم الله من النار : عصابة تغزو الهند ، وعصابة تكون مع عيسى بن مريم))^{٤٢٣}

قال الترمذي في سننه حدثنا زيد بن أحمز الطائي البصري حدثنا أبو قتيبة سلم بن قتيبة حدثني أبو مودود المدني حدثنا عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده قال : مكتوب في التوراة صفة محمد وصفة عيسى بن مريم يدفن معه قال فقال أبو مودود وقد بقي في البيت موضع قبر قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب. هكذا قال عثمان بن الضحاك والمعروف الضحاك بن عثمان المدني.^{٤٢٤}

وأخرج البخاري في تاريخه والطبراني عن عبد الله بن سلام قال : يدفن عيسى بن مريم مع رسول الله ﷺ وصاحبيه فيكون قبره رابعا.^{٤٢٥}

^{٤٢٣} أخرجه أحمد في المسند ٤٢٠/٣ و ٤٢٢٦/٤، ٣٩٠، والترمذي في السنن ٥١٥/٤ رقم ٢٢٤٤ باب : ما

جاء في قتل عيسى بن مريم الدجال ، والطبراني في المعجم الكبير ٤٤٣/١٩ ، وابن حبان ٢٢٢/١٥ ،

والحميدي ٣٦٥/٢ ، ونعيم بن حماد في الفتن ٥٦٠/٢ ، وأبو داود الطيالسي ١٧٠/٢ ، ومؤمل ص ١٢١ .

^{٤٢٤} أخرجه أحمد في المسند ٢٧٨/٥ ، والنسائي في السنن الكبرى ٢٨/٣ باب : غزوة الهند والسنن الصغرى

٤٢/٦ باب : غزوة الهند ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٧٦/٩ باب : ما جاء في قتال الهند ، والطبراني في

المعجم الأوسط ٢٤/٧ ، والبخاري في التاريخ الكبير ٧٢/٦ وابن أبي عاصم في الجهاد ٦٦٥/٢ ، وابن عدي

في الكامل ١٦١/٢ .

^{٤٢٥} سنن الترمذي ٥٨٨/٥ .

^{٤٢٥} قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٦/٨ : رواه الطبراني وفيه عثمان بن الضحاك وثقه ابن حبان وضعفه

أبو داود وقد ذكر المزني رحمه الله هذا في ترجمته وعزاه إلى الترمذي وقال حسن ولم أحده في الأطراف والله

أعلم ، وفي التاريخ الكبير للبخاري ٢٦٢/١ محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن جده :

ليدفن عيسى بن مريم مع النبي ﷺ في بيته. قال محمد هذا لا يصح عندي ولا يتابع عليه.

الباب الثاني: دلائل نبوة الأنبياء غير أولي العزم من الرسل

الفصل الأول : دلائل نبوة هود - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الأول : قوم هود - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الثاني : آية هود - عليه الصلاة والسلام - .

الفصل الثاني : دلائل نبوة صالح - عليه الصلاة والسلام - .

خبر ناقة صالح - عليه الصلاة والسلام - .

الفصل الثالث : دلائل نبوة داود - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الأول : تسييح الجبال والطير مع داود - عليه الصلاة والسلام .

المبحث الثاني : إلانة الحديد لداود - عليه الصلاة والسلام - .

الفصل الرابع : دلائل نبوة سليمان - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الأول : في ملك سليمان - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الثاني : تسخير الريح لسليمان - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الثالث : تسخير الجن والشياطين لسليمان - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الرابع : قصص الحيوانات مع سليمان - عليه الصلاة والسلام - .

الفصل الخامس : دلائل نبوة يوشع بن نون - عليه الصلاة والسلام - .

خبر حبس الشمس ليوشع - عليه الصلاة والسلام - .

الفصل السادس : دلائل نبوة نبي من أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى

- عليهم الصلاة والسلام - .

قصة التابوت .

الفصل الأول : دلائل نبوة هود - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الأول قوم هود - عليه الصلاة والسلام - .

أما هود فهو : هود بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام .

ويقال : إن هوداً هو عابر بن شالخ بن إرفخشذ بن سام بن نوح .

ويقال : هود بن عبد الله بن رباح بن الجارود بن عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام^{٤٢٦}

ذكر النجار في كتابه قصص الأنبياء أن عاداً لم تذكر في كتاب من الكتب المقدسة سوى القرآن الكريم ، وليس بيد أحدٍ من الناس من أخبارهم ما يوثق به ، ويصح التعويل عليه سوى القرآن وحده. انتهى^{٤٢٧} .

وقد ذكر سبحانه من أوصافهم وعظمة أجسامهم ، وعظمة أبنيتهم ما يبين أن هؤلاء القوم كانوا في عيشٍ رغيد ، وأن بلادهم كانت عامرة كما قال تعالى : ﴿

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦١﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٦٢﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفجر: ٦-٨]

قال الشوكاني : قرأ الجمهور بتنوين عاد على أن يكون إرم عطف بيان لعاد والمراد بعاد اسم أبيهم وإرم اسم القبيلة أو بدلاً منه وامتناع صرف إرم للتعريف والتأنيث. وقيل المراد بعاد : أولاد عاد ، وهم عاد الأولى. ويقال لمن بعدهم : عاد الأخرى. فيكون ذكر إرم على طريقة عطف البيان أو البدل للدلالة على أنهم عاد الأولى ، لا عاد الأخرى ، ولا بد من تقدير مضاف على كلا القولين ، أي أهل إرم ، أو سبط إرم ، فإن إرم : هو جد عاد ، لأنه عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح.

^{٤٢٦} انظر تاريخ الطبري ١/١٣٣، والبداية والنهاية ١/١١٣

^{٤٢٧} قصص الأنبياء ٤٩

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة هود عليه الصلاة والسلام

وقرأ الحسن وأبو العالية بإضافة عاد إلى إرم ، وقرأ الجمهور إرم بكسر الهمزة وفتح الراء والميم ، وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك أرم بفتح الهمزة والراء ، وقرأ معاذ بسكون الراء تخفيفاً وقرئ بإضافة إرم إلى ذات العماد.

قال مجاهد : من قرأ بفتح الهمزة شبههم بالإرم التي هي الأعلام واحدها أرم. وقال مجاهد أيضاً : إرم أمة من الأمم. وقال قتادة : هي قبيلة من عاد. وقيل : هما عادان ، فالأولى هي إرم. قال معمر: إرم إليه مجتمع عاد وثمود وكان يقال : عاد إرم ، وعاد ثمود ، وكانت القبيلتان تنسب إلى أرم. قال أبو عبيدة : هما عادان فالأولى إرم.

ومعنى ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ أي ذات القوة والشدة مأخوذ من قوة الأعمدة كذا قال الضحاك.

وقال قتادة ومجاهد : إنهم كانوا أهل عمد. سيارة في الربيع فإذا هاج النبت رجعوا إلى منازلهم.

وقال مقاتل : ذات العماد يعني طولهم كان طول الرجل منهم اثني عشرة ذراعاً ، ويقال رجل طويل العماد : أي القامة. قال أبو عبيدة : ذات العماد ذات الطول يقال رجل معمد إذا كان طويلاً.

وقال مجاهد وقتادة أيضاً: كان عماداً لقومهم ، يقال : فلان عميد القوم وعمودهم ، أي سيدهم.

وقال ابن زيد : ذات العماد يعني إحكام البنيان بالعمد.

قال في الصحاح : والعماد الأبنية الرفيعة تذكر.

وقال عكرمة وسعيد المقبري : هي دمشق ورواه ابن وهب وأشهب عن مالك.

وقال محمد بن كعب : هي الإسكندرية^{٤٢٨}. وقد خطأ ابن كثير من قال بأن إرم

ذات العماد هي دمشق أو الإسكندرية ، لأنه كيف يلتزم الكلام على هذا ﴿أَلَمْ

تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١٦١﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿١٦٢﴾ إِن جَعَلَ ذَلِكَ بَدَلًا أَوْ

^{٤٢٨} انظر فتح القدير ٥ / ٤٣٤

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة هود عليه الصلاة والسلام

عطف بيان ، فإنه لا يتسق الكلام حينئذ ، ثم المراد هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد ، وما أحل الله بهم من بأسه ، لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم. انتهى^{٤٢٩}.

وقال أيضا : ومن زعم إن إرم مدينة وإنما أخذ ذلك من الإسرائيليات من كلام كعب ووهب وليس لذلك أصل ولهذا قال : ﴿ أَلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ أي لم يخلق مثل هذه القبيلة في قوتهم وشدتهم وجبروتهم ولو كان المراد بذلك مدينة لقال التي لم يبن مثلها في البلاد. انتهى^{٤٣٠}.

وهذه صفة لعاد أي لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والشدة والقوة وهم الذين قالوا من أشد منا قوة.

أما من قال بأنها صفة للمدينة فقد بعد عن الصواب كما سبق أن نبه على ذلك ابن كثير ، ونبه أيضاً أن كثيراً من المفسرين عند هذه الآية يذكرون مدينة يقال لها (إرم ذات العماد) مبنية بلبن الذهب والفضة ، قصورها ودورها وبساتينها ، وأنها تنتقل فتارة تكون في الشام ، وتارة باليمن ، وتارة بالعراق إلى غير ذلك من صفاها وتنقلها وقد شنع ابن كثير والشوكاني^{٤٣١} على هذه القصة وأنها كذب بحت لا ينفق على من له أدنى تمييز ، وكذلك القصة التي ذكرها الثعلبي عن عبد الله بن قلابة في زمن معاوية - رضي الله عنه - ذهب في طلب أباعر شردت عنه ، وأنه دخل في هذه المدينة فذكر أوصافاً عجيبة غريبة رآها في هذه المدينة . وكله كذب وافتراء ، عليه من الله ما يستحق الذي وضع مثل هذا الدجل في كتب المسلمين.

وذكر أبو السعود في تفسيره أن عاداً الأولى كانوا أول من عبد الأصنام بعد الطوفان^{٤٣٢}. قال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴾ [النجم: ٥٠]

^{٤٢٩} انظر تفسير ابن كثير ٨ / ٤١٩

^{٤٣٠} تفسير ابن كثير ٣ / ٣٤٣

^{٤٣١} انظر تفسير ابن كثير ٨ / ٤١٨ وفتح القدير ٥ / ٤٣٥

^{٤٣٢} تفسير أبي السعود ٩ / ١٥٤

فبعث الله فيهم أحاهم هود - عليه الصلاة والسلام - قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَنتمُ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [هود: ٥٠]

قال الزجاج : وإنما قيل : أخوهم ، لأنه بشر مثلها من ولد أبيهم آدم . ويجوز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم . وقال أبو سليمان الدمشقي : وعاد قبيلة من ولد سام بن نوح وإنما سماه أخاهم لأنه كان نسيباً لهم وهو وههم من ولد عاد بن عوص بن إرم بن سام^{٤٣٣} .

وأجمع المفسرون على أن هؤلاء القوم من العرب ، وكانوا يسكنون اليمن . قال ابن إسحاق : كانوا يتزلون ما بين عمان وحضرموت واليمن كله^{٤٣٤} . فدعاهم إلى عبادة الله وحده ، ولكن كان منهم التكذيب له ورميه بالسفه كما قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ أَنَا لَنُرْسِلَنَّ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦٦] أي هذا الأمر الذي تدعوننا إليه سفه بالنسبة إلى ما نحن عليه من عبادة هذه الأصنام التي يرتجى منها النصر و الرزق و مع هذا نظن أنك تكذب في دعواك أن الله أرسلك .

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١٧] أي ليس الأمر كما تظنون و لا ما تعتقدون ﴿ أَبَلِغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [١٨] و البلاغ يستلزم عدم الكذب في أصل المبلغ و عدم الزيادة فيه و النقص منه ، و يستلزم إبلاغه بعبارة فصيحة و جيزة جامعة مانعة لا لبس فيها و لا اختلاف و لا اضطراب .

^{٤٣٣} انظر زاد المسير ٣ / ٢٢٢

^{٤٣٤} زاد المسير ٧ / ٣٨٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة هود عليه الصلاة والسلام

و هو مع هذا البلاغ على هذه الصفة في غاية النصح لقومه و الشفقة عليهم و الحرص على هدايتهم لا يتغنى منهم أجراً و لا يطلب منهم جعلاً بل هو مخلص لله عز و جل في الدعوة إليه و النصح لخلقه لا يطلب أجره إلا من الذي أرسله ، فإن خير الدنيا و الآخرة كله في يديه و أمره إليه ، ولهذا قال كما قال تعالى : ﴿ يَقَوْمِ

لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا

تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ [هود: ٥١] أي ما لكم عقل تميزون به و تفهمون أني أدعوكم إلى

الحق المبين الذي تشهد به فطركم التي خلقتكم عليها و هو دين الحق الذي بعث الله به نوحاً و أهلك من خالفه من الخلق وها أنا أدعوكم إليه و لا أسألكم أجراً عليه بل أبتغي ذلك عند الله مالك الضر و النفع^{٤٣٥}.

وكانوا أهل أوثان ثلاثة يعبدونها يقال لإحداها صداء وللآخر صمود وللثالث الهباء فدعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون غيره وترك ظلم الناس فكذبوه وقالوا من أشد منا قوة فلم يؤمن بهود منهم إلا قليل فوعظهم هود إذ تمادوا في طغيانهم^{٤٣٦} فقال

لهم كما قال تعالى : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ

مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾

أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣٥]

وقال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا

عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ

^{٤٣٥} انظر البداية والنهاية / ١ ، ١١٥ ، ١١٦

^{٤٣٦} تاريخ الطبري / ١ ، ١٣٤

بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا
تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ [هود: ٥٣-٥٤]

وقال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ
خَلَّتِ النَّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنِ ءَالِهَتِنَا
فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ
وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٤﴾
[الأحقاف: ٢١-٢٤]

قال الخليل : الأحقاف : الرمال العظام . وقال ابن قتيبة : واحد الأحقاف حقف
وهو من الرمل ما أشرف من كثرانه واستطال وانحنى^{٤٣٧} .

وهذه الآيات تبين مدى التمرد والعناد الذي كان في قوم هود فهو يدعوهم لعبادة الله
وحده ، وهم يرونها إنما صرف عن عبادة آلهتهم بالإفك ، بل أعلنوا التحدي بأن
طلبوا العذاب ، فأجابهم هود - عليه الصلاة والسلام - أن الله يعلم متى يأتيهم به ،
حتى لما رأوا العذاب قالوا كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ

أُودِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ
رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا
لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴿

[الأحقاف: ٢٦-٢٥] أي سحاب يعرض من ناحية السماء ، وذكر المفسرون -
رحمهم الله - أن الله قد حبس عنهم المطر حتى امحلوا ، وكانوا في أشد الحاجة للمطر

^{٤٣٧} انظر زاد المسير ٧ / ٣٨٣ .

فساق الله إليهم سحابة سوداء ، فلما رأوها فرحوا بها واستبشروا ولكن ظهر لهم العذاب في هذه السحابة التي نشأت فيها الريح العقيم كما قال تعالى : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الذاريات: ٤١-٤٢]

وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ [القمر: ١٨-٢٢]

وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحاقة: ٦-٨]

حبس الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا فأوفدوا وفدًا إلى مكة ليستسقوا لهم فعن أبي وائل عن الحارث بن يزيد البكري قال : خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ فمررت بالريذة فإذا عجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي : يا عبد الله ، إن لي إلى رسول الله ﷺ حاجة ، فهل أنت مبلغني إليه ؟ قال : فحملتها ، فأتيت المدينة ، فإذا المسجد غاص بأهله ، وإذا راية سوداء تحنق وبلال متقلد السيف بين يدي رسول الله ﷺ ، فقلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجهًا ، قال : فجلست ، قال : فدخل منزله ، أو قال : رحلة فاستأذنت عليه ، فأذن لي ، فدخلت فسلمت ، فقال : هل كان بينكم وبين بني تميم شيء ؟ قال :

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة هود عليه الصلاة والسلام

قلت : نعم ، قال : وكانت لنا الدبرة^{٤٣٨} عليهم ، ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بما فسألني أن أحملها إليك وها هي بالباب ، فأذن لها فدخلت فقلت : يا رسول الله ، إن رأيت أن تجعل بيننا وبين بني تميم حاجزا ، فأجعل الدهناء ، فحميت العجوز ، واستوفزت قالت : يا رسول الله فيلأ أين تضطر مضرك ؟ قال : قلت : إنما مثلي ما قال الأول : معزاء حملت حتفها! حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصما ! أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد. قال : هيه ، وما وافد عاد ؟ - وهو أعلم بالحديث منه ولكن يستطعمه - قلت : إن عاد قحطوا فبعثوا وافدا لهم يقال له : قيل ، فمر بمعاوية بن بكر فأقام عنده شهرا يسقيه الخمر وتغنيه جاريتان يقال لهما : الجرادتان ، فلما مضى الشهر خرج جبال قمامة فنادى : اللهم إنك تعلم أني لم أجيء إلى مريض فأداويه ولا إلى أسير فأفاديه اللهم أسق عادا ما كنت تسقيه ، فمرت به سحابات سود فنودي منها وما إلى سحابة منها سوداء فنودي منها خذها رمادا رمدا^{٤٣٩} لا تبقي من عاد أحدا قال فما بلغني أنه بعث عليهم من الريح إلا قدر ما يجري في خاتمي هذا حتى هلكوا.

قال ابن وائل وصدق قال : فكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافدا لهم قالوا : لا تكن كوافد عاد^{٤٤٠}.

فالرياح منها ما هي للعذاب ومنها ما هي للرحمة فعند أبي الشيخ في العظمة قال : حدثنا الوليد حدثنا أبو حاتم حدثنا ابن الطباع حدثنا هشيم عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال : الرياح ثمان : أربع منها رحمة وأربع عذاب . فأما الرحمة فالناشرات ، والمنتشرات ، والمرسلات ، والذاريات.

^{٤٣٨} في مختار الصحاح ١ / ٨٣ الدبرة بفتحين الهزيمة في القتال وهي اسم من الإدبار ، وفي القاموس المحيط ١ / ٤٩٩ والدبرة : نقيض الدولة والعاقبة والهزيمة في القتال.

^{٤٣٩} في القاموس المحيط ١ / ٣٦٢

ورماد أرمد ورممد كزبرج ودرهم ورمديد كثير دقيق جدا أو هالك وأرمد افتقر والقوم أمحلوا وهلكت مواشيهم

^{٤٤٠} أخرجه أحمد في المسند ٣ / ٤٨٢ ، والطبراني في المعجم الكبير ٣ / ٢٥٤ ، والطبري في تاريخه ١ / ٢٢١ وحسن إسناده ابن حجر في فتح الباري ٨ / ٥٧٨

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة هود عليه الصلاة والسلام

وأما العذاب فالعقيم ، والصرصر ، وهما في البر ، والعاصف والقاصف ، وهما في البحر^{٤٤١} .

^{٤٤١} أخرجه أبو الشيخ في العظمة ١٣٠٥/٤ وعطاء هو العامري الطائفي مقبول ، وهشيم كثير التدليس. وأخرجه أيضا - بإسناد فيه عبد المعتم بن إدريس وهوضيف جدا - عن ابن عباس ١٣٣٤/٤

المبحث الثاني : آية هود - عليه الصلاة والسلام -

قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ وَأَنْبِيَّ بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٣﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٤﴾ إِنْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود: ٥٢-٥٦]

قال الفخر الرازي : اعلم أنه تعالى لما حكى عن هود عليه السلام ما ذكره للقوم، حكى أيضا ما ذكره القوم له وهو أشياء:

أولها: قولهم: ﴿ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ ﴾ أي بحجة، والبينة سميت بينة لأنها تبين الحق من الباطل، ومن المعلوم أنه عليه السلام كان قد أظهر المعجزات إلا أن القوم يجهلهم أنكروها، وزعموا أنه ما جاء بشيء من المعجزات.

وثانيها: قولهم: ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ﴾ وهذا أيضا ركيك، لأنهم كانوا يعترفون بأن النافع والضار هو الله تعالى وأن الأصنام لا تنفع ولا تضر، ومتى كان الأمر كذلك فقد ظهر في بديهية العقل أنه لا تجوز عبادتها وتركهم آلهتهم لا يكون عن مجرد قوله بل عن حكم نظر العقل وبديهية النفس.

وثالثها: قوله: ﴿ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ وهذا يدل على الإصرار والتقليد والجحود.

ورابعها: قولهم: ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ يقال: اعتراه كذا إذا غشيه وأصابه. والمعنى: أنك شتمت آلهتنا فجعلتك مجنونا وأفسدت

عقلك ، ثم إنه تعالى ذكر أنهم لما قالوا ذلك قال هود عليه السلام: ﴿ إِنِّي أُشْهِدُ

اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ ۗ وَهُوَ ظَاهِرٌ .

ثم قال: ﴿ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ وهذا نظير ما قاله نوح

عليه السلام لقومه: ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ

أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [يونس: ٧١] .

و هذا معجزة قاهرة، وذلك أن الرجل الواحد إذا أقبل على القوم العظيم وقال لهم: بالغوا في عداوتي وفي موجبات إيذائي ولا تؤجلون فإنه لا يقول هذا إلا إذا كان واثقا من عند الله تعالى بأنه يحفظه ويصونه عن كمد الأعداء. ٤٤٢

وقال ابن كثير : في قوله تعالى: ﴿... إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي

بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ مِنْ دُونِهِ ۗ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا

تُنظِرُونِ ﴾ وهذا تحد منه لهم، وتبرأ من آلهتهم وتنقص منه لهم، وبيان أنها لا تنفع

شيئا ولا تضر، وأنها جماد حكمها حكمه وفعلها فعله، فإن كانت كما تزعمون من أنها تنصر وتنفع وتضر فهذا أنا بريء منها ، لا عن لها، فكيدوني ثم لا تنظرون أنتم

جميعا بجميع ما يمكنكم أن تصلوا إليه وتقذروا عليه، ولا تؤخروني ساعة واحدة، ولا

طرفة عين فإني لا أبالي بكم، ولا أفكر فيكم، ولا أنظر إليكم. ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ

عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [هود: ٥٦] أي أنا متوكل على الله ومتأيد به،

وواثق بجنابه الذي لا يضيع من لاذ به واستند إليه، فلست أبالي مخلوقا سواه، ولست

أتوكل إلا عليه ولا أعبد إلا إياه. وهذا وحده برهان قاطع على أن هودا عبد الله

٤٤٢ انظر التفسير الكبير ١٨ / ١٢ ، ١٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة هود عليه الصلاة والسلام

ورسوله، وأنهم على جهل وضلال في عبادتهم غير الله، لأنهم لم يصلوا إليه بسوء، ولا نالوا منه مكروها. فدل على صدقه فيما جاءهم به، وبطلان ما هم عليه وفساد ما ذهبوا إليه^{٤٤٣}.

^{٤٤٣} انظر البداية والنهاية ٢٩٣/١

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة صالح عليه الصلاة والسلام

الفصل الثاني : دلائل نبوة صالح - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الأول : خبر ناقة صالح - عليه الصلاة والسلام - .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ [الأعراف: ٧٣]

وقال تعالى : ﴿ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود: ٦٤]

قال ابن كثير في تفسيره : قال علماء التفسير والنسب : ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح وهو أخو جديس بن عاثر^{٤٤٤} وكذلك قبيلة طسم كل هؤلاء كانوا أحياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل - عليه السلام - وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله^{٤٤٥} .

قال الثعلبي : قال عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلعة مائها ، والتمد : الماء القليل^{٤٤٦} .
وقد مر رسول الله ﷺ على ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب إلى تبوك في سنة تسع عن نافع عن ابن عمر قال لما نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبوك نزل بهم الحجر عند بيوت ثمود فاستسقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فعمجنوا منها ونصبوا لها القدور فأمرهم النبي ﷺ فأهرقوا القدور وعلفوا العجين الإبل ثم ارتحل

^{٤٤٤} انظر تفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٨ ، وعرائس المجالس ٣٩

^{٤٤٥} تفسير ابن كثير ٢/ ٢٢٨ ، وانظر تفسير البغوي ٢/ ١٧٤

^{٤٤٦} عرائس المجالس ص ٣٩ ، وانظر زاد المسير ٣ / ٢٢٣ وتفسير البغوي ٢ / ١٧٤

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة صالح عليه الصلاة والسلام

بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا وقالوا إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم فلا تدخلوا عليهم^{٤٤٧}.

وأخرج البخاري عن معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : لما مر النبي ﷺ بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين ، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي^{٤٤٨}.

وعن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ لأصحاب الحجر : لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم^{٤٤٩}.

وعن محمد بن أبي كبشة الأثماري عن أبيه قال : لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنادى في الناس الصلاة جامعة قال فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسك بعتره وهو يقول ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم فناداه رجل منهم نعجب منهم يا رسول الله ، قال : أفلا أنبئكم بأعجب من ذلك ؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم فاستقيموا وسددوا فإن الله لا يعابأ بعذابكم شيئا ، وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئا^{٤٥٠}.

^{٤٤٧} أخرجه مسلم ٢٢٨٦/٤ والإمام أحمد ١١٧/٢

^{٤٤٨} أخرجه البخاري في كتاب : المغازي ، باب نزول النبي ﷺ الحجر ١٦٠٩/٤ والنسائي في السنن

الكبرى ٣٧٤/٦ والبيهقي في السنن الكبرى ٤١٥/٢ وعبد الرزاق في المصنف ٤١٥/١

^{٤٤٩} أخرجه البخاري في كتاب : المغازي ، باب نزول النبي ﷺ الحجر ١٦٠٩/٤ ومسلم ٢٢٨٥/٤ وأحمد

في المسند ٧٤/٢ وابن حبان ٨١/١٤ والنسائي في السنن الكبرى ٣٧٤/٦ والبيهقي في السنن الكبرى

٤١٥/٢ وعبد الرزاق في المصنف ٤١٥/١

^{٤٥٠} أخرجه الإمام أحمد ٢٣١/٤ ، والطبراني في المعجم الكبير ٢٢ / ٣٤٠ وفي إسناده عبد الرحمن بن عبد

الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود الكوفي المسعودي ، قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٣٤٤ : صدوق

اختلط قبل موته ، وضابطه أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط ، وبقيه رجاله ثقات . قال الهيثمي في مجمع

الزوائد ٢٩١/١٠ رواه الطبراني وأحمد بأسانيد وأحدها حسن.

ذكر المفسرون أن الله تعالى لما أهلك عادا قامت ثمود مقامهم، وطال عمرهم وكثر تنعمهم، ثم عصوا الله، وعبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم صالحا وكان منهم، فطلبوه بالمعجزة. فقال: ما تريدون. فقالوا: تخرج معنا في عيدنا، ونخرج أصنامنا وتسال إهلك ونسال أصنامنا، فإذا ظهر أثر دعائك اتبعناك، وإن ظهر أثر دعائنا اتبعنا، فخرج معهم فسألوا أن يخرج لهم ناقة كبيرة من صخرة معينة، فأخذ موثقهم أنه إن فعل ذلك آمنوا فقبلوا، فصلى ركعتين ودعا الله فتمخضت تلك الصخرة كما تتمخض الحامل، ثم انفرجت وخرجت الناقة من وسطها، وكانت في غاية الكبر وكان الماء عندهم قليلا فجعلوا ذلك الماء بالكلية شربا لها في يوم، وفي اليوم الثاني شربا لكل القوم.

قال السدي: وكانت الناقة في اليوم التي تشرب فيه الماء تمر بين الجبلين فتعلوهما ثم تأتي فتشرب فتحلب ما يكفي الكل، وكأنها كانت تصب اللبن صبا، وفي اليوم الذي يشربون الماء فيه لا تأتيهم وكان معها فصيل لها. فقال لهم صالح: يولد في شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه، فذبح تسعة نفر منهم أبناءهم، ثم ولد العاشر فأبي أن يذبحه أبوه، فنبت نباتا سريعا، ولما كبر الغلام جلس مع قوم يصيرون من الشراب، فأرادوا ماء يمزجونه به، وكان يوم شرب الناقة فما وجدوا الماء، واشتد ذلك عليهم، فقال الغلام: هل لكم في أن أعقر هذه الناقة؟ فشد عليها، فلما بصوت به شدت عليه، فهرب منها إلى خلف صخرة فأحاشوها عليه، فلما مرت به تناولها فعقرها فسقطت. فذلك قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾

﴿٢١﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿٢٢﴾ [القمر: ٢٩-٣٠] وقال تعالى: ﴿إِذِ

أَنْبَعَتْ أَشْقَلُهَا ﴿٢٣﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿٢٤﴾

أي احذروها .

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمُ رَبُّهُم بِذُنُوبِهِمْ

فَسَوَّاهَا ﴿٢٥﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿٢٦﴾ [الشمس: ١٢-١٥]

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة صالح عليه الصلاة والسلام

عن عبد الله بن زمعة قال: خطب رسول الله ﷺ ، فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال: ﴿ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴾ انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه، مثل (أبي زمعة) ^{٤٥١} . عارم: أي شهيم. عزيز: أي رئيس منيع: أي مطاع في قومه.

وعن محمد بن كعب، عن محمد بن خثيم بن يزيد، عن عمار بن ياسر، قال: قلل رسول الله ﷺ لعلي: ((ألا أحدثك بأشقى الناس))؟ قال: بلى. قال: ((رجلان أحدهما أحيمر ثمود الذي عقّر الناقة ، والذي يضربك يا علي ، على هذا - يعني قرنه - حتى تبتل منه هذه - يعني لحيته-)) ^{٤٥٢} .

وأظهروا حينئذ كفرهم وعتوا عن أمر ربهم، فقال لهم صالح: إن آية العذاب أن تصبحوا غداً حمراً، واليوم الثاني صفراً، واليوم الثالث سوداً، فلما صبحهم العذاب تحنطوا واستعدوا. ^{٤٥٣}

عن جابر قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر قال: ((لا تسألوا الآيات فقد سألتها قوم صالح فكانت - يعني الناقة - ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يوماً ويشربون لبنها يوماً، فعقروها فأخذتم صيحة أهدم الله بها من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً كان في حرم الله))

^{٤٥١} أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، باب : تفسير سورة الشمس وضحاها ٤/ ١٨٨٨ ، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون رقم ٢٨٥٥ والإمام أحمد في المسند ٤/ ١٧ وانظر الفتح الرباني ٢٠/ ٤٦

^{٤٥٢} أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٦٣ ، والحاكم في المستدرک ٣/ ١٤٠ ، والطحاوي في مشكل الآثار ١/ ٣٥١ وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : ٩/ ١٣٦ رواه الطبراني والبخاري باختصار ، ورجال الجميع موثوقون ، إلا أن التابعي لم يسمع من عمار . وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٣٢٤ رقم ١٧٤٣ للحديث شواهد من حديث صهيب وجابر بن سمرة وعلي بأسانيد فيها ضعف ، غير حديث علي فإسناده حسن ، كما قال الهيثمي وقد خرجها كلها.

^{٤٥٣} انظر تفسير البغوي ٢/ ١٧٥ والتفسير الكبير ١٤/ ١٦٢ والبداية والنهاية ١/ ٢٩٥

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة صالح عليه الصلاة والسلام

قالوا: من هو يا رسول الله؟ قال: ((هو أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه))^{٤٥٤}.

وفي الجامع لمعمر بن راشد : أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن إسماعيل بن أمية قال مر النبي ﷺ بقبر فقال أتدرون ما هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : هذا قبر أبي رغال. قالوا : ومن أبو رغال؟ قال : رجل كان من ثمود كان في حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن هاهنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدره القوم فبحثوا عنه حتى استخرجوا الغصن^{٤٥٥}.

وعن شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة قال : قلنا له : حدثنا حديث ثمود ، قال : أحدثكم عن رسول الله ﷺ عن ثمود ، كانت ثمود قوم صالح أعمارهم الله في الدنيا فأطال أعمارهم حتى جعل أحدهم بيني المسكن من المدر^{٤٥٦} فينهدم والرجل منهم حي فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فرهين ففتحوها وجوفوها وكانوا في سعة من معاشهم فقالوا يا صالح ادع لنا ربك يخرج لنا آية نعلم أنك رسول الله ،

^{٤٥٤} أخرجه أحمد في المسند ٢٩٦/٣ والطبراني في الأوسط ٣٧/٩، والفاكهي في أخبار مكة ٢٥١/٢ والحاكم في المستدرک ٣٧١، ٣٥١/٢ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٢٩/١ وفي التفسير ٢٢٨/٢ : وهذا الحديث على شرط مسلم وليس هو في شيء من الكتب الستة.. والله تعالى أعلم .

^{٤٥٥} أخرجه معمر بن راشد في الجامع ٤٥٤/١١ وابن حبان في صحيحه ٧٨/١٤ من حديث عبد الله بن عمرو قال ابن كثير في تفسيره ٢٣٠/٢ : هذا مرسل من هذا الوجه وقد روي متصلا من وجه آخر كما قال محمد بن إسحاق عن إسماعيل بن أمية عن بجير بن أبي بجير قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فمرنا بقبر فقال : هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم فدفع عنه فلما خرج أصابته النقرة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه غصن من ذهب إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه فابتدره الناس فاستخرجوا منه الغصن . قال ابن كثير : وهكذا رواه أبو داود ٣٠٨٨ عن يحيى بن معين عن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن ابن إسحاق به . قال ابن كثير : قال شيخنا أبو الحجاج المزني في تهذيب الكمال ١١/٤ في ترجمة بجير بن أبي بجير : وهو حديث حسن عزيز . قال ابن كثير : تفرد بوصله بجير بن أبي بجير ، هذا شيخ لا يعرف إلا بهذا الحديث قال : يحيى بن معين ولم أسمع أحدا روى عنه غير إسماعيل بن أمية . قلت : وعلى هذا فيخشى أن يكون وهم في رفع هذا الحديث وإنما يكون من كلام عبد الله بن عمرو مما أخذه من الزاملتين . قال ابن كثير : قال شيخنا أبو الحجاج بعد أن عرضت عليه ذلك وهذا محتمل والله أعلم .

^{٤٥٦} المدر محرقة : قطع الطين اليابس ، ومدر المكان : طانه . القاموس المحيط ٦٠٩

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة صالح عليه الصلاة والسلام

فدعا صالح ربه فأخرج لهم الناقة ، فكان شربها يوما وشربهم يوما معلوما فإذا كان يوم شربها خلوا عنها وعن الماء وحلبوها لبنا ملأوا كل إناء ووعاء وسقاء حتى إذا كان يوم شربهم صرفوها عن الماء فلم تشرب منه شيئا ملأوا كل إناء ووعاء وسقاء فأوحى الله إلى صالح إن قومك سيعقرون ناقتك ، فقال لهم ، فقالوا : ما كنا لنفعل فقال إلا تعقروها أنتم يوشك أن يولد فيكم مولود قالوا ما علامة ذلك المولود فوالله لا نجده إلا قتلناه قال فإنه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر قال وكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان لأحدهما ابن يرغب به عن المناكح وللآخر ابنة لا يجد لها كفؤا فجمع بينهما مجلس فقال أحدهما لصاحبه ما يمنعك أن تزوج ابنك قال لا أجد له كفؤا قال فإن ابنتي كفؤ له وأنا أزوجك فوجه فولد بينهما ذلك المولود وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، فلما قال لهم صالح إنما يعقرها مولود فيكم اختاروا ثماني نسوة قوابل من القرية وجعلوا معهن شرطا كانوا يطوفون في القرية فإذا وجدوا المرأة تمخض نظروا ما ولدها إن كان غلاما قلبنه فنظرن ما هو وإن كانت جارية أعرضن عنها فلما وجدوا ذلك المولود صرخ النسوة وقلن هذا الذي يريد رسول الله صالح فأراد الشرط أن يأخذوه فحال جداه بينهم وبينه وقالوا لو أن صالحا أراد هذا قتلناه فكان شر مولود وكان يشب في اليوم شباب غيره في الجمعة ويشب في الجمعة شباب غيره في الشهر ويشب في الشهر شباب غيره في السنة فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وفيهم الشيخان فقالوا نستعمل علينا هذا الغلام لمرتله وشرف جديه فكانوا تسعة وكان صالح لا ينام معهم في القرية كان في مسجد يقال له مسجد صالح فيه بيت بالليل فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم وإذا أمسى خرج إلى مسجده فبات فيه .

قال حجاج وقال ابن جريج : لما قال لهم صالح إنه سيولد غلام يكون هلاككم على يديه قالوا: فكيف تأمرنا؟ قال : آمركم بقتلهم ، فقتلوهم إلا واحدا ، قال : فلما بلغ ذلك المولود قالوا : لو كنا لم نقتل أولادنا لكان لكل رجل منا مثل هذا ، هذا عمل صالح فأتمروا بينهم بقتله وقالوا نخرج مسافرين والناس يروننا علانية ثم نرجع من ليلة كذا من شهر كذا وكذا فنرصده عند مصلاه فنقتله فلا يحسب الناس إلا أننا

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة صالح عليه الصلاة والسلام

مسافرون كما نحن فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه فأرسل الله عليهم الصخرة فرضختهم فأصبحوا رضخا فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم فلإذا هم رضخ فرجعوا يصيحون في القرية أي عباد الله أما رضي صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على قتل الناقة أجمعون وأحجموا عنها إلا ذلك الابن العاشر. ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله ﷺ قال : وأرادوا أن يمكروا بصالح فمشوا حتى أتوا على سرب على طريق صالح فاختموا فيها ثمانية وقالوا إذا خرج علينا قتلناه وأتينا أهله فيبيتناهم فأمر الله الأرض فاستوت عليهم قال فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة وهي على حوضها قائمة فقال الشقي لأحدهم ائتها فاعقرها فأتاها فتعاضمه ذلك فأضرب عن ذلك فبعث آخر فأعظم ذلك فجعل لا يبعث رجلاً إلا تعاضمه أمرها حتى مشوا إليها وتناول فضرب عرقوبيها فوقعت تركض وأتى رجل منهم صالحاً فقال : أدرك الناقة فقد عقرت ، فأقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه يا نبي الله إنما عقرها فلان إنه لا ذنب لنا قال فانظروا هل تدركون فصيلها فإن أدركتموه فعسى الله أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه ولما رأى الفصيل أمه تضطرب أتى جبلا يقال له القارة قصيرا فصعد وذهبوا ليأخذوه فأوحى الله إلى الجبل فطال في السماء حتى ما يناله الطير قال ودخل صالح القرية فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم استقبل صالحا فرغا رغوثة ثم رغا أخرى ثم رغا أخرى فقال صالح لقومه لكل رغوثة أجل يوم ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ

وَعَدُّ غَيْرِ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ [هود:٦٥] ألا إن آية العذاب أن اليوم الأول تصبح

وجوهكم مصفرة واليوم الثاني محمرة واليوم الثالث مسودة فلما أصبحوا فإذا وجوههم كأنها طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ، ألا قد مضى يوم من الأجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة كأنها خضبت بالدماء فصاحوا وضحوا وبكوا وعرفوا آية العذاب فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الأجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث فإذا وجوههم مسودة كأنها طليت بالقار فصاحوا جميعا ألا قد

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة صالح عليه الصلاة والسلام

حضركم العذاب فتكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصير^{٤٥٧} والمقر^{٤٥٨} وكانت أكفانهم الأنطاع ثم ألقوا أنفسهم بالأرض، فجعلوا يقلبون أبصارهم فينظرون إلى السماء مرة وإلى الأرض مرة فلا يدرون من حيث يأتيهم العذاب من فوقهم من السماء أو من تحت أرجلهم من الأرض خسفاً وغرقاً فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الأرض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فأصبحوا في دارهم جاثمين^{٤٥٩}.

^{٤٥٧} الصَّيرُ كَكَيْفٍ ، ولا يسكن إلا في ضرورة الشعر : عَصارة شجر مُرٍّ . القاموس المحيط ص ٥٤١

^{٤٥٨} المَقْرُ كَكَيْفٍ : الصَّيرُ أو شبيهه به ، أو السم . انظر القاموس المحيط مادة : مقر ص ٦١٤

^{٤٥٩} أخرجه ابن جرير في التاريخ ١/١٣٩ وفي التفسير ٦٥/٧ والحاكم في المستدرک ٦١٧/٢

في وجه كون الناقة آية.

قال الفخر الرازي : اختلف العلماء في وجه كون الناقة آية.
فقال بعضهم: إنها كانت آية بسبب خروجها بكاملها من الصخرة. قال القاضي:
هذا إن صح فهو معجز من جهات:
أحدها: خروجها من الجبل، والثانية: كونها لا من ذكر وأنثى، والثالثة: كمال خلقها
من غير تدريج.

والقول الثاني: أنها إنما كانت آية لأجل أن لها شرب يوم، ولجميع ثمود شرب ينوم،
واستيفاء ناقة شرب أمة من الأمم عجيب، وكانت مع ذلك تأتي بما يليق بذلك الماء
من الكأ والحشيش.

والقول الثالث: أن وجه الإعجاز فيها أنهم كانوا في يوم شربها يجلون منها القدر
الذي يقوم لهم مقام الماء في يوم شربهم. وقال الحسن: بالعكس من ذلك، فقال إنما لم
تحلب قطرة لبن قط، وهذا الكلام مناف لما تقدم.

والقول الرابع: أن وجه الإعجاز فيها أن يوم مجيئها إلى الماء كان جميع الحيوانات
تمتنع من الورود على الماء، وفي يوم امتناعها كانت الحيوانات تأتي.
واعلم أن القرآن قد دل على أن فيها آية، فأما ذكر أنها كانت آية من أي الوجوه
فهو غير مذكور والعلم حاصل بأنها كانت معجزة من وجه ما لا محالة. والله
أعلم^{٤٦٠}.

وأيضاً فإن من شاهد هذه الآية في ذلك الزمان لا بد وأن ظهر له الإعجاز في هذه
الناقة وعلمه ، ولكن عنادهم واستكبارهم عن الحق أرداهم في الهلاك.

ما الفائدة في تخصيص تلك الناقة بأنها ناقة الله ؟

قيل أضافها إلى الله تشريفاً وتخصيصاً كقوله: بيت الله، وقيل: لأنه خلقها بلا
واسطة، وقيل: لأنها لا مالك لها غير الله. وقيل: لأنها حجة الله على القوم.

^{٤٦٠} التفسير الكبير ١٤/١٦٢، ١٦٣ انظر أيضاً التفسير الكبير ١٨/١٩

- الفصل الثالث : دلائل نبوة داود - عليه الصلاة والسلام - .
المبحث الأول : تسبيح الجبال والطيور مع داود - عليه الصلاة والسلام .
المبحث الثاني : إلانة الحديد لداود - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الأول : في تسبيح الجبال والطيور مع داود - عليه الصلاة والسلام -

قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٩]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُوَيُّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ [سبأ: ١٠]

وقال تعالى : ﴿ ... وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [٧] أَنَا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿٢٠﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢١﴾ [ص: ١٧-٢٠]

﴿ يُسَبِّحْنَ ﴾ في موضع نصب على الحال . أي سبحي معه . قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الآية .

وفي قول لابن عباس : ﴿ يُسَبِّحْنَ ﴾ يصلين ، وإنما يكون هذا معجزة إذا رآه الناس وعرفوه .

وفي هذه الآية ذكر تعالى ما آتاه من البرهان والمعجزة وهو تسبيح الجبال معه . فكلن داود - عليه الصلاة والسلام - إذا سبح سمع الجبال تسبح مثل تسبحه ، تسبيحاً حقيقياً ، وهذا معنى التأويب في قوله تعالى : ﴿ يَجِبَالٌ أُوَيُّبِي مَعَهُ ﴾ [سبأ: ١٠] إذ التأويب الترجيع ، مشتق من الأوب وهو الرجوع . وكذلك الطير إذا سمعت تسبيحه تغرد تغريداً مثل تسبيحه ، وتلك معجزة له ^{٤٦١} .

^{٤٦١} انظر التحرير والتنوير ٨ / ١١٩

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة داود عليه الصلاة والسلام

قال أبو هريرة : كان إذا سبَّح أجاته الجبال والطير بالتسبيح والذكر^{٤٦٢}.

وقال القرطبي : ومعنى تسبيح الجبال: هو أن الله تعالى خلق فيها تسبيحاً كما خلق الكلام في الشجرة، فيسمع منها ما يُسمع من المسبِّح معجزةً لداود عليه الصلاة والسلام^{٤٦٣}.

قال مقاتل: كان داود إذا ذكر الله - جل وعز - ذكرت الجبال معه ، وكان يفقه تسبيح الجبال.

وقال محمد بن إسحاق: أوتي داود من حسن الصوت ما يكون له في الجبال دوي حسن ، وما تصغي لحسنه الطير وتصوت معه ، فهذا تسبيح الجبال والطير. وقيل : سخرها الله عز وجل لتسير معه فذلك تسبيحها ؛ لأنها دالة على تنزيه الله عن شبه المخلوقين.

وقدم ذكر الجبال على الطير لأن تسخيرها وتسييحها أعجب وأدل على القدرة ، وأدخل في الإعجاز ، لأنها جماد والطير حيوان ناطق^{٤٦٤}.

وقوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ أي كنا قادرين على أن نفعل هذا ، وذلك لإزالة استبعاد تسبيح الجبال والطير معه ، لأنه بقدرة الله سبحانه.

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ أي عند آخر النهار وأوله وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحداً بحيث إنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء يرجع بترجيعه ويسبح بتسبيحه ، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه كلما سبح بكرة وعشياً صلوات الله وسلامه عليه.

^{٤٦٢} زاد المسير ٥ / ٣٧٣

^{٤٦٣} انظر القرطبي ١٤ / ٢٦٥، ٢٦٦ ، وتفسير أبي السعود ٧ / ١٢٤

^{٤٦٤} انظر التفسير الكبير ٢٢ / ٢٠٠

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة داود عليه الصلاة والسلام

﴿ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ الإشراف : ابيضاض الشمس بعد طلوعها. يقال: شَرَقَت الشمس إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت ، فكان داود يسبِّح إثر صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها.^{٤٦٥}

قال الأوزاعي : حدثني عبد الله بن عامر قال : أعطي داود من حسن الصوت ما لم يعط أحد قط ، حتى إن كان الطير والوحش ينعكف حوله حتى يموت عطشاً وجوعاً وحتى أن الأنهار لتقف^{٤٦٦}.

وقال وهب بن منبه : كان لا يسمعه أحد إلا حجل^{٤٦٧} كهيئة الرقص، وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الآذان بمثله، فيعكف الجن والإنس والطير والدواب على صوته حتى يهلك بعضها جوعاً.

وروى عبد الرزاق عن ابن جريج ، سألت عطاء عن القراءة على الغناء فقال : وما بأس بذلك؟ سمعت عبيد بن عمر يقول : كان داود عليه السلام يأخذ المعزفة فيضرب بها فيقرأ عليها فترد عليه صوته يريد بذلك أن يبكي وتبكي^{٤٦٨}.

وقد كان مع هذا الصوت الرخيم سريع القراءة لكتابه الزبور، كما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر ، عن همام عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: ((خفف على داود القراءة فكان يأمر بدابته فتسرج فيقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه))^{٤٦٩}.

وقال الإمام البخاري في صحيحه باب قول الله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾

[النساء: ١٦٣] الزبر : الكتب ، وأحدها زبور ، زبرت : كتبت ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا

دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبَى مَعَهُ ﴾ قال مجاهد : سبَّح معه ﴿ وَالطَّيْرُ

^{٤٦٥} انظر القرطبي ١٥٩/١٥

^{٤٦٦} أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٠٢/١٠٤٢

^{٤٦٧} حجل : رفع رجلاً وترث في مشيه على رجله. انظر القاموس المحيط ١٢٧٠

^{٤٦٨} أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٢/٤٨١ وانظر البداية والنهاية ٢/١٠١٠، ١١٠

^{٤٦٩} المسند ٢/٣١٤ وانظر الفتح الرباني ٢٠/١١٦ وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند ١٦/٥٧ حديث رقم

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة داود عليه الصلاة والسلام

وَأَلْنَا لَهُ أَلْحَدِيدَ ﴿١٦٦﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ ﴿ الدروع ، وقدر في السرد
المسامير والحلق ، ولا تدق المسمار فيتسلسل ، ولا تعظم فيفصم ﴾ وَأَعْمَلُوا
صَلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٧﴾ .

ثم أخرج بسنده قال : حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن
همام عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : ((خفف على داود عليه
السلام القرآن فكان يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ، ولا يأكل
إلا من عمل يده))^{٤٧٠} .

والمراد بالقرآن ها هنا : الزبور ، وهو الكتاب الذي أنزله الله عليه وأوحاه إليه ،
فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تسرج الدواب ، وهذا أمر سريع من التدبر والترنم والتغني
به على وجه التخشع صلوات الله وسلامه عليه^{٤٧١} . وقد قال الله تعالى : ﴿ ...

وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٨﴾ [النساء: ١٦٣] والزبور كتاب مشهور .

وقوله تعالى : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ﴾ أي مجموعة إليه من كل جانب .

وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴾ أي كل واحد من الجبال والطيور لأجل تسبيحه
رجّاع إلى التسبيح .

وذكر الفخر الرازي في تسبيح الجبال والطيور مع داوود - عليه الصلاة والسلام -
عدة فوائد:

الأول: أن الله سبحانه خلق في جسم الجبل حياة وعقلاً وقدرة ومنطقاً وحيثُ صلر
الجبل مسبحاً لله تعالى ونظيره قوله تعالى : ﴿ ... فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾
[الأعراف: ١٤٣]

فإن معناه أنه تعالى خلق في الجبل عقلاً وفهماً، ثم خلق فيه رؤية الله تعالى فكذا
هاهنا.

^{٤٧٠} صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ١٢٥٦/٣ وانظر فتح الباري ٥٢٣/٦

^{٤٧١} انظر البداية والنهاية ١١/٢

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة داود عليه الصلاة والسلام

الثاني: في التأويل ما رواه القفال في تفسيره أنه يجوز أن يقال إن داود - عليه السلام - قد أوتي من شدة الصوت وحسنه ما كان له في الجبال دوي حسن، وما يصغي الطير إليه لحسنه فيكون دوي الجبال وتصويت الطير معه وإصغائه إليه تسييحاً .
الثالث : ذكر محمد بن إسحاق أن الله تعالى لم يعط أحداً من خلقه مثل صوت داود حتى أنها كانت تسير إلى حيث يريد داود وجعل ذلك السير تسييحاً لأنه كان يدل على كمال قدرة الله تعالى وحكمته. انتهى.^{٤٧٢}

^{٤٧٢} انظر التفسير الكبير ١٨٥/٢٦

وجه الإعجاز في تسبيح الجبال والطيور مع داوود - عليه الصلاة والسلام - .
 لقد ورد في القرآن الكريم بعض النصوص التي تفيد بأن للحيوانات والنباتات والجمادات بعض الإدراكات التي أودعها الله تعالى في هذه المخلوقات ، وكذلك ورد في السنة أيضا بعض النصوص التي تؤيد هذا المعنى الذي أشير إليه مثل سجود الجمل للنبي ﷺ ، وحنين الجذع له ، وسلام الحجر عليه ، وإن كانت هذه آيات لنبينا محمد ﷺ ولكن المراد من ذكرها أن الله - سبحانه - جعل فيها إدراكات بقدرته - عز وجل - وهذه الإدراكات قد كشفها لبعض عباده من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وجعل في حياة هذه المخلوقات ما يبين هذا المعنى لمن يشاهد تصرفات هذه الكائنات ، فيشاهد من حياتها وتصرفاتها وطباعها العجيبة الغريبة ما يوقع في العجب والحيرة ، فتحايلها في اصطلياد فرائسها ، وكسب قوتها ، ورعاية صغارها ينبه العقول السليمة أن الله ألهمها وعلمها حتى تعمل هذه الأعمال اللطيفة العجيبة فإذا كان الله سبحانه جعل فيها هذه القدرة ، في سلوك حياتها وأنماطها المختلفة ، فهو قادر على أن يلهمها دعاءه وتسبيحه ، فكل كائن يسبح الله وينزهه ويدعوه قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتِ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ [النور: ٤١]

وقال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤] ففي هذه الآيات نص قاطع بأن جميع الجمادات والحيوانات والنباتات كلها تسبح الله تعالى ، ولا يمكن تفسير هذه الآيات بغير هذا المعنى ، لأن الله تعالى قال : ﴿ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ فكيفية تسبيح هذه الكائنات ليست معلومة للناس ، بل إنه لو لم يأت نص القرآن

الكريم بالإخبار عن هذه المخلوقات أنّها تسبح الله تعالى لم يكن لأحدٍ معرفة ولا سبيل بحالها من التسبيح ، أما إذا تكلفنا في التفسير والتحليل ونظرنا إلى هذه الكائنات بأنّها تعقل أو لا تعقل ، أو تنطق بألسنتها أو لا تنطق فقد نبعد عن الصواب وتكلفنا فيما لا علم لنا به ، فالأولى أن نؤمن بهذه الأمور بدون التكلف والتحليل الذي يخرج عن المراد . فنبينا الله داود - عليه الصلاة والسلام - جعل الله تعالى له هذه الآية العظيمة فكان إذا ذكر الله - جل وعز - ذكرت الجبال معه ، وكان يفقه تسبيح الجبال. على قول مقاتل. أو نقول : أوتي داود من حسن الصوت ما يكون له في الجبال دويّ حسن ، وما تصغي لحسنه الطير وتصوّت معه ، فهذا تسبيح الجبال والطيور ، على قول محمد بن إسحاق. وكلا القولين أرى أنّهما لا يبعدان عن بعض فكلاهما يبين معنى الآية العظيمة التي كانت لداود - عليه الصلاة والسلام - ويظهر معنى آخر من الحديث الذي سبق ذكره من صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال : ((خفف على داود عليه السلام القرآن فكان يأمر بدوايه فتسرج فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوايه)) . والقرآن في هذا الحديث هو الزبور كما في صحيح البخاري ، فهذه آية عظيمة له في سرعة القراءة. والله أعلم.

المبحث الثاني : إلانة الحديد لداود - عليه الصلاة والسلام - .

قال تعالى : ﴿..... وَاللَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي

السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ [سبا: ١٠-١١]

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ

فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٣﴾ [الأنبياء: ٨٠]

قوله تعالى : ﴿ وَاللَّنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ أي جعلناه لنا في نفسه كالشمع يصرفه في

يده كيف يشاء من غير احماء بنار ولا ضرب بمطرقة ، أو جعلناه بالنسبة إلى قوته التي آتيناها إياه لنا كالشمع بالنسبة إلى سائر القوى البشرية.

قال ابن عباس: صار عنده كالشمع. وقال الحسن: كالعجين، فكان يعمل به من غير نار.

وقال السدي: كان الحديد في يده كالطين المبلول والعجين والشمع، يصرفه كيف شاء، من غير إدخال نار ولا ضرب بمطرقة.

وقوله تعالى : ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ ﴾ أي : واسعات وقرىء صابغات وهي

الدروع الواسعة الضافية وهو عليه الصلاة والسلام أول من اتخذها وكانت قبل صفائح.

وقال مقاتل: وكان يفرغ من الدرع في بعض اليوم أو بعض الليل، ثمها ألف درهم.

وقيل: أعطي قوةً يُثني بها الحديد، وسبب ذلك أن داود عليه السلام ، لما ملك بني

إسرائيل لقي ملكاً وداود يظنه إنساناً، وداود متنكر خرج يسأل عن نفسه وسيرته في

بني إسرائيل في خفاء، فقال داود لذلك الشخص الذي تمثل له: ما قولك في هذا

الملك داود؟ فقال له الملك «نعم العبد لولا نخلة فيه» قال داود: «وما هي؟» قال:

«يرتق من بيت المال ولو أكل من عمل يده لتمت فضائله». فرجع فدعا الله في أن

يعلمه صنعة ويسهلها عليه، فعلمه صنعة لبوس كما قال جل وعز في سورة الأنبياء،

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة داود عليه الصلاة والسلام

فألان له الحديد فصنع الدروع، فكان يصنع الدرع فيما بين يومه وليلته يساوي ألف درهم، حتى أدخر منها كثيراً وتوسّعت معيشة مترله، ويتصدّق على الفقراء والمساكين، وكان ينفق ثلث المال في مصالح المسلمين، وهو أوّل من اتخذ الدرّوع وصنعها وكانت قبل ذلك صفائح. ويقال: إنه كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف.^{٤٧٣}

وقوله تعالى: ﴿ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾^ط السرد نسج الدرّوع أي اقتصد في نسجها بحيث تتناسب حلقتها.

وقيل: قدر في مساميرها فلا تعملها رفاقاً ولا غلاظاً ورد بأن درّوعه عليه الصلاة والسلام لم تكن مسمرة كما ينبي عن إلانة الحديد^{٤٧٤}.

وقيل: لا تصرف جميع أوقاتك إليه بل مقدار ما يحصل به القوت وأما الباقي فاصرفه إلى العبادة.

أما قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴾ فقد جاء في المراد باللبوس قولان:

أحدهما: الدروع وكانت قبل ذلك صفائح وكان داود أول من صنع هذه الخلق وسرد. قاله قتادة.

والثاني: أن اللبوس السلاح كله من درع الى رمح. قاله أبو عبيدة.

ومعنى: ﴿ لِتُحَصِّنَكُمْ ﴾ لتحركم وتمنعكم ﴿ مِّنْ بِأْسِكُمْ ﴾^ط يعني

الحرب. قاله ابن الجوزي^{٤٧٥}.

^{٤٧٣} انظر عرائس المجالس ص ١٥٥ والقرطبي ٢٦٦، ٢٦٥/١٤ وتفسير أبي السعود ٧/ ٢٤٤ والبداية والنهاية

١٠/٢

^{٤٧٤} انظر تفسير البيضاوي ٥٦٧ وتفسير أبي السعود ٧/ ١٢٥

^{٤٧٥} انظر زاد المسير ٥ / ٣٧٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة داود عليه الصلاة والسلام

وجه الإعجاز في إلانة الحديد لداود - عليه الصلاة والسلام - .

وجه الإعجاز في هذه الآية أن جعل الله - سبحانه - الحديد في يد داوود - عليه الصلاة والسلام - كالطين المبلول والعجين والشمع ، يصرفه كيف شاء ، من غير إدخال نار ولا ضرب بمطرقة . - كما قاله السدي ، وهو مجموع كلام ابن عباس والحسن - فهو بالنسبة إلى قوته التي أعطاه الله لينا كالعجين والشمع بالنسبة إلى قوة غيره من البشر ، ولو كان يعمل الدروع بواسطة النار لم يكن له تميز عن سائر البشر لأنهم يعملون مثل هذا العمل بواسطة النار . والله أعلم .

- الفصل الرابع : دلائل نبوة سليمان - عليه الصلاة والسلام - .
- المبحث الأول : في ملك سليمان - عليه الصلاة والسلام - .
- المبحث الثاني : تسخير الريح لسليمان - عليه الصلاة والسلام - .
- المبحث الثالث : تسخير الجن والشياطين لسليمان - عليه الصلاة والسلام - .
- المبحث الرابع : قصص الحيوانات مع سليمان - عليه الصلاة والسلام - .

المبحث الأول : في ملك سليمان - عليه الصلاة والسلام - .

قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِذَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ (٢١) إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفْنَائِ الْجِيَادُ ﴿٢٢﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٢٣﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطُفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٢٦﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٢٧﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٢٨﴾ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٢٩﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٠﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٣١﴾ [ص: ٣٠-٤٠]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣١) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿٣٢﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٣٣﴾ [النمل: ١٥-١٧]

قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ﴾ أي اغفر لي ذنبي ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾

يقال: كيف أقدم سليمان على طلب الدنيا، مع ذمها من الله تعالى، وبغضه لها، وحقارها لديه؟.

فالجواب أن ذلك محمول عند العلماء على أداء حقوق الله تعالى وسياسة ملكه، وترتيب منازل خلقه، وإقامة حدوده، والمحافظة على رسومه، وتعظيم شعائره،

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

وظهور عبادته، ولزوم طاعته، ونظم قانون الحكم النافذ عليهم منه، وتحقيق الوعود في أنه يعلم ما لا يعلم أحد من خلقه حسب ما صرح بذلك لملائكته فقال: ﴿... إِنَّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠] وحاشا سليمان - عليه الصلاة والسلام - أن يكون سؤاله طلبا لنفس الدنيا ؛ لأنه هو والأنبياء أزهد خلق الله فيها، وإنما سأل مملكته لله، كما سأل نوح دمارها وهلاكها لله ؛ فكانا محمودين مجابين إلى ذلك، فأجيب نوح فأهلك من عليها، وأعطى سليمان المملكة.

وقد قيل: إن ذلك كان بأمر من الله - جل وعز - على الصفة التي علم الله أنه لا يضبطه إلا هو وحده دون سائر عبادته، أو أراد أن يقول ملكا عظيما فقال: ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ وهذا فيه نظر. والأول أصح.

قال الضحاك: إنما طلب هذا الملك، ليعلم أنه قد غفر له، ويعرف منزلته بإجابة دعوته^{٤٧٦}. ولم يكن في ملكه حين دعا بهذا الريح ولا الشياطين.

ومعنى قوله: ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ أي أن يسأله. فكأنه سأل منع السؤال بعده، حتى لا يتعلق به أمل أحد، ولم يسأل منع الإجابة. وتضمنت دعوته شيئين: هما أن يعطى ملكا عظيما، وأن لا يعطى مثله في عظمته غيره.

وقيل: إن سؤاله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ؛ أي لا يكون لأحد بعدي، وهذا قاله مقاتل وأبو عبيد^{٤٧٧}. ولهذا: لما أخذ النبي ﷺ العفريت الذي أراد أن يقطع عليه

صلاته وأمكنه الله منه، أراد ربطه ثم تذكر قول أخيه سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ فرده خاسئا.

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ((إن عفريتاً من الجن تفلت علي البارحة أو كلمة نحوها ليقطع علي الصلاة فأمكنني الله منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي

^{٤٧٦} انظر زاد المسير ٧ / ١٣٩

^{٤٧٧} انظر زاد المسير ٧ / ١٣٨

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴿٤٧٨﴾ قال : روح فرده
خاصاً^{٤٧٨}.

قال القرطبي : فلو أعطى أحد بعده مثله ذهبت الخصوصية ، فكأنه كره ﷺ أن يزاحمه في تلك الخصوصية ، بعد أن علم أنه شيء هو الذي خُصَّ به من سخرة الشياطين ، وأنه أجيب إلى ألا يكون لأحد بعده . والله أعلم.^{٤٧٩}

وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي من كل ما يحتاج الملك إليه من العلم والنبوة ، والحكمة ، والمال ، العدد ، والآلات ، والجنود ، والجيش ، وتسخير الجن ، والإنس ، والطيور ، والوحوش ، والدواب ، والشياطين ، والرياح ، وغير بنون العظمة ، لبيان حاله بأنه مطاع لا يخالفه أحد ، ولا يجريء على مخالفته ، ولم يقل هذا تكبراً وتعظيماً لنفسه وهذا كقول نبينا محمد ﷺ ((أنا سيد القوم يوم القيامة))

^{٤٧٨} أخرجه البخاري في كتاب المساجد ، باب : الأسير أو الغريم يربط في المسجد ١/ ١٧٦ وفي كتاب الأنبياء باب : قول الله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب ٣ / ١٢٦٠ ، ومسلم ١ / ٣٨٤ في المساجد ومواضع الصلاة ، باب : جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة ، رقم ٥٤١ . قال ابن حجر في فتح الباري ٦ / ٤٥٩ : قوله : ((تفلت عليه)) بتشديد اللام أي تعرض لي فلتته أي بغتة قوله : ((البارحة)) أي الليلة الخالية الزائلة والبارح الزائل ويقال من بعد زوال إلى آخر النهار البارحة قوله : ((فذكرت دعوة أخي سليمان)) أي قوله : ﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾ وفي هذه إشارة إلى أنه تركه رعاية لسليمان - عليه السلام - ، ويحتمل أن تكون خصوصية سليمان استخدام الجن في جميع ما يريد لا في هذا القدر فقط . واستدل الخطابي بهذا الحديث على أن أصحاب سليمان كانوا يرون بأشكالهم وهيئتهم حال تصرفهم ، قال وأما قوله تعالى : { إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم } فالمراد الأكثر الأغلب من أحوال بني آدم . وتعقب بأن نفى رؤية الإنس للجن على هيئتهم ليس بقاطع من الآية ، بل ظاهراً أنه ممكن فإن نفى رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا ، ولا ينفي إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة ويحتمل العموم وهذا الذي فهمه أكثر العلماء ، حتى قال الشافعي : من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته ، واستدل بهذه الآية . والله أعلم . انتهى .

^{٤٧٩} انظر تفسير القرطبي ١٥ / ٢٠٥

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

٤٨٠ وفي رواية عند مسلم ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع))^{٤٨١}.

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ أي الإحسان الظاهر الواضح الذي لا يخفى على أحد. والله أعلم.

٤٨٠ أخرجه البخاري ١٢١٥/٣ في كتاب : الأنبياء باب : قول الله تعالى : { إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم } نوح إلى آخر السورة ، ومسلم ١ / ١٨٤ في كتاب : الإيمان ، باب : أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

٤٨١ أخرجه مسلم ١٧٨٢/٤ في كتاب الفضائل باب : تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق من حديث أبي هريرة.

وجه الإعجاز في ملك سليمان - عليه الصلاة والسلام - .

لقد طلب سليمان - عليه الصلاة والسلام - من الله تعالى ملكاً لا ينبغي أن يكون لأحدٍ بعده فاستجاب الله تعالى له وأعطاه من الملك ما لا يكون لأحدٍ بعده ، فكان من ملكه أن سخر له كل شيء من الأنس والجن والدواب والرياح ، فكل هذه المخلوقات تحت تصرفه وأمره ، وقهره وتدييره ، فعندما قال كما قال تعالى : ﴿

وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۗ أَعْطَاهُ فِي مَلِكِهِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ تَسْخِيرَ الرِّيحِ لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ فكون الريح تجري بأمره ، ويصرفها كما يصرف الإنسان عنان دابته ، فهذه آية عجيبة عظيمة على ونبوته وعظم ملكه .

كذلك في تسخير الشياطين له كما قال تعالى : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٢٧﴾ وَءَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ تحت تصرفه وقهره ، وهذا شيء لم يعطه أحدٌ غيره ، ويدل على خصوصية سليمان - عليه الصلاة والسلام - بذلك فعل نبينا محمد ﷺ مع العفريت الذي تفلت عليه في صلاته ، كان في استطاعته أن يربطه في سارية المسجد ، لولا أنه تذكر دعوة أخيه سليمان - عليه الصلاة والسلام - فلم يفعل حتى تبقى هذه الخصوصية لسليمان - عليه الصلاة والسلام - .

ولكن أرى - والله أعلم - أن أعظم ملك ناله سليمان - عليه الصلاة والسلام - هو ما كان في قوله تعالى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ فالعطاء غير محدد ولا مقتر فيه ، فهو عطاء واسع وافي ، لا تضيق عليك فيه ، وذكر ابن الجوزي أنه ورد عن ابن عباس قولان في معنى الآية :

أحدهما : أنه جميع ما أعطي ، فامنن أو أمسك ، أي أعط من شئت من المال وامنع من شئت ، والمن الإحسان إلى من لا يطلب ثوابه .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

والثاني : أنه إشارة إلى الشياطين المسخرين له ، فالمعنى فامنن على من شئت باطلاقه وأمسك من شئت منهم^{٤٨٢} . وكلا المعنيين تحتملها الآية ، وإن كنت أميل للأول منهما ، فكون سليمان - عليه الصلاة والسلام - يعطي من شاء ويحرم من شاء ، ولا حساب عليه مهما فعل فهو جائز له ، وحكمه بما شاء فهو صواب ، فهذا أبلغ وأعظم في معنى الملك. والله أعلم.

وفي قوله تعالى : ﴿ بَغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ قال الحسن : لا تبعة عليك في الدنيا ولا في الآخرة .

وقال سعيد بن جبير : ليس عليك حساب يوم القيامة وقيل في الكلام تقديم وتأخير تقديره هذا عطاؤنا بغير حساب فامنن أو أمسك^{٤٨٣} .

^{٤٨٢} انظر زاد المسير ٧ / ١٤١ والتفسير الكبير ٢٦ / ٢١١

^{٤٨٣} انظر زاد المسير ٧ / ١٤١

المبحث الثاني : تسخير الريح لسليمان - عليه الصلاة والسلام - .

قال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ أَلْرِيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨١]

وقال تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ أَلْرِيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص: ٣٦]

وقال تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ أَلْرِيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ ﴾ [سبأ: ١٢] عن قتادة قال : تغدو مسيرة شهر وتروح مسيرة شهر في يوم^{٤٨٤} .
وعن مجاهد قال : الريح مسيرها شهران في يوم.^{٤٨٥}

وقوله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ أَلْرِيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ ﴾ أي جعلناها طائفة منقادة له بمعنى أنه إن أرادها عاصفة كانت عاصفة وإن أرادها لينة كانت لينة والله تعالى مسخرها في الحالتين .

وقوله تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ أَلْرِيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ ﴾ أي لينة مع قوتها وشدتها حتى لا تضر بأحد، وتحمله بعسكره وجنوده وموكبه^{٤٨٦} .
قال الحسن البصري رحمه الله : لما عقر سليمان - عليه الصلاة والسلام - الخيل غضباً لله - عز وجل - عوضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع ؛ الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر^{٤٨٧} .

الفرق بين عاصفة ورخاء .

وصف الله - عز وجل - الريح في (سورة : الأنبياء) بأنها عاصفة ؛ أي شديدة الهبوب ووصفها في (سورة : ص) بأنها تجري بأمره رخاء ، والعاصفة غير التي تجري رخاء .

^{٤٨٤} انظر تفسير الطبري ٢٢ / ٦٩ والدر المنثور ٦ / ٦٧٧

^{٤٨٥} انظر الدر المنثور ٦ / ٦٧٧

^{٤٨٦} انظر تفسير القرطبي ١٥ / ٢٠٥

^{٤٨٧} انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٣٩ والدر المنثور ٦ / ٦٧٧

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

وأيضاً في (سورة: الأنبياء) خص جريها به بكونه إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين وفي (سورة: ص) قال سبحانه: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾ أي: حيث أراد، فأى مكان يريد الذهاب إليه فالريح مسخرة له توصله للوجهة التي يقصد إليها

فالجواب عن الأول: أنها عاصفة في بعض الأوقات، ولينة رخاء في بعضها بحسب الحاجة، كأن تعصف ويشتد هبوبها في أول الأمر، ثم تسير به رخاء حيث أصاب. والجواب عن الثاني: فهو أن قوله: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ يدل على أنها تجري بأمره حيث أراد من أقطار الأرض.

وقوله: ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ لأن مسكنه فيها وهي الشام، فترده إلى الشام. وعليه فقوله: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ في حالة الذهاب، وقوله: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ في حالة الإياب إلى محل السكنى. قال الفخر الرازي: فإن قيل: العاصف الشديدة الهبوب، وقد وصفها الله تعالى بالرخاوة في قوله ﴿رُخَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾ فكيف يكون الجمع بينهما؟.

والجواب من وجهين:

الأول: أنها كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم، فإذا مرت بكرسيه أبعثت به في مدة يسيرة على ما قال: ﴿غَدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ وكانت جامعة بين الأمرين رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان - عليه الصلاة والسلام - وهبوبها على حسب ما يريد ويحكم آية إلى آية ومعجزة إلى معجزة.

الثاني: أنها كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفاً، لأجل هبوبها على حكم إرادته^{٤٨٨}.

^{٤٨٨} انظر التفسير الكبير ٢٢/٢٠١

تنبيه: ذكر المفسرون عند تفسير قوله تعالى: ﴿ غَدُوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا

شَهْرٌ ﴾ أقوالاً عديدة في سرعة هذه الرياح ، والأماكن التي يبلغها بها مثل خرسلن واصطخر ، وأن سليمان - عليه الصلاة والسلام - كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن ، في كل ركن ألف بيت تتركب فيه الجن والإنس ، تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب هم والإعصار ، فإذا ارتفع أتت الرياح رخاء فسارت به وساروا معه ، يقبل عند قوم بينه وبينهم شهر ، ويمسي عند قوم بينه وبينهم شهر ، ولا يدري القوم إلا وقد أظلمهم معه الجيوش والجنود^{٤٨٩} . وكل هذا من أخبار أهل الكتاب ، ولا تقوم على دليل ضعيف ، فضلاً عن خبر صحيح ، فسليمان - عليه الصلاة والسلام - كان يسكن الشام ، ولم يكن يعلم بمملكة سبأ وملكتهم وما كانوا يعبدون ، حتى أعلمه الهدد بذلك ، فكيف يترك اليمن التي تعتبر في القرب أقرب إليه من اصطخر وخراسان ويذهب إليها وهي البعيدة ، وكذلك هذا المركب الذي من خشب ، يتعجب من يقرأ مثل هذا الخبر بصفة هذه الأركان الألف كيف هي من الأشكال ، قبل التعجب من ارتفاعه عن الأرض بالريح ، وكذلك هذه الأعداد الهائلة من الشياطين الذين يحملون هذا المركب ، فإذا كان فيه ألف ركن وتحت كل ركن ألف شيطان بلغ العدد المليون من الشياطين ، وإذا كلن في كل ركن ألف بيت تتركب فيه الجن والأنس كم يبلغ العدد ، لو قلنا في كل بيت ثلاثة من الأنس وثلاثة من الجن على اعتبار أقل الجمع ، صار العدد ثلاثة ملايين من الإنس وثلاثة ملايين من الجن ، فيصبح عدد من معه في المركب من الجن والأنس سبعة ملايين ، وكل هذا من المبالغات السخيفة السمجة التي أدخلت في كتب التفسير من كتب أهل الكتاب ، ومن الأساطير القبيحة التي أدخلت على سير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - حتى يخرجوهم عن السنن الطبيعي ، الذي هم عليه . والله أعلم .

^{٤٨٩} انظر تفسير الطبري ٢٢ / ٦٩ ومعاني القرآن للنحاس ٥ / ١٢٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

وجه الإعجاز في تسخير الريح لسليمان - عليه الصلاة والسلام - .

يظهر الإعجاز في تسخير الريح لسليمان - عليه الصلاة والسلام - أنها منقادة إليه يتصرف بها كيف شاء ، فإذا أرادها أن تكون عاصفة شديدة الهبوب ، صارت له وإذا أرادها هينة لينة ، صارت له ، والذي يظهر أن سليمان - عليه الصلاة والسلام - يوجهها شمالاً وجنوباً ، شرقاً وغرباً ، ولعله أيضاً يستخدمها في معاش الناس من ذر البذور للفلاحين ، وسير السفن للبحارين في البحر ، وغير ذلك. والله أعلم.

المبحث الثالث : في تسخير الجن والشياطين لسليمان - عليه الصلاة والسلام - .

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغْوِصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ

عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٢]

وقال تعالى : ﴿ وَالشَّيْطَانِ كُلِّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿١٧﴾ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ

فِي الْأَصْفَادِ ﴿١٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[ص: ٣٧-٣٩]

وقال تعالى : ﴿ ... وَمِنَ الْجِنَّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن

يَزِغُ مِنْهُمْ عَن أَمْرِنَا نُنْذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا

يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ

أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ﴿١٣﴾ ﴾

[سبأ: ١٢-١٣]

المراد أنهم يغوصون له في البحار فيستخرجون الجواهر النفيسة كاللؤلؤ والمرجان ويتجاوزون ذلك إلى الأعمال والمهن وبناء المدن والقصور ، وعمل المحارب ، والتمثيل ، والجفان والقدور الراسيات إلى غير ذلك من اختراع الصنائع العجيبة كما

قال تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ

كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ ﴾

المحارب في اللغة : الغرفة ، و صدر البيت ، وأكرم مواضعه ، ومقام الإمام من المسجد

والموضع ينفرد به الملك فيتباعه عن الناس^{٤٩٠} .

^{٤٩٠} انظر القاموس المحيط ٩٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

قال المبرد : لا يكون المحراب إلا أن يرتقى إليه بدرج ، ومنه قيل للذي يصلى فيه محراب ، لأنه يرفع ويعظم. قال مجاهد : المحاريب دون القصور . وقال أبو عبيدة : المحراب أشرف بيوت الدار. وقال الضحاك : المراد بالمحاريب هنا المساجد.

والتماثيل : جمع تمثال وهو كل شيء مثلته بشيء أي صورته بصورته من نحاس أو زجاج أو رخام أو غير ذلك . قيل : كانت هذه التماثيل صور الأنبياء والملائكة والعلماء والصلحاء وكانوا يصورونها في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهاداً ، وقيل : هي تماثيل أشياء ليست من الحيوان.

والجفان : جمع جفنة ، وهي القصعة الكبيرة ، والجوابي : جمع جابية وهي الحوض الكبير يجي فيه الماء أي يجمع .

قال المفسرون : يعنى قصاعاً في العظم كحياض الإبل يجتمع على القصعة الواحدة ألف رجل يأكلون منها^{٤٩١}.

عن ابن جريج في قوله : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ

﴾ قال : من شبه ورخام.

وعن مجاهد في قوله : ﴿ مِنْ مَّحْرِبٍ ﴾ قال : ببيان دون القصور ﴿ وَتَمَثِيلٍ

﴾ قال : من نحاس ﴿ وَجِفَانٍ ﴾ قال : صحاف ﴿ كَالْجَوَابِ ﴾ قال :

الجفنة مثل الجوبة من الأرض ﴿ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ ﴾ قال : عظام.

وعن عطية العوفي قال : المحاريب : القصور ، والتماثيل : الصور ﴿ وَجِفَانٍ

﴾ كَالْجَوَابِ ﴾ قال : كالجوبة من الأرض.

^{٤٩١} انظر فتح القدير ٤ / ٣١٦ وزاد المسير ٦ / ٤٤٠

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

وعن قتادة في قوله: ﴿ مِنْ مَّحْرِبٍ ﴾ قال: قصورٍ ومسلحد ﴿ وَتَمَثِيلٍ ﴾

قال: من رخام وشبه ﴿ وَجِفَانٍ كَأَلْجَوَابِ ﴾ كالحياض ﴿ وَقُدُورٍ رَّاسِيَّتٍ ^ج

﴿ قال: ثابتات لا يزلن عن مكاهن كن يرين بأرض اليمن.

وعن الضحاك في قوله: ﴿ مِنْ مَّحْرِبٍ ﴾ قال: المساجد ﴿ وَتَمَثِيلٍ ﴾ قلل

: الصور ﴿ وَجِفَانٍ كَأَلْجَوَابِ ﴾ قال: كحياض الإبل العظام ﴿ وَقُدُورٍ

رَّاسِيَّتٍ ^ج ﴿ قال: قدرو عظام كانوا ينحتونها من الجبال.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله: ﴿ وَجِفَانٍ كَأَلْجَوَابِ ﴾ قال:

كالجوبة من الأرض، وعنه أيضاً: قال: كالحياض الواسعة تسع الجفنة الجزور ﴿

وَقُدُورٍ رَّاسِيَّتٍ ^ج ﴿ قال: أتاؤها منها ^{٤٩٢}.

وكل هذه الأعمال تعملها الجن والشياطين وهي تخاف من سليمان - عليه الصلاة

والسلام - أشد الخوف لو قصرت في العمل، أو زاغت عن الطاعة، لأنه مسلطٌ

عليها، فيأمرها بأعمالٍ هي في قدرتها، وفوق طاقة البشر فتعمل له السنين بدون

كللٍ أو تعب، وهذه آية خارقة لسيدنا سليمان - عليه الصلاة والسلام - فعمل

الشياطين والجن وتسخيرها له مع أنها متمرده عن الطاعة، وشديدة الكفر والعصيان

تدل على هذه الآية، والويل كل الويل لمن يتمرد أو يعصي أو امره - عليه الصلاة

والسلام - قال تعالى: ﴿ ... وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ

رَبِّهِ ^ط وَمَنْ يَنْزِعْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُنْذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ أي:

ومن الجن من يطيعه ويأتمر بأمره وينتهي لنهيهِ فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له بلأمر

^{٤٩٢} انظر تفسير الطبري ٢٢ / ٧٠ والدر المشور ٦ / ٦٧٩

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

الله بذلك وتسخره إياه له ، ومن يزل ويعدل من الجن عن أمر الله الذي أمره به من طاعة سليمان يذقه من عذاب السعير في الآخرة. وهذا قاله أكثر المفسرين. وقيل : ذلك في الدنيا وذلك أن الله تعالى وكل بهم فيما روى السدي ملكا بيده سوط من نار فما زاغ عن أمر سليمان ضربه بذلك السوط ضربة من حيث لا يراه فأحرقتة^{٤٩٣}.

وأما قوله تعالى : ﴿وَأَخْرَيْنَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ أي وسخرنا له مبردة الشياطين حتى قرنهم في سلاسل الحديد وقيود الحديدقاله قتادة^{٤٩٤}. وقال غيره : أي موثقون في الأغلال والأكبال ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى أو قد أساء في صنيعه واعتدى. وهذا غاية التحكم.

وجه الإعجاز في تسخير الجن والشياطين لسليمان - عليه الصلاة والسلام - . يظهر الإعجاز في السيطرة على الجن والشياطين في كونها لا ترى ، وفيها المؤمن ، وفيها المتمرد الكافر ، ومع هذا يتحكم بها سليمان - عليه الصلاة والسلام - فيما يريد ، ومن يزغ منها عن الطاعة ، ينال العذاب الشديد. والله أعلم.

^{٤٩٣} انظر تفسير القرطبي ١٤ / ٢٧١ وزاد المسير ٦ / ٣٩ وأبي السعود ٧ / ٢٥ وفتح القدير ٤ / ٣١٦

^{٤٩٤} انظر تفسير القرطبي ١٥ / ٢٠٦

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

المبحث الرابع : قصص الحيوانات مع سليمان - عليه الصلاة والسلام - .

فهمه لكلام الطير .

قال تعالى : ﴿ ... يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۗ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [النمل: ١٦]

يخبر - عليه السلام - في هذه الآية بنعمة الله تعالى عندهما في أن فهمهما من أصوات الطير المعاني التي في نفوسها ، فكان يعرف ما يتخاطب به الطيور بلغاتها ويعبر للناس عن مقاصدها وإرادتها. وهذا نحو ما كان لنبينا محمد ﷺ عندما فهم شكاية الجمل له والطير الذي أخذت أفراخه . والذي يظهر من الآية أن سليمان - عليه الصلاة والسلام - كان يفهم كلام كل الحيوانات لقوله كما قال تعالى : ﴿ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۗ ﴾ لأن في ذلك إتمام للملكه ، وإنما خص الطير من بينها ، لأن الحيوانات الطائرة أكثر من السيارة ، فالنمل مثلا في بعض أصنافه جناحان يطير بهما ، وقد ذكر المفسرون لم خص الطير في الذكر دون غيره من الحيوانات أقوالا لا تطمئن نفسي إليها ، وما ذكرته أراه أقرب. والله أعلم.

قال أبو السعود : المنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا كان أو مركبا ، وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد ، يقال : نطق الحمامة ، وكل صنف من أصناف الطير يتفاهم أصواته ، والذي علمه سليمان - عليه السلام - من منطق الطير ، هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه وأغراضه^{٤٩٥} .

قال الحافظ ابن عساكر قرأت على أبي القاسم زاهر بن طاهر عن أبي بكر البيهقي: أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا على بن حشاد ، حدثنا إسماعيل بن قتيبة ، حدثنا على بن قدامة ، حدثنا أبو جعفر الأسواني يعني : محمد بن عبد الرحمن عن أبي يعقوب

^{٤٩٥} انظر تفسير أبي السعود ٦ / ٢٧٦

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

القمي^{٤٩٦}، حدثني أبو مالك قال: مر سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ قالوا: وما يقول يا نبي الله قال: يخطبها إلى نفسه ويقول: زوجيني أسكنك أي غرف دمشق شئت؟ قال سليمان عليه السلام: لأن غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد ولكن كل خاطب كذاب^{٤٩٧}.

وروى الإمام أحمد في مسنده^{٤٩٨} قال: حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن محمد - يعني القاري - ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطلب ، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ((كان داود النبي فيه غيرة شديدة ، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب ، فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع ، قال: فخرج ذات يوم وأغلقت الدار ، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار ، فإذا رجل قائم وسط الدار ، فقالت لمن في البيت : من أين دخل هذا الرجل الدار ، والدار مغلقة ؟ والله لفتضحن بـداود . فجاء داود ، فإذا الرجل قائم وسط الدار ، فقال له داود : من أنت؟ قال : أنا الذي لا أهاب الملوك ، ولا يمتنع مني الحجاب . فقال داود: أنت والله إذن ملك الموت ، مرحبا بأمر الله ، فرمل داود مكانه حيث قبضت روحه^{٤٩٩} ، فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه ، وطلعت عليه الشمس ، فقال سليمان للطير: أظلي على داود، فأظلت عليه الطير حتى أظلمت عليهم الأرض ، فقال لها سليمان : اقبضي جناحا جناحا)) قال أبو هريرة: فطفق رسول الله ﷺ يرينا كيف فعلت الطير وقبض رسول الله ﷺ

^{٤٩٦} الإمام المحدث المفسر أبو الحسن يعقوب بن عبد الله بن سعد بن مالك بن هانئ الأشعري العممي القمي ، بضم القاف وتشديد الميم ، صدوق يهيم قال النسائي ليس به بأس ، وقال الدراقطني : ليس بالقوي ، قال ابن حجر في التقريب ١ / ٦٠٨ : صدوق يهيم ، توفي سنة أربع وسبعين ومئة . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء ٨ / ٢٩٩

^{٤٩٧} أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢ / ٢٣٢

^{٤٩٨} ٤١٩/٢ وانظر الفتح الرباني ١١٩/٢٠ قال ابن كثير في البداية والنهاية ١٦/٢ انفرد بإخراجه الإمام أحمد وإسناده جيد قوي ، رجاله ثقات . وقال أحمد شاکر في تحقيق المسند ١٨/١١٣ : إسناده صحيح . لكن ذكر البخاري في (التاريخ الأوسط) ١٧/١ وأبو حاتم لابنه في (المراسيل) ٢٠٩ أن المطلب - وهو ابن عبد الله بن حنطب - لم يسمع من أبي هريرة ، وعل هذا فهو منقطع ، وباقي رجاله رجال الصحيحين . والله أعلم .

^{٤٩٩} أي أسرع في المشي إلى المكان الذي يريد أن تقبض فيه روحه . والله أعلم .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

بيده ، وغلبت عليه يومئذ المضرحية^{٥٠٠}. وقد ذكر المفسرون أخبارا كثيرة من كلام سليمان - عليه الصلاة والسلام - مع الطيور ، وغالبها من الإسرائيليات ، وبعضها الآخر لا يبعد أن يكون من وضع القصاص ، واكتفيت بذكر هذين الخبرين لأنهما أقرب للقبول. والله أعلم.

^{٥٠٠} معنى قوله: ((وغلبت عليه يومئذ المضرحية)) أي وغلبت على التظليل عليه المضرحية، هي الصقور

الطوال الأجنحة واحدها مضرحي، قال الجوهرى: هو الصقر الطويل الجناح.

كلامه مع النملة :

قال تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ [٧] حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٨] فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [٩]

قوله تعالى : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ الحشر : الجمع أى جمع له جنوده من هذه الأجناس ، كل صنف من جنده على حدة وهذا كان في مسير له . وقد جاء المفسرون في ذكر مقدار جنده - عليه الصلاة والسلام - بأخبار من الإسرائيليات فيها كثير من المبالغات ، التي لا تقبلها العقول ، ولو كان عدد جنوده كما ذكر ، فلا شيء يعجز الله - جل وعز - ولكن إصاق الكذب في أخبار الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - شناعة عظيمة ، ولا يمكن قبولها. والله أعلم.

وقوله تعالى : ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ يخبر تعالى عن عبده ونبيه سليمان - عليه الصلاة والسلام - أنه ركب يوما في جيشه جميعه من الجن والإنس والطير ، فالجن والإنس يسرون معه والطير سائرة معه تظله بأجنحتها من الحر وغيره وعلى كل من هذه الجيوش الثلاثة وزعة - أي نقباء - يردون أوله على آخره . فلا يتقدم أحد عن موضعه الذي يسير فيه ولا يتأخر عنه.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

قال ابن قتيبة : وأصل الوزع الكف والمنع يقال وزعت الرجل أي كفتته ووزاع الجيش الذي يكفهم عن التفرق ويرد من شذ منهم^{٥٠١}.

قال الشوكاني : أي لكل طائفة منهم وزعة ترد أولهم على آخرهم فيقفون على مراتبهم ، يقال : وزعه ، يزعه ، وزعا كفه ، والوزاع في الحرب الموكل بالصفوف يزع من تقدم منهم أي يرده . وقيل : من التوزيع بمعنى التفريق ، يقال : القوم أوزاع أي طوائف^{٥٠٢}.

قال الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: ١٨] فأمرت وحذرت واعتذرت عن سليمان وجنوده بعدم الشعور. قال ابن الجوزي : قال بعض العلماء : هذه الآية من عجائب القرآن ، لأنها بلفظة يا نادت ، أيها : نبهت ، النمل : عينت ، ادخلوا : أمرت ، مساكنكم : نصت ، لا يحطمنكم : حذرت ، سليمان : خصت ، وجنوده : عمت ، وهم لا يشعرون : عذرت^{٥٠٣}.

قال ابن كثير : في هذا السياق دليل على أنه كان في موكبه راكبا في خيوله وفرسلته لا كما زعم بعضهم من أنه كان إذ ذاك على البساط لأنه لو كان كذلك لم ينل النمل منه شيء ولا وطء لأن البساط كان عليه جميع ما يحتاجون إليه من الجيوش والخيول والجمال والأثقال والخيام والأنعام والطيور من فوق ذلك كله.

قال : والمقصود أن سليمان عليه السلام فهم ما خاطبت به تلك النملة لأمتها من الرأي السديد والأمر الحميد وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره وليس كما يقوله بعض الجهلة من أن الدواب كانت تنطق قبل سليمان وتخاطب الناس حتى أخذ عليهم بن داود العهد وأجمها فلم تتكلم مع الناس بعد ذلك فإن هذا لا يقوله إلا الذين لا يعلمون ، ولو كان هذا هكذا لم

^{٥٠١} انظر زاد المسير ١٦٠/٦

^{٥٠٢} انظر فتح القدير ١٣٠/٤

^{٥٠٣} انظر زاد المسير ١٦٠/٦

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

يكن لسليمان في فهم مقالها مزية على غيره إذ قد كان الناس كلهم يفهمون ذلك ولو كان قد أخذ عليها العهد ألا تتكلم مع غيره وكان هو يفهمها لم يكن في هذا أيضا فائدة يعول عليها. ولهذا قال ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾ أي ألهمني وأرشدني ﴿ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

فطلب من الله أن يقيضه للشكر على ما أنعم به عليه وعلى ما خصه به من المزية على غيره وأن ييسر عليه العمل الصالح وأن يحشره إذا توفاه مع عباده الصالحين وقد استحباب الله تعالى له^{٥٠٤}.

عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري أن سليمان بن داود عليه السلام خرج هو وأصحابه يستسقون فرأى نملة رافعة إحدى قوائمها تستسقي ، فقال لأصحابه : ارجعوا فقد سقيتم ، إن هذه النملة استسقت فاستجيب لها^{٥٠٥}.

وعن يزيد بن هارون عن مسعر بن كدام عن زيد العمى عن أبي الصديق الناجي قال : خرج سليمان بن داود يستسقي ، فإذا نملة مستلقية على قفاها ، رافعة قوائمها تقول : يا رب أنا خلق من خلقك لا غنى لنا عن سقياك ورزقك ، اللهم إن لم تسقنا وترزقنا هلكتنا . قال : فقال : سليمان ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم^{٥٠٦}.

وأخرج ابن عساكر عن السدي قال : أصاب الناس قحط على عهد سليمان النبي فأتوا سليمان فقال يا نبي الله لو أنك خرجت بالناس فاستسقوا فأمر سليمان فجمع بني إسرائيل فخرجوا فإذا سليمان بنملة قائمة على رجليها باسطة يديها وهي تقول :

^{٥٠٤} انظر البداية والنهاية ١٨، ١٧/٢

^{٥٠٥} أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٩٥/٣ والطبراني في كتاب الدعاء ص ٣٠٠ وابن عساكر في تاريخ

دمشق ٢٢ / ٢٨٨

^{٥٠٦} أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦٢/٦ وأبو الشيخ في العظمة ١٧٥٢/٥ وابن أبي عاصم في الزهد

٨٧/٢ وأبو نعيم في الحلية ٣/١٠١ وابن حبان في الثقات ٤١٤/٨ والطبراني في الدعاء ص ٣٠٠ وابن

عساكر في تاريخ دمشق ٢٢ / ٢٨٧

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

اللهم إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن فضلك . قال : فصب الله تبارك وتعالى عليهم المطر فقال سليمان ارجعوا فقد استجيب لكم بدعاء غيركم^{٥٠٧} .
وقد روي حديث الاستسقاء مرفوعا ولم يذكر فيه اسم سليمان - عليه الصلاة والسلام - فعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقون الله فإذا هم بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال النبي : ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذه النملة))^{٥٠٨} .

^{٥٠٧} أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢ / ٢٨٨

^{٥٠٨} أخرجه الدارقطني في سننه ٢ / ٦٦ وأبو الشيخ في العظمة ٥ / ١٧٥٣ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد

١٢ / ٦٥ وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٢ / ٢٨٨ ، والطحاوي في مشكل الآثار ١ / ٣٧٣ والحاكم في

المستدرک ١ / ٤٧٣ وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي . وضعفه الألباني في إرواء الغليل ٣ / ١٣٧

وضعيف الجامع ٣ / ١١٩

وجه الإعجاز في فهم سليمان - عليه الصلاة والسلام - لكلام النمل.

وجه الإعجاز في هذه الآية يظهر من وجهين :

الوجه الأولي : في كلام النملة لرفقتها ، وبني جنسها وتحذيرهم من سليمان - عليه الصلاة والسلام - وحنوده ، وإخلاصها لرفقتها في النصح لهم ، مع الفصاحة والبيان في كلامها لهم ، وأدبها في العذر لسليمان - عليه الصلاة والسلام - وحنوده وإسماعها لرفقتها مع كثرتهم في الوادي بنفسها ، وهذا من أعجب العجب ، كون نملة صغيرة يبلغ صوتها كل الوادي ، أو يكون قد أعطى الله - سبحانه - النمل - النمل أصمعا خارقة للعادة حتى سمعت كلامها وهن منتشرات في جنبات الوادي ، أو تكون قد أخبرت من حولها من النمل ثم انتشر الخبر في باقي النمل بإخبار بعضهن لبعض حتى بلغ جميعهن. كذلك في تنبيهها لرفقتها قبل قدوم سليمان - عليه الصلاة والسلام - وإحساسها بذلك ، وتعيين أن القادم هو سليمان - عليه الصلاة والسلام - لا غيره. كل هذا يدعوا للعجب ، فالله أكبر ما أعظمها من آية.

الوجه الثاني : وفيه أمور:

الأمر الأول : في فهم سليمان - عليه الصلاة والسلام - لكلام النملة ، وهذه آية اختص بها سليمان - عليه الصلاة والسلام - دون غيره من سائر الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - .

الأمر الثاني : بلوغ صوت النملة له مع دقتها وصغر حجمها ، فإما أنه قد أعطي قدرة عظيمة في السمع مكنه من سماع كلام النملة. أو تكون الريح وهي مسخرة له قد قامت بنقل صوت النملة إلى سليمان - عليه الصلاة والسلام - وكلها محتملة . والله أعلم.

خير الهدهد.

قال الله تعالى : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ
كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٧﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ
بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿١٨﴾ إِنِّي وَجَدْتُ
أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾
وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَوَسَّوهُمْ عَنْ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٠﴾ أَلَّا
يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ
مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
﴿٢٢﴾ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ
بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٤﴾
قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٥﴾ إِنَّهُ مِنْ
سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٦﴾ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ
وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا
كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً
وَأَوْلُوا بِأَسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَتْ

إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَظَ أَهْلِهَا أُذِلَّةً
 وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ
 يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أْتِمِدُّونَنِي بِمَالٍ
 فَمَا آتَيْنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ
 ﴿٢٢﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ
 مِنْهَا أُذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٣﴾ [النمل: ٢٠-٣٧]

قال الإمام البغوي في تفسيره^{٥٩} لهذه الآيات : يذكر تعالى ما كان من أمر سليمان والهدهد ، وذلك أن الطيور كان على كل صنف منها مقدمون يقدمون بما يطلب منهم ويحضرون عنده بالنوبة كما هي عادة الجنود مع الملوك ، وكانت وظيفة الهدهد على ما ذكره ابن عباس وغيره أنهم كانوا إذا أعوزوا الماء في القفار في حال الأسفار يجيء فينظر لهم هل بهذه البقاع من ماء ، وفيه من القوة التي أودعها الله تعالى فيه أن ينظر إلى الماء تحت تحوم الأرض ، فإذا دلهم عليه حفروا عنه واستنبطوه وأخرجوه واستعملوه لحاجتهم ، فلما تطلبه سليمان عليه السلام ذات يوم فقدته ولم يجده في موضعه من محل خدمته. انتهى.

عن أبي مجلز قال : جلس ابن عباس إلى عبد الله بن سلام فسأله عن الهدهد لم تفقده سليمان من بين الطير؟ . فقال عبد الله بن سلام : إن سليمان نزل منزلة في مسير له فلم يدر ما بعد الماء ، فقال : من يعلم بعد الماء ، قالوا : الهدهد فذاك حين تفقده^{٥١}.

وعن ابن عباس : قال تفقد الهدهد من أجل أنه كان يدلّه على الماء إذا ركب وإن سليمان ركب ذات يوم فقال : أين الهدهد ليدلنا على الماء فلم يجده ، فمن أجل

^{٥٩} ٤٦٥/١

^{٥١} انظر تفسير الطبري ١٩ / ١٤٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

ذلك تفقده. قال ابن عباس : إن الهدهد كان ينفعه الحذر ما لم يبلغه الأجل فلما بلغ الأجل لم ينفعه الحذر وحال القدر دون البصر^{٥١١}. والروايات عن ابن عباس في هذا المعنى كثيرة وثابتة.

قال الإمام الطبري : قد اختلف عبد الله بن سلام والقائلون بقوله ووهب بن منبه فقال عبد الله : كان سبب تفقده الهدهد وسؤاله عنه ليستخبره عن بعد الماء في الوادي الذي نزل به في مسيره.

وقال وهب بن منبه : كان تفقده إياه وسؤاله عنه لإخلاله بالنبوة التي كان ينوبها. والله أعلم بأي ذلك كان إذ لم يأتنا بأي ذلك كان تنزيل ولا خبر عن رسول الله ﷺ صحيح .

فالصواب من القول في ذلك أن يقال إن الله أخبر عن سليمان أنه تفقد الطير إما للنبوة التي كانت عليها وأخلت بها وإما لحاجة كانت إليها عن بعد الماء. انتهى^{٥١٢}.

﴿ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴾ أي ماله

مفقود من هاهنا ، أو قد غاب عن بصري فلا أراه حاضرا لساتر يستره عني ، ثم تبين له أنه غائب ، فسأل عن صحة ما تبين له. وأم هي المنقطعة التي بمعنى الإضراب . قال الزجاج : بل كان^{٥١٣}.

قوله تعالى : ﴿ لَا عَذَابَ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ توعده بنوع من العذاب الشديد

وهو دون القتل ، واختلف المفسرون فيه على عدة أقوال : أحدها : نتف ريشه. قاله ابن عباس والجمهور. والثاني : نتفه وتشميسه . قاله عبد الله بن شداد. والثالث : شد رجله وتشميسه . قاله الضحاك. والرابع : أن يطليه بالقطران ويشمسه. قاله مقاتل بن حيان. والخامس : أن يودعه القفص. والسادس : أن يفرق بينه وبين

^{٥١١} انظر تفسير الطبري ١٩ / ١٤٤

^{٥١٢} انظر تفسير الطبري ١٩ / ١٤٤

^{٥١٣} انظر زاد المسير ٦ / ١٦٤

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

إفنه^{٥١٤}. والمقصود حاصل على تقدير ﴿ أَوْ لَا أَذْبَحْنَهُ أَوْ لِيَأْتِنِي

بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أي بحجة بينة لغيبته تنجيه من هذه الورطة . وهذا من كمال عدله وإنصافه ، فلم يقسم على مجرد العقوبة ، لأنها لا تكون إلا من ذنب ، وغيبته قد تكون لعذر فلذلك استثنى ، وهذا من عدله وإنصافه.

قال الله تعالى : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ أي فغاب الهدهد غيبة ليست بطويلة ثم

قدم منها فقال لسليمان : ﴿ أَحَطُّتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ ﴾ الإحاطة العلم

بالشيء من جميع جهاته ، أي اطلعت على ما لم تطلع عليه على علمك الواسع ،

وعلو منزلتك. ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ أي بخبر صادق متيقن.

وسبأ اسم لمدينة باليمن كانت فيها بلقيس ، وهو أيضا اسم رجل من قحطان وهو

سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود^{٥١٥}.

قوله تعالى : ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ المرأة هي بلقيس بنت شرحبيل ، وكان أبوها ملك اليمن

وكانت هي وقومها يعبدون الشمس ، وجدها الهدهد تملك أهل سبأ ، فذكر ما

كانت عليه من الملك لسبأ في بلاد اليمن من المملكة العظيمة ، وكان الملك قد آل في

ذلك الزمان إليها لأنها ابنة ملكهم لم يخلف غيرها فملكوها عليهم^{٥١٦}.

وذكر الثعلبي وغيره : أن قومها ملكوا عليهم بعد أبيها رجلا فعم به الفساد ،

فأرسلت إليه تخطبه فتزوجها فلما دخلت عليه سقته خمرا ، ثم حزت رأسه ونصبته

^{٥١٤} انظر زاد المسير ٦ / ١٦٤ والتفسير الكبير ٢٤ / ١٨٩ وفتح القدير ٤ / ١٣٢

^{٥١٥} انظر فتح القدير ٤ / ١٣٢

^{٥١٦} انظر تفسير البغوي ١ / ٤٦٥ والتفسير الكبير ٢٤ / ١٩٠ وفتح القدير ٤ / ١٣٢

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

على بابها ، فأقبل الناس عليها وملكوها عليهم . وهي بلقيس بنت السيرح وهو الهدهاد^{٥١٧} .

وقيل : سراحيل بن ذي جدن بن السيرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، وكان أبوها من أكابر الملوك ، وكان قد تأبى أن يتزوج من أهل اليمن ، فيقال إنه تزوج بامرأة من الجن اسمها ريجانة بنت السكن ، فولدت له هذه المرأة واسمها تلقة ويقال لها بلقيس .

وقد روى الثعلبي من طريق سعيد بن بشير^{٥١٨} عن قتادة ، عن النضر بن أنس ، عن بشير بن هنيك عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنه قال : كان أحد أبوي بلقيس جنياً^{٥١٩} .

قال الماوردي : والقول بأن أم بلقيس جنية مستنكر من العقول لتباين الجنسين واختلاف الطبعين وتفارق الحسين ، لأن الآدمي جسماني والجن روحاني وخلق الله الآدمي من صلصال كالفخار وخلق الجن من نار ويمنع الامتزاج مع هذا التباين ويستحيل التناسل مع هذا الاختلاف^{٥٢٠} .

وقد سئل الإمام مالك عن زواج الجنى بالإنسي ، فقال : أخشى أن تأتي المرأة حبلى فتقول من زوجي الجنى .

^{٥١٧} انظر عرائس المجالس ص ١٧٤

^{٥١٨} حديث منكر في إسناده سعيد بن بشير مولى بني نصر من أهل دمشق كنيته أبو عبد الرحمن وقد قيل أبو هشام يروي عن قتادة وعمرو بن دينار روى عنه الوليد بن مسلم والشاميون مات سنة تسع وستين ومائة وله يوم مات تسع وثمانون سنة ، وكان رديء الحفظ فاحش الخطأ يروي عن قتادة مالا يتابع عليه وعن عمرو بن دينار ما ليس يعرف من حديثه وهو الذي يروي عن هشيم عن أبي عبد الرحمن عن قتادة يكتفى عنه ولا يسميه . انظر المخروحين لابن حبان ٣١٩/١ والجرح والتعديل ٦/٤ والكامل في الضغفاء ٣/٣٦٩ وتقريب التهذيب ١/٢٣٤ قال ابن كثير في البداية والنهاية ٢/٢٠: وهذا حديث غريب وفي سننه ضعف .

^{٥١٩} انظر عرائس المجالس ص ١٧٤ وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١١/١٦٩

^{٥٢٠} نقله عنه القرطبي في تفسيره ١٣/٢١٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

وقال الثعلبي : أخبرني أبو عبد الله بن قبحونة ، حدثنا أبو بكر بن حرجة ، حدثنا ابن أبي الليث حدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم^{٥٢١} ، عن الحسن ، عن أبي بكرة ، قال ذكرت بلقيس عند رسول الله ﷺ فقال : " لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"^{٥٢٢}

عن أبي بكرة - رضي الله عنه - قال : أن رسول الله ﷺ لما بلغه أن أهل فارس ملكوا عليهم ابنة كسرى قال : " لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة "^{٥٢٣}.

وقوله : ﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي من متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك المتمكن في زمانه.

﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني سرير مملكتها الذي تجلس عليه ، قيل : كان مزخرفا بأنواع الجواهر والآلئ والذهب والحلي الباهر ، ويكفيك أن تعلم أن هذا العرش كان عظيما وصف الله - سبحانه وتعالى - له بأنه عظيم. وقد أطال المفسرون في هذا الموضوع في وصف عرشها وعظمته بأشياء لا تقوم على نص صحيح فأعرضت عن ذكرها . والله أعلم.

ثم ذكر كفرهم بالله ، وعبادتهم الشمس من دون الله ، وإضلال الشيطان لهم، وصدته إياهم عن عبادة الله تعالى وحده لا شريك له فقال كما قال تعالى : ﴿ وَجَدْتُهُا

^{٥٢١} حديث منكر لمخالفته لما في الصحيح ، ولأجل إسماعيل بن مسلم البصري ثم المكي المجاور ، أبو إسحاق يروي عن الحسن ورجا بن حيوة والشعبي وأبي الطفيل وطائفة كثيرة وعنه الأعمش وهو من أقرانه وعلي بن مسهر وخلق . قال أحمد : منكر الحديث ، وقال أبو زرعة : ضعيف سكن مكة ، وقال : الجوزجاني : واهي الحديث جدا قال علي أجمع أصحابنا على ترك حديثه . انظر الكشف الخفي ص ٧١ ، وأحوال الرجال ١٤٩ ، والجرح والتعديل ١٩٨/٢ والكامل في الضعفاء ٢٨٢/١

^{٥٢٢} انظر عرائس المجالس ص ١٧٤

^{٥٢٣} أخرجه البخاري في كتاب : المغازي باب : كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر ٤/١٦١٠ وفي كتاب : الفتن باب : الفتنة التي تموج كموج البحر ٦/٢٦٠٠ وأحمد في المسند ٥/٥١٠ والترمذي ٤/٥٢٧ وقال : حسن صحيح و النسائي في الكبرى ٣/٤٦٥ والصغرى ٨/٢٢٧ والبيهقي في السنن الكبرى ٣/٩٠ و ١١٧/١٠ والحاكم في المستدرک ٣/١٢٨ و ٤/٣٢٤

وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا
لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا
تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ قرأ الأكثرون ألا بالتشديد . قال الزجاج والمعنى :

وزين لهم الشيطان ألا يسجدوا ، أي فصدهم لئلا يسجدوا . وقرأ ابن عباس ،
والحسن ، والزهري وغيرهم ، ألا يسجدوا مخففة ، على معنى : ألا يا هؤلاء
اسجدوا ، فيكون في الكلام إضمار هؤلاء ، ويكتفى منها ب((يا)) ويكون الوقف
((ألا يا)) والابتداء ((اسجدوا)) . قال الفراء : فعلى هذه القراءة هي سجدة وعلى
قراءة من شدد لا ينبغي لها أن تكون سجدة . وقال أبو عبيدة : هذا أمر من الله
مستأنف ، يعني : ألا يا أيها الناس اسجدوا . وقرأ ابن مسعود ، وأبي : ((هلا
يسجدوا)) بماء^{٢٤} . قوله تعالى : ﴿ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ أي يظهر ما هو مخبوء ومخفي
فيهما ، قال قتادة : الخبء : السر . وقال : النحاس أي ما غاب في السموات
والأرض . قال ابن قتيبة أي المستتر فيهما وهو من خبأت الشيء إذا أخفيته ويقال
خبء السموات المطر وخبء الأرض النبات . وقال الزجاج كل ما خبأته فهو خبء
فالخبء كل ما غاب فالمعنى يعلم الغيب في السموات والأرض^{٢٥} . ﴿ اللَّهُ لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ أي الذي لا تنبغي العبادة إلا له ، وهو
رب العرش العظيم الذي لا أعظم منه في المخلوقات وهو سقفاها ، ووسع السموات
والأرض .

^{٢٤} انظر زاد المسير ٦ / ١٦٦

^{٢٥} انظر زاد المسير ٦ / ١٦٦ وفتح القدير ٤ / ١٣٤

عندما سمع سليمان - عليه الصلاة والسلام - هذا النبأ العجيب العظيم ، الذي كيف خفي عليه قال كما قال تعالى : ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ فعند ذلك بعث سليمان - عليه الصلاة والسلام - كتابه يتضمن دعوته لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله والإنابة والإذعان إلى الدخول في الخضوع للملكه وسلطانه ولهذا قال لهم: ﴿ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ ﴾ أي لا تستكبروا عن طاعتي وامثال أوامري ﴿ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ أي واقدموا علي سامعين مطيعين بلا معاودة ولا مراودة . ذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم من أهل التاريخ أن الهدهد حمل الكتاب وجاء إلى قصرها فألقاه إليها وهي في خلوة لها ، ثم وقف ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها ، فجمعت أمراءها ووزراءها وأكابر دولتها إلى مشورتها ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّي أُلْقِي إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ وصفت الكتاب بالكريم لكونه من عند عظيم في نفسها ، فعظمته إجلالا لسليمان . وقيل : وصفته بذلك لاشتماله على كلام حسن . وقيل : وصفته لكونه وصل إليها محتوما بخاتم سليمان وكرامة الكتاب ختمه^{٥٢٦} . ثم قرأت عليهم عنوانه أولا ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾ ثم قرأته وبينت ما يتضمنه ﴿ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿٢٩﴾ أَلَّا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٠﴾ فلما قرأت الكتاب ، شاورتهم في أمرها وما قد حل بها وتأدبت معهم وخاطبتهم وهم يسمعون : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى

^{٥٢٦} انظر فتح القدير ٤ / ١٣٧

تَشْهَدُونَ ﴿ تعني ما كنت لأبت أمرا إلا وأنتم حاضران ، والذي يظهر أن هذا دأبا وعادتها معهم ، فكانت عاقلة حازمة ، حكيمة أن جمعت كبار رجال دولتها فأشاروا عليها بأمر لو تم لكان فيه هلاكهم ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسِّ شَدِيدٍ ﴾ يعنون لنا قوة وعدد وعدة وقدرة على الجلال والقتال ومقاومة الأبطال ، فإن أردت منا ذلك فإننا عليه من القادرين و مع هذا قالوا ﴿ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ فبدلوا لها السمع والطاعة ، وأخبروها بما عندهم من الاستطاعة ، وفوضوا إليها في ذلك الأمر لترى فيه ما هو الأرشد لها ولهم.

فكان رأيها أتم وأسد من رأيهم ، وعلمت أن صاحب هذا الكتاب لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف ولا يجادع ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ تقول برأيها السديد : إن هذا الملك لو قد غلب على هذه المملكة لم يخلص الأمر من بينكم إلا إليه ولم تكن الحدة والشدة والسطوة البليغة إلا علي ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ أرادت أن تصانع عن نفسها ، وأهل مملكتها بهدية ترسلها ، وتحف تبعثها . وإرسال من يكشف حاله ، وحيث نكون على بصيرة من أمرنا ، ولم تعلم أن سليمان عليه - الصلاة والسلام - لا يقبل منهم والحالة هذه صرفا ولا عدلا ، لأنهم كافرون ، وهم وجنوده عليهم قادرون . ولهذا : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ ﴾ أي الرسل بالهدية ، وقد كانت تلك الهدية مشتملة على أمور عظيمة ، ذكره المفسرون ، ولا فائدة من ذكرها. لأنها لم تأت من خير صحيح ، وكلها من أخبار بني إسرائيل.

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

فلما جاءه الرسل بالهدية ، قال لرسولها إليه ، ووافدها الذي قدم عليه والناس حاضرون يسمعون : ﴿ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ﴾ أنكر عليهم إمدادهم إياه بالمال ووبخهم عليه ، وعلم بأنها هدية للمصانعة والمهادنة له ، مع علو شأنه ، وسعة سلطانه ، وتكثير مال جلاء للتحقير ﴿ فَمَا آتَيْنَاهُ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ أي ما أعطاني من النبوة والملك ، خير مما عندكم من أمور الدنيا التي تتفاخرون وتتكاثرون بها.

﴿ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ يقول ارجع بهديتك التي قدمت بها إلى من قد من بها فإن عندي مما قد أنعم الله علي وأسداه إلي من الأموال والتحف والرجال ما هو أضعاف هذا وخير من هذا الذي أنتم تفرحون به وتفخرون على أبناء جنسكم بسببه ﴿ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا ﴾ أي فلا بعثن إليهم بجنود لا يستطيعون دفاعهم ولا نزالهم ولا مما نعتهم ولا قتالهم ، ولأخرجنهم من بلادهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم ﴿ أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ مهانون أذلاء عليهم الصغار والعار والدمار.

فلما بلغهم ذلك عن نبي الله ، وما عنده من الملك العظيم مما شاهده الرسل بالهدية ، علموا أنه لا طاقة لهم به ، فلم يكن لهم بد من السمع والطاعة ، فبادروا إلى إجابته في تلك الساعة وأقبلوا صحبة الملكة أجمعين سامعين مطيعين خاضعين.

فلما سمع بقدمهم عليه ، ووفودهم إليه ، قال لمن بين يديه ممن هو مسخر له من الجنان ما قصه الله عنه في القرآن : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوْاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي

بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٠٢﴾ قَالَ عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ

﴿٦٦﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٦٧﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴿[النمل: ٣٨-٤٤]

قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ السبب الذي من أجله خص سليمان بسؤاله الملأ من جنده بإحضاره عرش هذه المرأة دون سائر ملكها ، ليجعل ذلك حجة عليها في نبوته ويعرفها بذلك قدرة الله وعظيم شأنه أنها خلفته في مكان بعيد ، في بيت مغلق وعنده من يجرسه فأخرجه الله وجاء به من غير فتح أقفال حتى أوصله إلى وليه من خلقه وسلمه إليه فكان لها في ذلك أعظم حجة على حقيقة ما دعا لها إليه سليمان وعلى صدق سليمان فيما أعلمها من نبوته . فلما طلب سليمان من الملأ أن يحضروا له عرش بلقيس ، وهو سرير مملكتها التي تجلس عليه وقت حكمها ، قبل قدومها

عليه ﴿ قَالَ عَفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ ﴾^{٥٢٧} يعني قبل أن ينقضي مجلس حكمك وكان فيما يقال من أول النهار إلى قريب الزوال يتصدى لمهمات بني إسرائيل وما لهم من الأشغال ، وهذا الوقت هو وقت الضحى ، وهو الوقت المعتاد في الغالب في قضاء حوائج الناس ، والذي يظهر أن مجلس سليمان - عليه الصلاة والسلام - في ذلك الوقت كان في الشام ، فيكون بينه وبين سبأ مسيرة أربعة أشهر بالإبل شهران في الذهاب ومثلها في الإياب ﴿ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ أي وإني لذو قدرة على إحضاره إليه وأمانة على ما فيه من الجواهر النفيسة لديك.

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ المشهور أنه آصف بن برخيا وهو ابن خالة سليمان . وهذا القول عليه أكثر أهل العلم.

وقيل : هو رجل من مؤمني الجن ، كان فيما يقال يحفظ الاسم الأعظم .
وقيل : رجل من بني إسرائيل من علمائهم . وقيل هو : جبريل . وقيل غير ذلك^{٥٢٧} .
وقيل : إنه سليمان ، وهذا غريب جدا . وفيه بعد لا يخفى ، وضعفه السهيلي بأنه لا يصح في سياق الكلام . والأول هو الراجح وأشهر الأقوال ، لأن السياق في الآية يدل على أن هناك مناظرة بين العفريت من الجن ، وبين الذي عنده علم من الكتاب ، فالعفريت من الجن ، أراد أن يأتي بالعرش بالقوة ، والذي عنده علم من الكتاب أراد أن يأتي به بالعلم ، ليبين أن العلم يغلب القوة ، وكلاهما مسخر لسليمان - عليه الصلاة والسلام - وما منحنا من العلم ، والقوة مزية لهما ترجع إلى فضل سليمان - عليه الصلاة والسلام - وكرامته أن سخر الله له في ملكه من يكون معه مثل هذه القدرة وهذا الفعل أي إحضار العرش قبل أن يرتد طرف سليمان - عليه الصلاة

^{٥٢٧} أنظر إلى باقي الأقوال مثلا في تفسير الطبري ١٩ / ١٦٢ والدر المنثور ٦ / ٣٦٠ وتفسير القرطبي ١٣ /

٢٠٤ ، وتفسير أبي السعود ٦ / ٢٨٧ وفتح القدير ٤ / ١٣٩ وزاد المسير ٦ / ١٧٤ .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام

والسلام - كرامة لهذا الرجل الصالح الذي عنده علم من الكتاب ، وكرامة السوي معجزة للنبي ، لأنها ما وقعت لهذا الولي إلا بسبب اتباعه للنبي. والله أعلم.

قوله تعالى : ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾

قيل : معناه قبل أن تبعث رسولا إلى أقصى ما ينتهي إليه طرفك من الأرض ثم يعود إليك . وقيل : قبل أن يصل إليك أبعد ما تراه من الناس .

وقيل : قبل أن يكل طرفك إذا أدمت النظر به قبل أن تطبق جفنك .

وقيل : قبل أن يرجع إليك طرفك إذا نظرت به إلى أبعد غاية منك ثم أغمضته . وهذا أقرب ما قيل ^{٥٢٨} .

﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ ﴾ أي فلما رأى عرش بلقيس قر عنده في هذه

المدة القريبة من بلاد اليمن إلى بيت المقدس في طرفة عين ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ

رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ أي هذا من فضل الله علي وفضله علي

عبده ليخبرهم على الشكر أو خلافه ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ

﴿ أَي إِنَّمَا يَعُودُ نَفْعَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ أي

غني عن شكر الشاكرين ولا يتضرر بكفر الكافرين .

ثم أمر سليمان - عليه الصلاة والسلام - أن يغير حلي هذا العرش وينكر لها لتختبر

فهمها وعقلها ولهذا قال : ﴿ نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا

يَهْتَدُونَ ﴿ ١١ ﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ﴿


قال السدي : وجدت فيه ما تعرفه فلم تنكر ، ووجدت فيه ما تنكره فلم تثبت


فلذلك قالت كأنه هو ^{٥٢٩} ، وهذا من فطنتها وغزارة فهمها ، لأنها استبعدت أن

يكون عرشها لأنها خلفته ورائها بأرض اليمن ، ولم تكن تعلم أن أحدا يقدر على

^{٥٢٨} انظر تفسير الطبري ١٩ / ١٦٣ / ١٧٤ / ٦ .

^{٥٢٩} انظر زاد المسير ٦ / ١٧٧ .

هذا الصنع العجيب الغريب ، قال الله تعالى إخبارا عن سليمان وقومه : ﴿ وَأُوتِينَا
الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾  وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ قال الفراء : معنى الكلام : هي
عقلة وإنما صدها عن عبادة الله عبادتها للشمس والقمر ، وكان عادة من دين
آبائها^{٥٣٠} .

ثم أراد سليمان - عليه الصلاة والسلام - أن ترى من ملكه وسلطانه ما يبهر العقول
فأمر ببناء صرح كهيئة السطح من زجاج وعمل في ممره ماء ، وجعل عليه سقفا من
زجاج ، وجعل فيه السمك وغيرها من دواب الماء ، وأمرت بدخول الصرح
وسليمان جالس على سريره فيه ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ
حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ
قَوَارِيرَ ﴾ فلما قيل لها ذلك ظنت أنه ماء ليس دونه شيء ، لأن القوارير شفافة
يرى الماء من تحتها ، فكشفت عن ساقها لتخوض فيه ، وامثالها للأمر من عقلها
وأدبها ، لأنها لم تمنع من الدخول ، بل رفعت من ثيابها خشية البلل فقيل لها لا حاجة
لأن تكشفني عن ساقيك ، لأنه صرح ممرد من قوارير . ﴿ قَالَتْ رَبِّ انِّي
ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾  أي بما
كنت عليه من عبادة الشمس ، ومقتدية بسليمان بالإسلام لرب العالمين . والله أعلم .

^{٥٣٠} انظر زاد المسير ٦ / ١٧٨ .

وجه الإعجاز في خبر الهدهد.

وجه الإعجاز في خبر الهدهد من وجهين :

الوجه الأول : في الفهم الذي في الهدهد.

والوجه الثاني : في إحضار عرش بلقيس.

أما الوجه الأول ، فإن في محاوره الهدهد لسليمان - عليه الصلاة والسلام - وما فيها من حسن التأدب مع سليمان - عليه الصلاة والسلام - وإتيانه بخبر قد عزب عن علم سليمان - عليه الصلاة والسلام - ، ثم يكون رسولا لسليمان - عليه الصلاة والسلام - لدعوة قوم يعبدون غير الله - تعالى - ، و ينتظر منهم رد الجواب ، ويأتي به لسليمان - عليه الصلاة والسلام - على أكمل وجه تنفيذاً لأمره ، هذا الفهم الذي مع الهدهد آية من آيات الله - تعالى - أيد بها نبيه ، والمعتاد في هذه المخلوقات - أعني الهدهد وغيره - أن الله تعالى قد ألهما بعض الأمور التي تقوم بها في إصلاح معاشها ، ولكن الذي كان من أمر الهدهد مع سليمان - عليه الصلاة والسلام - أمر خارق للعادة ، في كونه يتصرف كل هذه التصرفات.

أما الوجه الثاني : وهو إحضار عرش بلقيس ، من اليمن إلى الشام ، بدون حامل له ، وهو في جرم كبير ، في وقت لا يتعدى رد الطرف ، هذا هو الإعجاز في هذه الآية العظيمة. والله أعلم.

- الفصل الخامس : دلائل نبوة يوشع بن نون - عليه الصلاة والسلام - .
خبر حبس الشمس ليوشع - عليه الصلاة والسلام - .

ولم يسر يوشع إلى أريحا ولا أمر بالمسير إليها إلا بعد موت موسى وبعد هلاك جميع من كان أبي المسير إليها مع موسى بن عمران حين أمرهم الله تعالى بقتال من فيها من الجبارين.

عن ابن عباس قال : قال الله تعالى لما دعا موسى يعني بدعائه قوله ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٥-٢٦] قال : فدخلوا التيه فكل من دخل التيه ممن جاوز العشرين سنة مات في التيه قال فمات موسى في التيه ومات هارون قبله قال فلبثوا في تيههم أربعين سنة وناهض يوشع بمن بقي معه مدينة الجبارين فافتتح يوشع المدينة^{٥٣٣}.

عن قتادة قال : قال الله تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٦] قال فإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿ [المائدة: ٢٦] حرمت عليهم القرى فكانوا لا يهبطون قرية ولا يقدرّون على ذلك أربعين سنة ، وذكر لنا أن موسى مات في الأربعين سنة ولم يدخل بيت المقدس منهم إلا أبناءهم والرجلان اللذان قالوا ما قال^{٥٣٤}.

فكان الذي خرج بهم في التيه ، وقصد بهم بيت المقدس، هو يوشع بن نون عليه السلام، فذكر أهل الكتاب وغيرهم من أهل التاريخ، أنه قطع ببني إسرائيل نهر الأردن وانتهى إلى أريحا، وكانت من أحصن المدائن أسواراً وأعلها قصوراً، وأكثرها أهلاً،

ملته انتهى . ويحتمل أن يكون سر ذلك أن الله لما منع بني إسرائيل من دخول بيت المقدس وتركهم في التيه أربعين سنة إلى أن افناهم الموت فلم يدخل الأرض المقدسة مع يوشع إلا أولادهم ولم يدخلها معه أحد ممن امتنع أولاً أن يدخلها.

^{٥٣٢} انظر البداية والنهاية ١/٣٠٠، ٣٠١

^{٥٣٣} انظر تاريخ الطبري ١/٢٥٧

^{٥٣٤} المصدر السابق ١/٢٥٨

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة يوشع عليه الصلاة والسلام

فحاصرهم ستة أشهر. ثم إنهم أحاطوا بها يوماً وضربوه بالقرون - يعني الأبواق - وكبروا تكبيرة رجل واحد، فتنسخ سورها وسقط وجبة واحدة، فدخلوا وأخذوا ما وجدوا فيها من الغنائم، وقتلوا اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء، وحاربوا ملوكاً كثيرة، ويقال إن يوشع ظهر على أحد وثلاثين ملكاً من ملوك الشام.

وذكروا أنه انتهى محاصرته إلى يوم الجمعة بعد العصر، فلما غربت الشمس أو كادت تغرب، ويدخل عليهم السبت الذي جعل عليهم وشرع لهم ذلك الزمان، قال لها: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها على فحبسها الله عليه حتى تمكن من فتح البلد^{٣٥}. وأمر القمر فوقف عن الطلوع، وهذا يقتضي أن هذه الليلة كان الرابعة عشرة من الشهر الأول^{٣٦}.

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الشمس لم تجسس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس))^{٣٧}. وهذه المعجزة من خصائص يوشع عليه السلام^{٣٨}.

^{٣٥} انظر البداية والنهاية ١/٣٠٠، ٣٠١

^{٣٦} أماقصة القمر فمن عند أهل الكتاب، ولا ينافي الحديث بل فيه زيادة تستفاد فلا تصدق ولا تكذب. ولكن ذكرهم أن هذا في فتح أريحا فيه نظر، والأشبه - والله أعلم - أن هذا كان في فتح بيت المقدس الذي هو المقصود الأعظم، وفتح أريحا كان وسيلة إليه.. والله أعلم. انظر البداية والنهاية ١/٣٠٠، ٣٠١

^{٣٧} في المسند ٢/٣٢٥ وانظر الفتح الرباني ٢٠/١٠٤ وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١/٣٠١ انفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط البخاري. وقد صحح إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦/٢٢١ وأحمد شاكر في تحقيقه للمسند ١٦/١٣٧ حديث رقم ٨٢٩٨ والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٣٤٧ حديث رقم ٢٠٢

^{٣٨} أخرج الطحاوي في مشكل الآثار ٢/٩ أن النبي ﷺ صلى الظهر ب(الصهباء) ثم أرسل علياً عليه السلام في حاجة، فرجع وقد صلى النبي ﷺ العصر فوضع النبي ﷺ رأسه في حجر علي فنام، فلم يحركه حتى غابت الشمس، فقال النبي ﷺ: (اللهم إن عبدك علياً احتبس نفسه على نبيك فرد عليه شرقها) قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض ثم قام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت. وذلك في (الصهباء). وفي رواية: (اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس). قالت أسماء: فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت.

قال ابن الجوزي في الموضوعات ١/٣٥٦ موضوع بلا شك. وقال الجوزقاني: هذا حديث منكر مضطرب. وقال ابن تيمية: ... المحققون من أهل العلم والمعرفة بالحديث يعلمون أن هذا الحديث كذب موضوع. وقال ابن كثير في البداية والنهاية ١/٣٠١ فيدل على ضعف الحديث الذي رواه: أن الشمس رجعت حتى صلى علي بن

وعن أبي هريرة أيضا قال : قال رسول الله ﷺ: «غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها ولما بين، ولا آخر قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو ينتظر أولادها ، قال: فغزا فدننا من القرية حين صلى العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علي شيئا، فحبست عليه حتى فتح الله عليه، قال: فجمعوا ما غنموا ، فأنت النار لتأكله فأبت أن تطعمه، فقال: فيكم الغلول، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فبايعوه فلصقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك ، فبايعته قبيلته قال: فلصقت بيد رجلين - أو ثلاثة - فقال فيكم الغلول.. أنتم غللتم ، قال: فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب ، قال: فوضعوه بالمال وهو بالصعيد، فأقبلت النار فأكلته، فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيها لنا) ^{٥٣٩}.

قال القرطبي - رحمه الله - قال علماؤنا : والحكمة في حبس الشمس على يوشع عند قتاله أهل أريحاء وإشرافه على فتحها عشي يوم الجمعة وإشفاقه من أن تغرب الشمس قبل الفتح أنه لو لم تحبس عليه حرم عليه القتال لأجل السبت ويعلم به عدوهم فيعمل

أبي طالب صلاة العصر، بعد ما فاتته بسبب نوم النبي ﷺ على ركبته، فسأل رسول الله أن يردها الله عليه حتى يصلي العصر فرجعت. وقد صححه أحمد بن صالح المصري ولكنه منكر ليس في شيء من الصحاح ولا الحسان، وهو مما تتوافر الدواعي على نقله، وتفردت بنقله امرأة من أهل البيت مجهولة لا يعرف حالها.. والله أعلم. وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات : أسانيد حديث رد الشمس لعلي ساقطة ليست بصحيحة . وقد أطال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٢/٣٩٥، ٤٠٢. حديث رقم ٩٧١، ٩٧٢ الكلام على هذا الحديث فقال : موضوع . ثم قال : وجملته القول : أن العاقل إذا تأمل فيما سبق من كلام هؤلاء الحفاظ على هذا الحديث من جهة متنه ، وعلم قبل ذلك أنه ليس له إسناد يحتج به تيقن أن الحديث كذب موضوع لا أصل له . وقال : وقد جاءت أحاديث وآثار في رد الشمس لطائفة من الأنبياء ولا يصح من ذلك شيء إلا ما في الصحيحين وغيرهما أن الشمس حبست ليوشع عليه السلام. ولكن ابن حجر - رحمه الله - في فتح الباري ٦/٢٢٢ خطأ من طعن في الحديث بالوضع فقال : وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده له في الموضوعات وكذا ابن تيمية في كتاب الرد على الروافض في زعم وضعه . والله أعلم.

^{٥٣٩} أخرجه أحمد في المسند ٢/٣١٨ وانظر الفتح الرباني ١٤/٩٠، ٩١ والبخاري في كتاب : فرض الخمس باب : رقم ٨ حديث رقم ٣١٢٤ وانظر فتح الباري ٦/٢٥٤ ومسلم في كتاب : الجهاد والسير ، باب : تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة حديث رقم ١٧٤٧ انظر شرح النووي ١٢/٤٦ .

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبوة نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة يوشع عليه الصلاة والسلام

فيهم السيف ويحتاجهم فكان ذلك آية له خص بها بعد أن كانت نبوته ثابتة بخبر موسى - عليه الصلاة والسلام - على ما يقال والله أعلم^{٥٤٠}.

وجه الإعجاز في حبس الشمس ليوشع - عليه الصلاة والسلام -.

يظهر الإعجاز في هذه الآية العظيمة من قوله ﷺ حكاية عن يوشع - عليه الصلاة والسلام - عندما ((قال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علي شيئاً، فحبست عليه حتى فتح الله عليه)) قال ابن حجر : الفرق بين المأمورين أن أمر الجمادات أمر تسخير ، وأمر العقلاء أمر تكليف وخطابه للشمس يحتمل أن يكون على حقيقته ، وأن الله تعالى خلق فيها تمييزاً وادراكاً ، فعلى هذا سخر الله - سبحانه - في الشمس أمر الإستجابة ليوشع - عليه الصلاة والسلام - حتى امتثلت لأمره ، وهذا الإمتثال أعني حبس الشمس عن المغيب يحتمل أن تكون الشمس قد توقفت عن الجريان ، ويحتمل أن تكون قد عادت على أدراجها ، ويحتمل أن تكون قد بطئت حركتها ، وكل هذه الأمور محتملة ، وإن كان الأخير أرجح عندي من القولين الأولين^{٥٤١}.

^{٥٤٠} تفسير القرطبي ١٣١/٦

^{٥٤١} حكى هذه الأقوال القاضي عياض ونقلها عنه ابن حجر في فتح الباري ٦/٢٢٣

دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل نبينا محمد ﷺ دلائل نبوة نبي من أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى

الفصل السادس : دلائل نبوة نبي من أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى

- عليهم الصلاة والسلام -.

قصة التابوت .

قصة التابوت .

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ
 قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِطِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ
 عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا
 نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ
 عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ
 ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا
 أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ
 سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي
 الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ
 ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ
 سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَعَآلُ هَارُونَ
 تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

﴿ [البقرة: ٢٤٦-٢٤٨] ﴾

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذِ
 قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِطِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

اختلف المفسرون في هذا النبي المشار إليه في الآية ، لكن جمهورهم على أن نبي هؤلاء القوم المذكورين في هذه القصة هو شمويل^{٥٤٢} . وقيل : شعون ، وقيل : هما واحد وقيل : يوشع وهذا بعيد لما ذكره الإمام أبو جعفر بن جرير في تاريخه: أن بين موت يوشع وبعثة شمويل أربعمائة وستين سنة فالله أعلم^{٥٤٣} . وتنكير نبي لهم للإشارة إل أن محل العبرة ليس هو شخص النبي ، فلا حاجة إلى تعيينه ، وإنما المقصود حال القوم وهذا دأب القرآن في قصصه. قاله الطاهر بن عاشور^{٥٤٤} .

والمقصود أن هؤلاء القوم لما أنهكتهم الحروب وقهرهم الأعداء سألوا نبي الله في ذلك الزمان ، وطلبوا منه أن ينصب لهم ملكا فيكونوا تحت طاعته ليقاتلوا من ورائه ومعه وبين يديه الأعداء . قال ابن عباس والضحاك : هذا حين رفعت التوراة واستخرج أهل الإيمان وكانت الجبايرة قد أخرجتهم من ديارهم وأبنائهم^{٥٤٥} . فقال لهم نبيهم الكريم كما قال تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ﴾ استفهام شك وفي تحذير ، يقول : لعلكم إذا بعث الله لكم ملكا وفرض عليكم القتال لا تقتلون وتجنون عن القتال. فقرره على ما في نيتهم وإضمارهم عدم القتال. ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أي كيف لا نقاتل في سبيل الله ﴿ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا ﴾ قالوا : نحن محاربون موتورون ، أخذوا ديارنا وسبوا أبنائنا فحقيق لنا أن نقاتل عن ديارنا وأبنائنا المقهورين المستضعفين المأسورين في قبضتهم. قال تعلق : ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ

^{٥٤٢} من قال من المفسرين أنه شمويل السمرقندي ٢١٨/١ ، والشوكاني ٢٦٤/١ ، والطاهر بن عاشور ٤٨٥/٢ .

^{٥٤٣} انظر تاريخ الطبري ٤٦٧/١ ، والبداية والنهاية ٦/٢

^{٥٤٤} في التحرير والتنوير ٤٨٥/٢

^{٥٤٥} انظر معاني القرآن للنحاس ١ / ٢٤٩ وتفسير الطبري ٥٩٨ / ٢

عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٦﴾

أي لما فرض عليهم القتال ، تركوه ولم يثبت إلا القليل منهم ، كما ذكر في آخر القصة أنه لم يجاوز النهر مع الملك إلا القليل والباقون رجعوا ونكلوا عن القتال. قال تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۗ ٤٦﴾

﴿

أي أن الله تعالى أجابكم إلى ما سألتهم من بعث ملكٍ تقاتلون في سبيل الله معه ، وقد جعل لكم طالوت ملكاً ، قال عكرمة والسدي^{٤٧} : كان سقاء؟! وقال وهب بن منبه : كان دباغاً. وقيل : غير ذلك. والله أعلم^{٤٨}. لأجل هذا ﴿ قَالُوا أَنَّى

يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِّنَ الْمَالِ ۗ ٤٦﴾ لأن الملك كان في سبط بعينه لا يكون في غيره ولم يكن طالوت

منه ، فلذلك وقع الإنكار. فأجابهم نبيهم - عليه الصلاة والسلام - كما قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ٤٦

وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكُهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۗ ٤٦﴾ أي اختاره الله عليكم ، بما أعطاه من العلم ، والقوة في الجسم . وأن الملك ليس بكثرة المال ، ولا يكون صاحبه ممن كان الملك والسيادة في بيوتهم ، فالملك لله يؤتیه من يشاء من عباده.

^{٤٦} قال الثعلبي : وهو طالوت بن قيش بن أفيل بن تحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن

إسحاق بن إبراهيم الخليل.

^{٤٧} انظر تفسير الطبري ٦٠٢/٢ ، ٦٠٣ ،

^{٤٨} انظر البداية والنهاية ٧/٢ والدر المنثور ١/٥٥٨ وتفسير الطبري ٦٠١/٢

وقوله عز وجل : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ

التَّابُوتُ ﴾ هذا الإخبار من النبي - عليه الصلاة والسلام - على مجيء التابوت

معجزة ، وحجة ، ودليل على صدق نبوته ، وعلامة على ملك طالوت .

وكأنهم - والله أعلم - سألوا وتعتوا في السؤال وقالوا لنبیهم وما آية ملك طالوت وذلك على جهة سؤال الدلالة على صدقه في قوله أن الله بعثه ، ويحتمل أن نبیهم قال لهم ذلك على جهة التغليظ والتنبيه على هذه النعمة التي قرنها بملك طالوت دون تكذيب منهم لنبیهم وهذا أظهر من لفظ الآية ، والتأويل الأول أشبه بأخلاق بني إسرائيل الذميمة ، فانهم أهل تكذيب وتعنت واعوجاج^{٥٤٩} .

أما التابوت فقد قال ابن جرير : هو التابوت الذي كانت بنو إسرائيل إذا لقوا عدوا لهم قدموه أمامهم وزحفوا معه فلا يقوم لهم معه عدو ، ولا يظهر عليهم أحد ناوأهم حتى منعوا أمر الله وكثر اختلافهم على أنبيائهم فسلبهم الله إياه مرة بعد مرة يردده إليهم في كل ذلك حتى سلبهم آخر مرة فلم يردده عليهم ولن يرد إليهم آخر الأبد^{٥٥٠} . ومن بركة ولاية هذا الرجل الصالح عليهم وبمنه عليهم أن يرد الله عليهم التابوت الذي كان سلب منهم وقهرهم الأعداء عليه .

وقوله عز وجل : ﴿ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ اختلف المفسرون في معنى

السكينة على عدة أقوال : فعن علي - رضي الله عنه - قال : السكينة لها وجه كوجه الإنسان وهي بعد ریح هفافة . وروى الضحاك عن ابن عباس قال : السكينة دابة قدر لها عينان لها شعاع فإذا التقى الجمعان أخرجت يدها ونظرت إليهم فينهزم الجيش من ذلك الرعب . وقال : الضحاك السكينة : الرحمة ، والبقية : القتال . وروي عن ابن عباس أيضا : السكينة طست من ذهب الجنة كانت تغسل فيها قلوب

^{٥٤٩} انظر تفسير الثعالبي ١/١٩٣

^{٥٥٠} تفسير الطبري ٢/٦٠٧، ٦٠٨

الأنبياء . وقيل: السكينة مثل الريح الخجوج^{٥٥١} وقيل: صورتها مثل الهرة إذا صرخت في حال الحرب أيقن بنو إسرائيل بالنصر. وقيل غير ذلك ، وقال الطبري بعد أن سرد أقوالاً عديدة في معنى السكينة : وأولى هذه الأقوال بالحق في معنى السكينة ما قاله عطاء بن أبي رباح : من الشيء تسكن إليه النفوس من الآيات التي تعرفونها. انتهى^{٥٥٢} . وكلام عطاء - رحمه الله - عام ، وسكون النفس الذي يأتيهم عند القتال ، إنما يأتيهم بسبب شيء محسوس ومشاهد ، يعرفونه هم ، يكون مع التابوت فينتصرون به على أعداءهم ، والسكينة تأتي معه ، فأكثر الأقوال على هذا المعنى محتملة. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَعَآلُ هَارُونَ ﴾ اختلف المفسرون أيضاً في هذه الآية فقال: ابن عباس ، وقتادة ، والسدي : عصا موسى ورضاض الألواح. وقال عكرمة : التوراة ورضاض الألواح والعصا. وقال العوفي : عصا موسى وعصا هارون وثياب موسى وثياب هارون ورضاض الألواح. وقال آخرون : بل هي العصا والنعلان. وقال عطاء بن أبي رباح : العلم والتوراة . وقال آخرون : بل ذلك الجهاد في سبيل الله . قال ابن جرير : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله - تعالى ذكره - أخبر عن التابوت الذي جعله آية لصدق قول نبيه لأمته إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً أن فيه سكينة منه وبقية مما تركه آل موسى وآل هارون . وجائز أن يكون تلك البقية العصا وكسر الألواح والتوراة أو بعضها والنعلين والثياب والجهاد في سبيل الله وجائز أن يكون بعض ذلك.

وذلك أمر لا يدرك علمه من جهة الاستخراج ولا اللغة ولا يدرك علم ذلك إلا بخبر يوجب عنه العلم ولا خبر عند أهل الإسلام في ذلك للصفة التي وصفنا. وإذا كان

^{٥٥١} الريح الخجوج : الريح الشديدة المرّ ، أو الملتوية في هبوبها . انظر القاموس المحيط ٢٣٧

^{٥٥٢} انظر تفسير الطبري ٦١٣/٢ ، وانظر في معنى السكينة أيضاً في تفسير البغوي ١/ ٢٢٩ وابن كثير ٣٠٢/١ ومعاني القرآن

للنحاس ٢٤٩/١ والسمرقندي ٢١٩/١

كذلك فغير جائز فيه تصويب قول وتضعيف آخر غيره إذ كان جائزاً فيه ما قلنا من القول. انتهى^{٥٥٣}.

﴿ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ أي تأتيكم به الملائكة يحملونه وأنتم ترون ذلك عياناً ليكون آية لله عليكم وحجة باهرة على صدق ما أقوله لكم وعلى صحة ولاية هذا الملك الصالح عليكم. ولهذا قال: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . أي علامة تدل على تمليك طالوت : قال المفسرون^{٥٥٤} : فلما جاءهم التابوت وأقروا له بالملك تأهب للخروج فأسرعوا في طاعته وخرجوا معه فذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا بِاللَّهِ كَمَ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةَ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]

^{٥٥٣} انظر تفسير الطبري ٦١٥/٢

^{٥٥٤} انظر زاد المسير ٢٩٧/١

وجه الإعجاز في التابوت .

قال الفخر الرازي : مجيء ذلك التابوت لا بد وأن يقع على وجه يكون خارقاً للعادة حتى يصح أن يكون آية من عند الله، دالة على صدق تلك الدعوى .
جعل الله سبحانه وتعالى إتيان التابوت معجزة فيه احتمالان:
أحدهما: أن يكون مجيء التابوت معجزاً ، إن جاء بذاته ، أو جاءت به الملائكة تحمله.

والثاني: أن لا يكون التابوت معجزاً ، بل يكون ما فيه هو المعجز، وذلك بأن يشاهدوا التابوت خالياً ، ثم إن ذلك النبي يضعه بمحضر من القوم في بيت ويغلقوا البيت ، ثم إن النبي يدعي أن الله تعالى خلق فيه ما يدل على واقعتنا ، فإذا فتحو باب البيت ونظروا في التابوت رأوا فيه كتاباً يدل على أن ملكهم هو طالوت، وعلى أن الله سينصرهم على أعدائهم فهذا يكون معجزاً قاطعاً دالاً على أنه من عند الله تعالى، ولفظ القرآن يحتمل هذا ، لأن قوله: ﴿ يَا أَيُّكُمْ أَتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ يحتمل أن يكون المراد منه أنهم يجدون في التابوت هذا المعجز الذي هو سبب لاستقرار قلوبهم واطمئنان أنفسهم فهذا محتمل. °°° والله أعلم

°°° انظر التفسير الكبير ١٧٧/٦

الباب الثالث : وفيه فصلان :

الفصل الأول : في الدروس المستفادة من دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وفيه المباحث التالية

المبحث الأول :

العبرة من الآيات التي بعث بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

المبحث الثاني :

الحن التي تعرضوا لها بسبب هذه الآيات .

المبحث الثالث :

موقف المكذبين والمعاندين من هذه الآيات .

المبحث الرابع :

في وجه الشبه بين الأمم الكافرة بآيات الأنبياء.

المبحث الخامس

موقف المسلم من هذه الآيات .

الفصل الثاني :

الأحكام الفقهية المستنبطة من دلائل نبوة الأنبياء .

الباب الثالث :

الفصل الأول : الدروس المستفادة من دلائل نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أولاً : أن الأنبياء جميعاً - عليهم الصلاة والسلام - جاءوا بدين واحد ، وهو توحيد الله تعالى بالعبادة ، وخلع كل ما يعبد من دون الله سبحانه ، ولم تكن دعوة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فيها مخالفة لأمرهم في شئون حياتهم بقدر ما هو إصلاح لهم في مجال هذه الحياة ، فهذا نبي الله شعيب - عليه الصلاة والسلام - يدعو قومه

قال تعالى : ﴿ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمُ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨]

ومن الأركان التي دعا لها الأنبياء عليهم السلام ، الإيمان بالغيب واليوم الآخر قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكُمْ يَأْتُونَكَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالنُّذُرِ وَقَالُوا بِالنَّبِيِّينَ أَكْذَٰبًا فَهُمْ يُقْتَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٥] ومن الإيمان بالغيب ، الإيمان بكل ما جاء به الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ومنها المعجزات والخوارق التي هي فوق قدرة العقل والتفكير ، ولا يؤمن العبد بها إلا إذا كان مؤمناً بالغيب ، والذي ينكر ، أو يكذب بأي آية من الآيات التي بعث بها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فهو

﴿ أَلَمْفَلِحُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٥] ومن الإيمان بالغيب ، الإيمان بكل ما جاء به

الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ومنها المعجزات والخوارق التي هي فوق قدرة العقل والتفكير ، ولا يؤمن العبد بها إلا إذا كان مؤمناً بالغيب ، والذي ينكر ، أو يكذب بأي آية من الآيات التي بعث بها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فهو

مكذبٌ بكل المعجزات والخوارق التي أيد الله - تعالى - بها رسله - عليهم الصلاة والسلام - بل هو مكذبٌ بالرسول أيضاً وقد قص الله تعالى علينا في القرآن الكريم أخبار الرسل وما أجراه على أيديهم من المعجزات ، ولا يسع تفكير العبد إلا تسليم مطلق بالإيمان بالغيب ، لأنها فوق إدراكات العقول ، فانفلاق البحر لموسى - عليه الصلاة والسلام - وانفجار الحجر باثنتي عشرة عيناً بضرب موسى - عليه الصلاة والسلام - وارتفاع الجبل فوق قوم موسى كالسقيفة ، وخلق الطير من الطين ، وإحياء الموتى لعيسى - عليه الصلاة والسلام - وبرد النار على إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وتسخير الريح لسليمان - عليه الصلاة والسلام - وفهمه لكلام الطير ، وإسراء نبينا محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وإخباره بالأمور المغيبة ، لا تسعها عقول البشر ولا تقبلها عقولهم إلا إذا آمنوا بالغيب.

ثانياً : أن هذه المعجزات أجراها الله - عز وجل - مع الأنبياء الرسل - عليهم الصلاة والسلام - حتى تكون حجةً لهم على أممهم ، ومؤيدة لهم ، تدل على صدقهم ، وأنهم من عند الله - تعالى - .

ثالثاً : أن القرآن الكريم قد حفظ لنا أخبار الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - وكيف تلقي أممهم للآيات التي بعثوا بها ، من مكذبٍ معاندٍ متكبرٍ ، بعيدٍ عن الهداية وهم الأكثر ، ومن مصدقٍ بها وهم الأقل . ومصير المكذبين ، وحكم الله تعالى فيهم ، وكل من آمن كتب له النجاة في الدنيا ، والجنة في الآخرة.

رابعاً : لم يتعرض القرآن الكريم لكثيرٍ من التفاصيل التي ذكرت في الأخبار الإسرائيلية ، مثل كيف صنعت سفينة نوح ؟ وكم من الوقت استغرق بناؤها ؟ وكم عدد من ركبها ؟ إلى غير ذلك من التفاصيل التي أعرض القرآن عن ذكرها ، لعدم فائدتها لنا. والله أعلم.

خامساً : أن من الأخبار الواردة من معجزات الأنبياء المأخوذة عن أهل الكتاب كثيرٌ منها فيها كذبٌ على الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وبعضها فيها قدح لعصمتهم - عليهم الصلاة والسلام - .

سادساً : أن المكذبين للأنبياء والرسول - عليهم الصلاة والسلام - في جميع الأمم ، في مؤامراتهم ومحارباتهم ومعارضاتهم ، وطرح الشبهات ، تكاد الكلمة تكون واحدة في التكذيب والجحود ، والصد عن سبيل الله تعالى .

سابعاً : أن معجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - أرسل الله تعالى بها الرسول تحدياً لأقوامهم ، وكانت معجزة كل نبي تأتي ملائمة لما برع فيه أهل ذلك الزمان ، فقوم موسى - عليه الصلاة والسلام - برعوا في السحر ، وجاءهم بالعصا ، وقوم عيسى - عليه الصلاة والسلام - برعوا في الطب ، وكان يبرئ الأكمه والأبرص ، والعرب كانوا أهل فصاحة وبيان ، فأرسل الله - تعالى - لهم نبينا محمداً ﷺ بمعجزته الخالدة إلى يوم القيامة - القرآن - يتحدى فصاحتهم وبياناتهم .

ثامناً : أن المعجزات التي بعث بها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - لم تذكر في القرآن الكريم للتسلية ، وإنما ذكرت للعبير والعظات ، وتعليماً للأمة ليتجنبوا سبل المعاندين أهل الضلال ، والابتعاد عن مهاوي الانحراف ، وتصحيح الجانب العقدي في قلب كل مسلم .

المبحث الأول :

العبرة من الآيات التي بعث بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أولها: أن الانتفاع بالأدلة العقلية المحضة إنما تحصل للإنسان الكامل ، فأما إذا ذكرت الدلائل ثم أكدت بأخبار الأمم ومحاوراتهم لأنبيائهم ، صار ذكر هذه الدلائل كالموصل لتلك الدلائل العقلية إلى العقول.

الثانية: أن الله - سبحانه وتعالى - ذكر أنواع الدلائل التي كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتمسكون بها ، ويذكر مدافعات الكفار لتلك الدلائل ، والشبهات التي يوردونها في دفع هذه الدلائل ، ثم يذكر بعد ذلك أجوبة الأنبياء عنها ، ثم يذكر عقبيها أنهم لما أصروا واستكبروا وقعوا في عذاب الدنيا ، وبقي عليهم اللعن والعقاب في الدنيا ، وفي الآخرة، فكان ذكر الدلائل وشبهات الأمم الغابرة في ردها ، وجوابات القرآن الكريم عليها ، سبباً إلى وصول القناعة إلى قلوب المنكرين، وسبباً لإزالة القسوة والغلظة عن قلوبهم ، وهذه أحسن الطرق في الدعوة إلى الله تعالى .

الثالثة: أن نبينا محمداً ﷺ كان يذكر هذه الدلائل من غير مطالعة كتب، ولا تلمذة على أحد وذلك معجزة عظيمة تدل على النبوة .

الرابعة: أن الذين يسمعون هذه الدلائل يتقرر عندهم أن عاقبة الصديق والزنديق ، الموافق والمنافق إلى ترك الدنيا والخروج عنها، إلا أن المؤمن يخرج من الدنيا مع الثناء الجميل في الدنيا، والثواب الجزيل في الآخرة، والكافر يخرج من الدنيا مع اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة، فإذا تكرر ذكر هذه الدلائل على السمع، فلا بد وأن يلين القلب وتخضع النفس وتزول العداوة ويحصل في القلب خوف يحمله على النظر والاستدلال^{٥٥٦}.

^{٥٥٦} انظر التفسير الكبير ١٨/٥٦،٥٥

المبحث الثاني : المحن التي تعرضوا لها بسبب هذه الآيات.

لم يتعرض أحدٌ للبلاء والمحن مثل ما تعرض له الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من صنوف الأذى وأنواعه من الطرد ، والقتل ، والتعذيب ، والتهم الباطلة من الجنون ، والكذب ، والقذف في أعراضهم ، والتهكم ، والسخرية ، والاستهزاء بهم ، وكل هذا البلاء الذي أصابهم في الدنيا ، ليزيدهم الله رفعة في الآخرة ، وقد سأل سعد بن أبي وقاص النبي ﷺ عن هذا الأمر قال قلت : يا رسول الله ، أي الناس أشد بلاء ؟ قال : ((الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يتلى العبد على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة))^{٥٥٧}

قال المباركفوري قوله : أي الناس أشد ، أي أكثر وأصعب بلاء ، أي : محنة ومصيبة قال الأنبياء ، أي : هم أشد في الابتلاء ، لأنهم يتلذذون بالبلاء كما يتلذذ غيرهم بالنعماء ، ولأنهم لو لم يتلوا لتوهم فيهم الألوهية وليتوهن على الأمة الصبر على البلية ... ولأن من كان أشد بلاء كان أشد تضرعا والتجاء إلى الله تعالى.

ثم الأمثل فالأمثل ، قال الحافظ : الأمثل أفعل من المثالة والجمع أمائل وهم الفضلاء.

وقال ابن الملك : أي الأشرف فالأشرف والأعلى فالأعلى رتبة ومترلة .

يعني من هو أقرب إلى الله بلاؤه أشد ليكون ثوابه أكثر^{٥٥٨} .

وعن أبي سعيد الخدري قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك فوضعت يدي عليه فوجدت حرة بين يدي فوق اللحاف فقلت يا رسول الله ، ما أشدها عليك؟! قال : ((إنا كذلك يضعف لنا البلاء ويضعف لنا الأجر)) قلت : يا رسول الله ،

^{٥٥٧} أخرجه ابن ماجه ١٣٣٤/٢ ، باب : الصبر على البلاء ، رقم ٤٠٢٥ وأخرجه الترمذي ٦٠١/٤ وصححه ، والنسائي في السنن الكبرى ، وابن حبان ١٦٠ /٧ والحاكم ١٠٠،٩٩/١ والبيهقي ٣٥٢/٤ والدارمي ٤١٢/٢ والبخاري ٣٥٣/٣ وأبو يعلى ١٤٢/٢ والضياء المقدسي في المختارة ٢٥٢/٣ كلهم من طريق عاصم بن مبدلة عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه ، وأورد أوله البخاري ترجمة ولم يخرج ، في كتاب المرضى باب : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول ٢١٣٩/٥ . وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٤٥/٢٤ والبيهقي في السنن الكبرى ٣٥٢/٤ من طريق أبي عبيدة بن حذيفة بن اليمان عن عمته فاطمة.

^{٥٥٨} تحفة الأحوذى ٦٦/٧ .

أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء قلت: يا رسول الله، ثم من؟ قال: ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليتلى بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء^{٥٥٩}.

وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^{٥٦٠}

فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣٠﴾

[العنكبوت: ٣] أي ابتلينا الماضين كالخليل ألقى في النار وكقوم نشروا بالمناشير في دين الله فلم يرجعوا عنه^{٥٦٠}.

وروى البخاري عن خباب بن الأرت: قالوا شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا له: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: ((قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون))^{٥٦١}.

قال ابن حجر: (...البلاء في مقابلة النعمة فمن كانت نعمة الله عليه أكثر كان بلاؤه أشد ومن ثم ضعف حد الحر على العبد وقيل لأمهات المؤمنين: ﴿مَنْ

يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَعَّفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ^{٥٦٢}

[الأحزاب: ٣٠]

^{٥٥٩} أخرجه ابن ماجه ١٣٣٤/٢ ، باب : الصبر على البلاء ، رقم ٤٠٢٦ والحاكم في المستدرک ٩٩/١ .

^{٥٦٠} تفسير القرطبي ٣٢٤/١٣ .

^{٥٦١} أخرج البخاري في كتاب : المناقب ، باب : علامات النبوة في الإسلام ١٣٢٢/٣ ، وكتاب : فضائل الصحابة ، باب : ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ١٣٩٨/٣ ، ٢٥٤٦/٦ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٤٥٠/٣ ، ٥/٩ ، وفي شعب الإيمان ٢٤٠/٢ وابن حبان ١٥٦/٧ ، ٩٢/١٥ ، والحميدي ٨٥/١ ، والطبراني في المعجم الكبير ٦٥،٦٣/٤ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١٤٤/١ .

قال ابن الجوزي : في الحديث دلالة على أن القوي يحمل ما حمل والضعيف يرفق به إلا أنه كلما قويت المعرفة بالمبتلي هان عليه البلاء ومنهم من ينظر إلى أجر البلاء فيهبون عليه البلاء وأعلى من ذلك درجة من يرى أن هذا تصرف المالك في ملكة فيسلم ولا يعترض وأرفع منه من شغلته المحبة عن طلب رفع البلاء وأنهى المراتب من يتلذذ به لأنه عن اختياره نشأ. والله أعلم^{٥٦٢}.

وفي قوله تعالى : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ

لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢]

قال ابن كثير : استفهام إنكار ومعناه أن الله - سبحانه وتعالى - لا بد أن يتلبي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان كما جاء في الحديث الصحيح أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء ، وهذه الآية كقوله : أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ومثلها في سورة براءة وقال في البقرة قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤] ^{٥٦٣}.

^{٥٦٢} فتح الباري ١٠/١١٢

^{٥٦٣} تفسير ابن كثير ٣/٤٠٥

المبحث الثالث : موقف المكذبين والمعاندين من هذه الآيات.

وفيه المطالب التالية:

المطلب الأول :

موقف قوم نوح - عليه الصلاة والسلام - حين صنعه للسفينة.

بذل نوح - عليه السلام - غاية جهده في دعوة قومه للإيمان بالله سبحانه ، وطالت دعوته وهو ينصح لهم ، وقد دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت: ١٤] وهم لا يزدادون إلا إعراضاً وبعداً عن اتباع نوح - عليه السلام - وتبرموا من دعوته ، وطلبوا من نوح - عليه السلام - أن يأتيهم بما توعدهم به قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [هود: ٣٢] وهذا من سفاهة عقولهم وشدة إعراضهم فرد عليهم نوح - عليه السلام - قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [هود: ٣٣-٣٤] فلما يئس من دعوتهم وعدم استجابتهم أوحى الله تعالى له بأنه لن يؤمن لك بعد ذلك إلا من معك من المؤمنين قال تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [هود: ٣٦] فلما علم منهم عدم الإيمان ، وأن الكافر منهم يبقى على كفره ، توجه إلى الله - سبحانه - بالدعاء مبديا عذره عليه السلام في دعوته ،

وأنه بذل الغاية في ذلك قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا
وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ
لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ
وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ
إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾ [نوح: ٥-٩] ومع هذا النصح
المستمر والدعوة ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، لم يكن منهم إلا العصيان والكفر ، قلل
تعالى : ﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ
وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿١١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿١٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ
آءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿١٤﴾ ﴾ [نوح: ٢١-٢٤] ثم
بعد ذلك دعا عليهم بالهلاك قال تعالى : ﴿ وَقَالَ نُوحُ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى
الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿١٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا
يَلِدُوا إِلَّا فٰجِرًا كَفَّارًا ﴿١٧﴾ ﴾ [نوح: ٢٦-٢٧] فأمره الله - سبحانه وتعالى -
بصنع السفينة التي فيها نجاته هو ومن معه من المؤمنين ، وهلاك كل من هو خارج
عنها قال تعالى : ﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلَکَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي
الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرَقُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [هود: ٣٧] فبين الله - عز وجل - أن
نهاية هؤلاء القوم المعاندين هو الغرق ، ونهى نوحا - عليه السلام - في التشفع لهم ،
لما يعلم الله - سبحانه - من شفقة نوح على قومه ، رغم ما لقيه منهم من شتى
أنواع الأذى من التكذيب ، والتهديد والوعيد .

وبدأ نوح - عليه السلام - في صنع السفينة ، سفينة النجاة ، نجاة من ركب فيها ، وهلاك كل من هو خارج عنها من جميع المخلوقات ، وأخذ القوم يسخرون من نوح - عليه السلام - لأنه كان يصنعها ولا ماء حولها ، ذكر ابن جرير في تاريخه أنهم يمرون فيسألونه ، فيقول : أعملها سفينة ، فيسخرون منه ، ويقولون : تعمل سفينة في البر ؟ وكيف تجري ؟^{٥٦٤} . قال تعالى : ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلَّكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [هود: ٣٨-٣٩] ولعل أشد ما أثار سخريتهم من نوح - عليه السلام - أن علموا أنه يعمل تلك السفينة لينجو بها ، ومن معه من العذاب النازل بهم ، استبعادا لوقوعه ، فكان هو أيضا يسخر منهم ومن سفاهة عقولهم ، ويتهددهم بالعذاب النازل لا محالة . وجاءت الساعة المنتظرة ، وقت حلول العذاب استجابة لنوح - عليه السلام - حيث طلب النصر من عنده سبحانه قال تعالى : ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرٌ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَحٍ وَدُسِّرِ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرًا ﴿١٤﴾ ﴾ [القمر: ١٠-١٤] فكانت الغلبة والنصر في النهاية لنوح - عليه السلام - بعد أن دعاهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، وقاوموا دعوته طوال هذه المدة ، وكان الهلاك لهم في الدنيا ، والعذاب المقيم يوم القيامة .

^{٥٦٤} تاريخ الطبري ١/ ١٨٠

المطلب الثاني :

موقف قوم صالح من الناقصة.

دعوة صالح - عليه السلام - دعوة جميع الأنبياء والرسل ، الدعوة إلى توحيد الله تعالى ، ونبذ كل ما يعبد من دونه قال تعالى : ﴿ وَاللّٰى ثَمُوْدَ أَخَاهُمْ صٰلِحًا قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ اَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْاَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيْهَا فَاسْتَغْفِرُوْهُ ثُمَّ تَوْبُوْا اِلَيْهِ اِنَّ رَبِّيْ قَرِيْبٌ مُّجِيْبٌ ﴿٧٦﴾ [هود: ٦١]

ولكن قبيلة ثمود قابلت هذه الدعوة بالإعراض عنها ، ومحاربة صالح - عليه السلام - وأصروا على الكفر والإستكبار ، وصالح - عليه السلام - يطلب من قومه ألا يتبعوا المستكبرين منهم ، فلم يؤمن بصالح إلا المستضعفين من القوم قال تعالى :

﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا مِنْ قَوْمِهٖ لِلَّذِيْنَ اسْتَضَعُّوْا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ اَتَعْلَمُوْنَ اَنْ صٰلِحًا مَّرْسَلٌ مِّنْ رَبِّهٖ ؕ قَالُوْا اِنَّا بِمَا اُرْسِلَ بِهٖ مُّؤْمِنُوْنَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا اِنَّا بِاللَّذِيْ ءَامَنْتُمْ بِهٖ كٰفِرُوْنَ ﴿٧٦﴾ [الأعراف: ٧٥-٧٦]

فأتباع الرسل في الغالب هم الضعفاء ، وأعداء الأنبياء والرسل دائما هم أصحاب الرياسة والشرف ، فتمسكهم بالمعاداة مهما يحصل لهم من القناعة خوف ذهاب الرياسة من أيديهم ، فتقع عليهم الحجة بعد الحجة ، وهم باقون في عنادهم وكفرهم قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُوْدُ فَهَدَيْنٰهُمْ فَاَسْتَحَبُّوْا الْعَمٰى عَلَى الْهُدٰى فَاَخَذْتَهُمْ صٰعِقَةً اَلْعَذٰبِ الْهُونِ بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ ﴿٧٤﴾ [فصلت: ١٧] .

لم يأس صالح - عليه الصلاة والسلام - من دعوتهم وتذكيرهم بنعم الله عليهم ،
 وأنه لا يتغي من إيمانهم أجرا ، إنما أجره على رب العالمين قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ
 ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١٢﴾
 إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
 عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٤١-١٤٥]
 وأخذ صالح - عليه الصلاة والسلام - يذكرهم في النعم المتعددة التي يعيشون فيها ،
 من عيون وزروع ، وقصور ينحتونها في الجبال ، ويأمرهم بتقوى الله وأن يطيعوه ،
 قال تعالى : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَلَهْنَا ءَامِنِينَ ﴿١١٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ
 ﴿١١٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعُهَا هَٰضِمٌ ﴿١١٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ
 بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١١٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٠﴾ ﴾ [الشعراء: ١٤٦-١٥٠] ولا
 يطيعوا المفسدين في الأرض ، الذين يصدون عن سبيل الله ، ولكن الإجابة المتكررة
 من الأمم المكذبة للرسول ، تتكرر من قوم ثمود قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ
 الْمُسْرِفِينَ ﴿١٢١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٢٢﴾
 قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٢٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ
 بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٥١-١٥٤] وفي طلبهم آية تدل
 على صدق صالح ، راود صالح - عليه السلام - أمل كبير في إيمانهم ، فأخذ منهم
 العهود والمواثيق أن يؤمنوا به إذا جاء لهم بآية قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ
 صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ
 جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوهَا

تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

﴿ [الأعراف: ٧٣] ﴾

فقوم ثمود طلبوا من صالح - عليه السلام - معجزة مادية محسوسة مشاهدة ، فأخرج لهم هذه الناقة تدل على صدقه ، ولكن لم يؤمن منهم إلا القليل ، والكثير منهم أعرض واستكبر ، وكان الأجدر بهم أن يؤمنوا ، ولا يتخلفوا عن اتباع صالح - عليه السلام - خصوصا من طلبها منهم من الأشراف أهل السيادة فيهم .
والمصيبة والفتنة والبلاء الذي وقع عليهم أن صالح - عليه السلام - جعل سلامتهم ، مرهونة بسلامة الناقة ، فمتى تعرضت لسوء ، أصابهم العذاب قال تعالى : ﴿ إِنَّ

مُرْسَلُوا النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ فَأَرْتَقِبَهُمْ وَأَصْطَبِرُ ﴾ [القم: ٢٧]

ولكن قوم ثمود فشلوا في هذا الاختبار والبلاء ، لأن طلبهم لهذه الآية ليس طلب هداية واسترشاد ، بل طلب تعنت واستكبار ، لأجل هذا لم يؤمنوا ، واستمروا على كفرهم وعنادهم ، بل تأمروا على قتل ناقة صالح - عليه الصلاة والسلام - قال تعالى ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدُّ غَيْرُ مَكْدُوبٍ ﴾ [١٥] فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ [١٦] وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿ ١٧ ﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ إِنَّا تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا

لِّثَمُودَ ﴿ [هود: ٦٥-٦٨] ﴾

وقال تعالى : ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ

أَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٧]

أسند العقر إلى جميعهم ، لأنه كان برضاهم ، وإن لم يباشره إلا بعضهم ، ولم يكن قتلهم للناقة ، إلا تحدياً لصالح - عليه السلام - وتكديماً له أن يصيبهم شيء من قتلهم لها ، فقالوا: ﴿ أَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ وطلبهم للعذاب ، لأنهم كانوا يظنون أنه لن يحصل أبداً ، لاعتقادهم أن صالحاً غير صادق في ادعائه النبوة .

فأنذرهم صالح - عليه السلام - بأن العذاب يحل بهم بعد ثلاثة أيام . وفي فترة الإنذار بالأيام الثلاثة لوقوع العذاب ، تأمر تسعة منهم على قتل صالح وأهله غدرا قال تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِيَّاتِ فِي ذَلِكَ لَأَيَّةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ [النمل: ٤٨-٥٢]

قال ابن جرير : وكان في مدينة صالح وهي حجر ثمود تسعة أنفس يفسدون في الأرض ولا يصلحون وكان إفسادهم في الأرض كفرهم بالله ومعصيتهم إياه وإنما خص الله جل ثناؤه هؤلاء التسعة الرهط بالخبر عنهم أنهم كانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون وإن كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين ، لأن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا فيما بلغنا في عقر الناقة وتعاونوا عليه وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود . فعن مجاهد تسعة رهط قال من قوم صالح .

وعن ابن عباس : هم الذين عقروا الناقة وقالوا حين عقروها نبيت صالحا وأهله فنقتلهم ، ثم نقول لأولياء صالح ما شهدنا من هذا شيئا ، ومالنا به علم ، فدمرهم الله أجمعين.

وقوله سبحانه : ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾

قال هؤلاء التسعة الرهط الذين يفسدون في أرض حجر ثمود ولا يصلحون ، تقاسموا بالله تحالفوا بالله أيها القوم ليحلف بعضهم لبعض لنبيتين صالحا وأهله فلنقتلنهم ، ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله.

عن مجاهد : ﴿ تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ ﴾ قال تحالفوا على إهلاكه فلم يصلوا إليه حتى

هلكوا وقومهم أجمعون.^{٥٦٠} قال تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي

دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ

رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٧٩﴾

﴿ [الأعراف: ٧٨-٧٩] ﴾

^{٥٦٠} انظر تفسير الطبري ١٧٢/١٩

المطلب الثالث : وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : في موقف فرعون وقومه من الآيات التي بعث بها

موسى - عليه الصلاة والسلام - .

أولاً : أيد الله - سبحانه وتعالى - موسى - عليه الصلاة والسلام - بآيات كثيرة كما سبق ذكره ، ومن هذه الآيات قلب العصا حية عظيمة ، وإخراج يده بيضاء من غير سوء ، وهاتان الآيتان هما اللتان بعث بهما موسى - عليه الصلاة والسلام - إلى فرعون وقومه ، لأنهم كانوا يؤمنون بالسحر ، ويعملون به مع الخدق والتمرس ، والتمكن فيه للغاية .

فعندما شاهد المملأ من قوم فرعون ما جاء به موسى - عليه الصلاة والسلام - من الآيات العظيمة ، زعموا أن موسى - عليه الصلاة والسلام - قد بلغ النهاية في علم السحر ، ووصفوه بما قصه الله عنهم في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٩] وقد جاء بهذا السحر رغبة في الملك والرياسة .

وقولهم ﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ أي: ماهر متمرس في هذه الصنعة ، لا يبطل سحره إلا من هو أقوى منه ، فكان ذلك منهم توطئة لجمع أقوى السحرة من جهات مختلفة من نواحي مصر ، ليحصل لهم الغلبة على موسى - عليه الصلاة والسلام - وإذا ضعف أحدهم عن مقارعة موسى - عليه الصلاة والسلام - تقوى بالآخرين ، فبالجمع تحصل قوة الدفع .

بعد أن جمع فرعون السحرة من جميع المدائن ، قالوا له كلام الواثق المعتد بنفسه كما قال تعالى : ﴿ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ

كُنَّا نَحْنُ الْعَٰلِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٣] مدلين بما عندهم ، واثقين بغلبتهم ،

وكانوا يثقون بأنفسهم ثقة لا يحدها حد ، والدوافع لهذه الثقة المفرطة عدة أمور :

- ١- أنهم كانوا من أمهر السحرة الذين بلغوا النهاية في علم السحر .
- ٢- أنهم كانوا كثرة ، والنفس بطبعها تستأنس عند حصول الكثرة ، وفي نفس الوقت كانوا يواجهون شخصا واحدا ، ليس مشهورا أو معروفا بالسحر.
- ٣- أنهم كانوا يظنون أن ما قام به موسى سحر .^{٥٦٦}
وقد دفعتهم ثقتهم ويقينهم الكامل بتفوقهم أن ساوموا فرعون على تعيين مكافأة وأجر إذا انتصروا على موسى ﴿ قَالُوا إِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِن كُنَّا نَحْنُ الْعَٰلِيْنَ ﴾ [الأعراف: ١١٣] والتكثير في قوله: ﴿ لَأَجْرًا ﴾ للتعظيم ، فأجابهم فرعون إجابة المشوق لمعرفة النتيجة المتعجل وقوعها كما قال تعالى : ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٤].
- طلب فرعون من موسى - عليه الصلاة والسلام - موعدا يجتمع فيه مع سحرته قال تعالى : ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴾
فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ الْنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ [طه: ٥٧-٥٩] وطلب فرعون هذا ، طلب الواثق من انتصاره هو وسحرته على موسى - عليه الصلاة والسلام - وسبب هذه الثقة العمياء عدة أمور:

 - ١- غرور فرعون وتعالیه حيث لم يذق طعم هزيمة قط.
 - ٢- أن هؤلاء السحرة أمهر السحرة في البلاد مع الحذق والتمرس في هذا الشأن.
 - ٣- اعتقاده بأن ما جاء به موسى - عليه الصلاة والسلام - من جنس السحر فلا يغلب إلا بمثله.

^{٥٦٦} انظر الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف ص ٣٧٣

٤- أن موسى - عليه الصلاة والسلام - لوحده لا يملك إلا عصاه ، والسحرة جمع كبير ، فمحال في ظنه أن يغلبهم.

وكان قصد فرعون من هذا الاجتماع على الملأ من الناس حتى تبقى هيئته وجبروته على أهل مصر حيث إنه في زعمهم رب لهم فكيف يتجرأ رجل من الرعية على مخالفته ، بل تحديه.

وموسى - عليه الصلاة والسلام - كان قصده من هذا الاجتماع أن تبلغ دعوته جميع أهل مصر فإذا شاهدوا انتصار موسى - عليه الصلاة والسلام - صدقوه واتبعوه ، وظهر بطلان ادعاء فرعون للربوبية ، وسقطت هيئته من نفوسهم ، فاختلر زمانا ومكانا يجتمع فيه الجمل الكثير من الناس وهو يوم عيدهم ، وهو يوم اجتماعهم فهو معلوم للجميع فالزمان والمكان معلوم قال تعالى : ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ

الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُحَىٰ ﴾ [طه: ٥٩]

فلو وضعنا مقارنة فيما يدعو إليه موسى - عليه الصلاة والسلام - ومراد فرعون لظهر لنا:

١- أن موسى - عليه الصلاة والسلام - يدعو إلى وحدانية الله تعالى قال تعالى :

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَىٰ ﴾ [٥١] قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ

شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٢﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥٣﴾

قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٤﴾

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٥﴾ [طه: ٤٩-

٥٣] وفرعون - لعنه الله - يدعي الربوبية قال تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا

الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَٰلَهْمَنُ عَلِي

الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ
مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ

الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ [القصص: ٣٨-٣٩]

٢- أن موسى - عليه الصلاة والسلام - كان متيقنا بالنصر لأن اعتماده على الله ، وفرعون كان يظن أن الغلبة له لأن السحرة في جانبه.

٣- استخف فرعون بالناس واستعبدهم ، وجاء موسى - عليه الصلاة والسلام - يحررهم من هذا الرق ومن هذه العبودية.

وعند المواجهة قالوا كما قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ

نَكُونَ نَحْنُ الْمَلُوقِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٥] ويلاحظ على السحرة أنهم

تكلموا بكلام الواثق من نفسه ، المتيقن من النصر ، أي على أي حال كان اللقاء منك أولا أو منا فالغلبة لنا .

قال تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ

وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءَ وَبِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف: ١١٦] جاءوا بسحر

أثروا على حاسة الإبصار عند جميع الحاضرين ، حتى موسى - عليه الصلاة والسلام

- وقع عليه هذا التأثير قال تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبالُهُمْ

وَعَصِيْبُهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾ [طه: ٦٦] ،

ويكفي أن نقول إن الله - عز وجل - وصفه بأنه عظيم ، ولكن جاء الوحي والنصر

الرباني الذي لا غالب له قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ

عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ [يونس: ٦٤] فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [يونس: ٦٤] فَعَلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴾ [يونس: ٦٤] وَأَلْقَى

السَّحْرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٢﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى
وَهَارُونَ ﴿١٢٣﴾ [الأعراف: ١١٧-١٢٢]

وآمن السحرة - وهم أهل صنعة محترفين فيها - لأنهم علموا بأن هذا ليس من
السحر في شيء ، بل هو أمر فوق قدرة البشر .

ولكن ما موقف ملأ فرعون من موسى وقومه ؟ قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ
قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ
وَأَهْلِكَ قَالَ سُنُقِتِلْ أبنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ

قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ [الأعراف: ١٢٧]

والملأ: هؤلاء هم أتباع أهل النفوذ والسلطة المتجبرة المتسلطة على شعوبها في الغالب
الذين يأمرون ويشيرون على صاحب السلطة بما يجب ويوافق هواه ، ولو كان هذا
على حريات الناس وكراماتهم ، بل ولو كان على أرواحهم ، وهؤلاء على مر
التاريخ كانوا ولا يزالون هم أصحاب المشورة والوجاهة والرياسة ، المقربين الذين
لهم كل ما يريدون . سلط الله عليهم ما يستحقون .

فهم استثاروا فرعون بأسلوب التحفيز للانتقام والاستئصال لبني إسرائيل ، وبينوا
لفرعون بأن ما يقوم به موسى - عليه الصلاة والسلام - وقومه من الإيمان بالله
وتوحيده سبحانه من الفساد في الأرض ، فجعلوا الحق باطلا ، والباطل حقا ،
والسبب في قولهم بالفساد - والله أعلم - أمور :

١ - انقلاب القوى الاجتماعية حيث يصبح بنو إسرائيل وهم أهل الذل والهوان
سادة بعد أن كانوا خدما بالسحرة .

٢ - أن أهل الإيمان كثروا - وهم أتباع موسى - عليه الصلاة والسلام - بل إن
البعض من أهل مصر الأصليين دخلوا في دين بني إسرائيل قال تعالى :

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ

رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ
وَأَنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ
بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ
﴿٢٨﴾ يَقَوْمٍ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ
يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا
أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ
يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ
ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾
يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضَلِلْ
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ
قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ
هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ
بِعَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

[غافر: ٢٨-٣٥] وهذا يعتبر من الفساد في الأرض عند أهل المصالح الزائفة.

٣- أن فرعون بعد أن كان هو المتبوع في كل شيء ، حتى العبادة ، سيصبح تابعا قال تعالى : ﴿ وَيَذَرِكْ وَعَالِهَتِكَ ﴾ وهذا أيضا فيه ضياع كثير من مصالحتهم.

وكان جواب هذا المغرور الأعمى عن كل خير ، المتكبر بجاه الملك والسلطان لهم بأن قال ﴿ قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] وهذا فعل أهل البطش والجبروت والظلم عند العجز ، فهم يستعملون سلاح القهر ﴿ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ وهذا فيه فناء لبني إسرائيل ، حتى لا تقوم لهم قوة أبدا.

﴿ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ في الخدمة والمهانة والذل ، حتى يكون لهم الصغار أبدا.

وفرعون - لعنه الله - استعمل حوار البطش والقتل ، وإظهار القوة لغية للتفاهم والحوار ، وهذا أسلوب الظلمة الجبارين على مر العصور ، حتى تبقى مصالحتهم الرخيصة التافهة ، من الملك والسلطة الزائفة ، والشهوات الزائلة ، ولو كان هذا على مدخرات الشعوب ، وأرواحهم.

ثانيا: بعد أن بينا التحدي الذي كان بين موسى - عليه الصلاة والسلام - وبين فرعون وسحرته وأن موسى جاء من الآيات بالعصا ، ومع هذه الآية العظيمة وإيمان السحرة بقي فرعون وملئه على كفرهم وعنادهم ، فاتاه الله آيات أخر لعلمهم يؤمنون ويتذكرون ويرجعون إلى ربهم قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ

بِالسِّنِينَ وَنَقَّصِ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٠] وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسَأَلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى

مَسْحُورًا ﴿١١٠﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبَّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ بَصَائِرٍ وَإِنِّي لِأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١١١﴾ ﴿

[الإسراء: ١٠١-١٠٢] ولكن كان حالهم حال المعاندين في الأمم قبلهم ازدادوا كفرا على
كفرهم ، وعنادا على عنادهم قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا

لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيِّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا
طَّيَّرُوهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١٢﴾ [الأعراف: ١٣١]

فإذا نزلت عليهم النوازل من السماء بسبب كفرهم وعنادهم وتمردهم على الله -
سبحانه وتعالى - تطيروا من موسى - عليه الصلاة والسلام - ومن معه من المؤمنين
ونسبوا هذا البلاء الذي وقع عليهم بسببهم ، وتناسوا المسبب الحقيقي كفرا وعنادا ،
ومع هذه الشدائد التي وقعت عليهم ، ازدادوا قسوة وعنادا ، وكان الأجدر بهم أن
يؤمنوا بالله - سبحانه - ولكن قالوا كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ

مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ ﴿

[الأعراف: ١٣٢] فهم أعلنوا لموسى - عليه الصلاة والسلام - صراحة أنك مهما جئت
به من الآيات فلن نؤمن لك ، ولن نتبعك ، وهذا غاية العناد والكبر.

ومع هذا فإن الله حلیم بعباده ، رحيم بهم يمهل ولا يهمل فسلط عليهم أنواعا من
عذاب الدنيا لعلهم يرجعوا ، لعلهم يذكروا قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ

الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ

فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١١٤﴾ [الأعراف: ١٣٣] ولكن كما

أخبر الله - عز وجل - عنهم ﴿ فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ

﴿ يستحقون ما جاءهم من العقوبة في الدنيا ، وعذاب الآخرة أشد وأبقى. ﴿١١٤﴾

فلما اشتد عليهم العذاب من هذه البلايا الدنيوية حتى نغصت عليهم حياتهم وأصبحوا لا يطيقون العيش ، سألوا موسى - عليه الصلاة والسلام - أن يدعو الله أن يرفع عنهم العذاب قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴾ ﴿١٦٦﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٦٧﴾ [الزخرف: ٤٩-٥٠] وقال سبحانه : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهَدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ﴿١٧٢﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٧٥﴾ [الأعراف: ١٣٤-١٣٥] والرجز كما ورد عن ابن عباس هو الطاعون ^{٥٦٧} ، فهم عاهدوا موسى - عليه الصلاة والسلام - إذا رفع عنهم العذاب أن يؤمنوا به ، ويرسلوا معه بني إسرائيل ، وطلبهم من موسى - عليه الصلاة والسلام - أن يرفع عنهم العذاب ، لأنهم علموا بأنه لا قدرة لأحد أن يرفع عنهم العذاب إلا موسى - عليه الصلاة والسلام - ومع هذا نكثوا ما عاهدوا عليه نبيهم عليه الصلاة والسلام ، فلما يأس موسى - عليه الصلاة والسلام - من إيمانهم دعا عليهم قال تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ﴿١٨٨﴾ [يونس: ٨٨] وكانت الإجابة الربانية لموسى - عليه الصلاة والسلام - قال تعالى :

^{٥٦٧} انظر تفسير ابن كثير ١ / ٩٨

﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ [الأعراف: ١٣٦] .

المسألة الثانية : في موقف بني إسرائيل من الآيات التي أيد الله سبحانه بها موسى - عليه الصلاة والسلام - .

أولاً: قال تعالى : ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَخْبَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٤١]

ذكر الله - عز وجل - في هذه الآيات نعمة عظيمة من النعم التي من بها على بني إسرائيل وهي انفلاق البحر لبني إسرائيل ، ونجاتهم من فرعون وملئه ، وإغراق الله تعالى له ، وهم يشاهدون ذلك بأعينهم حتى تطمئن قلوبهم ، وسيرهم بين الأمواج العالية العظيمة ، والأرض يابسة ، كرامة من الله لهم ، ولكن بعد أن جاوزوا البحر وشاهدوا هذه المعجزة العظيمة الباهرة ، مروا على قوم يعبدون الأصنام ﴿ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ ﴾ فسألوا نبيهم موسى - عليه الصلاة والسلام - سؤالا يتعجب منه كل من يسمع بهذه القصة ﴿ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ فهم قابلوا نعم الله المتابعة عليهم ، بالجحود والكفران ، بدل الحمد والشكر ، والثناء على الخالق سبحانه ، وهذه الآيات تبين لنا مدى المخالفات المستمرة في بني إسرائيل لأنبيائهم ، وكأنه

شيء جبلت عليه قلوبهم ، وطلبهم من نبيهم موسى - عليه الصلاة والسلام - أن يجعل لهم صنما يعبدونه أوضح برهان على هذا ، كما أنه يبين لنا رخص هذه القلوب ، وتسفلها وانحطاطها ، فبدل التعبد لله والانكسار بين يديه سبحانه ، يريدون التعبد لحجر لا ينفع ولا يضر ، وتبين لنا أن هذه القلوب قد جبلت على الدنو ، فلم يكتفوا من تجهيل نبيهم لهم ، وبطلان ما يقوم به هؤلاء القوم ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [١٢٨] إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرُّوْنَ مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [١٢٩] وحبهم لعبادة الأوثان ، لأنهم بعد هذه الحادثة وقعوا في فتنة الشرك بمحض إرادتهم حينما عبدوا العجل قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [١٢] وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿ [البقرة: ٩٢-٩٣] فغن قتادة في تفسير هذه الآية قال : أشربوا حبه حتى خلص ذلك إلى قلوبهم^{٥٦٨} ، وفي فتح الباري : (قوله : أشربوا : ثوب مشرب مصبوغ ، يشير إلى أنه ليس من الشرب ، وقال أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ أي سقوه حتى غلب عليهم وهو من مجاز الحذف أي أشربوا في قلوبهم حب العجل)^{٥٦٩} . امتزج حب العجل في قلوبهم كما يمتزج الماء باللبن.

^{٥٦٨} انظر الدر المنثور ١/١٧٢

^{٥٦٩} انظر فتح الباري ٦/٤٣٢

وقال تعالى : ﴿ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَازًا جَسَدًا
لَهُمْ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا
أَتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨]

فبنو إسرائيل كأنهم تعودوا المهانة واتباع الغير ، لأن عبادة الهياكل والحيوانات
والآلهة المتعددة كانت دين المصريين _ كما تدل عليه آثارهم _ فأنحرفوا عن الدين
الصحيح واتبعوا المصريين في دينهم.

ثانيا : المجادلة بالباطل ، والتمرد المستمر لأوامر الله - عز وجل - والهروب والتملص
عن تنفيذها من السمات المميزة لهذا النوع من البشر ، ويتجلى ذلك في قصة ميت
بني إسرائيل عندما أمرهم نبيهم بذبح بقرة ، حاولوا بشتى الطرق عدم تنفيذ هذا
الأمر ، حتى إذ ضيق الله - سبحانه - عليهم قالوا كما قال تعالى : ﴿.....

قَالُوا أَلَّيْنِ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: ٧١]

[البقرة: ٧١] وكأنهم يتهمون موسى - عليه السلام - بأنه قبل لم يأثم بحق ، وهذا من
سفاهة عقولهم ، وعدم معرفتهم وتقديرهم لقدرة نبيهم عليه الصلاة والسلام ،
وجهلهم بمقام النبوة ، فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - منزهون عن الهزء
والعبث ، وهم معصومون عن ذلك ، فأحياء الميت لم يكن مجرد أن يتعرفوا على قاتله
، بل لأمر أبلغ من هذا الأمر بكثير ، ألا وهو أمر البعث والنشور ، وقدرة الله على
إحياء الموتى ، وأن بيده سبحانه وتعالى مقاليد الأمور كلها ، فكأن هؤلاء القوم لم
تقر عندهم هذه القضية بعد بجميع أبعادها ، قال تعالى : ﴿ فقلنا أضربوه
ببعضها كذالك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم

تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٣] ولعل الذي يجعلني أقول بهذا عدة أمور :

١ - أن بني إسرائيل عندما تتمعن في سؤالاتهم تجدها تمس ذات الله سبحانه فعندما
طلبوا من موسى - عليه السلام - عندما مروا على القوم الذين يعبدون

الأصنام أن يجعل لهم إله كما لهم آلهة ﴿ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ يتبين لنا أنهم لم يعرفوا الله - عز وجل - المعرفة الحقيقية التي ينبغي أن تكون له سبحانه ، ولهذا قال لهم موسى - عليه الصلاة والسلام - ﴿ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني الجهل.

٢- طلبهم لرؤية الله - عز وجل - قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦] فطلبهم هذا دليل على أنهم لم يعرفوا الله - عز وجل - المعرفة الحقيقية له سبحانه.

٣- استهزاءهم بكلام الله سبحانه ، وتحريفهم الكلم عن مواضعه قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ [البقرة: ٥٨-٥٩] فبدل شكر الله سبحانه وتعالى على نعمه المتابعة عليهم قابلوها بالإستهزاء ، فالله سبحانه يقول لهم ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ ﴾ أي حط عنا ذنوبنا وأوزارنا ، واغفر لنا قالوا : حبة في شعيرة ، فعن أبي هريرة - رضي

الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : ((قيل لبني إسرائيل : ﴿ ادْخُلُوا
 الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ ﴾ فبدلوا ،
 فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا : حبة في شعرة))^{٥٧٠} فبدل الخنوع
 والخضوع لله ، وإظهار الافتقار له سبحانه ، حيث وعدهم إن قالوا ذلك :
 يغفر لهم خطاياهم ، ويزيد المحسنين منهم على إحسانهم ، قابلوا هذا بالكفر
 قولاً وعملاً .

ولا نعتقد أن هذه الأقوال والأفعال تصدر من عارف لله سبحانه وتعالى .

٤- عبادتهم للعجل قال تعالى : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾

﴿ ٨٦ ﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ عَلَيَّ أَتْرَىٰ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ

﴿ ٨٧ ﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ

﴿ ٨٨ ﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ

يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ

أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿ ٨٩ ﴾

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ

زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿ ٩٠ ﴾

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ

وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿ ٩١ ﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا

^{٥٧٠} أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ، باب : وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية ... ١٦٢٧/٤

وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨١﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ
 مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ
 فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٨٢﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ
 حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٨٣﴾ ﴿طه: ٨٣-٩١﴾ فأول غياب لموسى -

عليه الصلاة والسلام - عنهم للقاء الله - عز وجل - انتهزوها فرصة لما
 تحب قلوبهم من عبادة الهياكل والحيوانات ، فصنع لهم السامري من حليهم
 عجلا يتخذونه إلها يعبدونه من دون الله ، فمع كل هذه النعم التي أنعم الله
 بها على هؤلاء القوم ، والآيات العظيمة التي يرونها ، وقعوا في أعظم الكفر ،
 وهذا غاية الجهل بالله - سبحانه - .

فمجادلتهم لموسى - عليه السلام - بالباطل وتملصهم من تنفيذ أوامر الله -
 عز وجل - عنادا وكفرا ، صدر من قلوب جبلت على مثل هذا قال تعالى :
 ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ
 قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا
 يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ
 وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: ٧٤].

ثالثا : من النعم التي من الله - سبحانه - بها على بني إسرائيل نعمة المن ،
والسلوى.

قال تعالى : ﴿..... وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوىَ كُلُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

﴿ [البقرة: ٥٧] ﴾

- وقد سبق ذكر أقوال المفسرين في معنى المن ، والسلوى بما يغني عن ذكره في هذا
الموضع - فهذا طعام يأتيهم من دون مؤنة ولا مشقة من عند الله - سبحانه -
ونهاهم نبيهم موسى - عليه الصلاة والسلام - عن الادخار منه ، ولهم أن يأخذوا
منه ما يكفيهم ليومهم فقط ، ولكنهم قوم جبلوا على التسفل والدون ، ولم يعرفوا
ربهم سبحانه وتعالى حق المعرفة ، فلم يثقوا بالله سبحانه ، وبما وعدهم نبيهم ، بل
اعتمدوا على ثقتهم بأنفسهم ، تلك الثقة الهزيلة المنهزمة ، فخالقوا أمر موسى -
عليه الصلاة والسلام - فادخروا ، وبسبب ادخارهم ، وقع البلاء على الناس من
ذلك الوقت بتعفن الطعام ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال النبي ﷺ :
((لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر ^{٥٧١}

٥٧٢ ((

^{٥٧١} قال ابن حجر في فتح الباري ٦/٣٦٧، ٣٦٨ : (قوله : ((ولولا حواء)) أي امرأة آدم ، وهي بالمد ،
قيل : سميت بذلك لأنها أم كل حي وقوله : ((لم تخن أنثى زوجها)) فيه إشارة إلى ما وقع من
حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك ، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى
زينته لآدم ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع العرق فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها
بالفعل أو بالقول وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من
أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن
بحسبها وقريب من هذا حديث جحد آدم ، فجددت ذريته .

وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسايتهم بما وقع من أمهن الكبرى وأن ذلك من طبعهن
فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه ، أو على سبيل الندور ، وينبغي لمن لا يتمكن بهذا
في الاسترسال في هذا النوع ، بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن والله المستعان.

قال ابن حجر : ((لم يخنز اللحم)) يخنز بفتح أوله وسكون الخاء وكسر النون وبفتحتها أيضا بعدها زاي ، أي : ينتن ، والخنز : التغير والتنن ، قيل : أصله أن بني إسرائيل ادخروا لحم السلوى ، وكانوا فهو عن ذلك ، فعوقبوا بذلك ، حكاه القرطبي ، وذكره غيره عن قتادة. وقال بعضهم : معناه : لولا أن بني إسرائيل سنوا ادخار اللحم حتى أنتن لما ادخر ، فلم ينتن ، وروى أبو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه قال في بعض الكتب : لولا أني كتبت الفساد على الطعام ، لخزنته الأغنياء عن الفقراء).^{٥٧٣}

رابعاً : قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنِكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٩٣] وهذا الميثاق الذي أخذه الله - عز وجل - من بني إسرائيل ، قد بينه سبحانه وتعالى في سورة البقرة قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣] فهم من شدة عنادهم وعصيانهم لأوامر الله - عز وجل - لم يأخذوا بهذا الميثاق إلا بالتهديد ، ورفع الجبل فوقهم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ

^{٥٧٢} أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : { وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ...

الآية { ١٢٤٥/٣ ، وابن حبان في صحيحه ٤٧٧/٩ ، والحاكم في المستدرک ١٩٤/٤

^{٥٧٣} فتح الباري ٣٦٨/٦

نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ [الأعراف: ١٧١] ومع رؤيتهم لهذه المعجزة العظيمة - التي سبق ذكرها - لم يقولوا سمعنا وأطعنا ، بل قالوا : ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ وهذه الآية تبين لنا مدى نفور هؤلاء القوم ، وليت من في زمننا هذا يعون مثل هذه الدروس ليقطعوا كل رجاء من أحفاد القردة والخنازير. والله أعلم.

المطلب الرابع : موقف اليهود من الآيات التي بعث بها عيسى - عليه الصلاة والسلام - .

أولاً: اختلاف أهل الكتاب في عيسى - عليه الصلاة والسلام - .

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٨﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٤٠﴾ [مر: ٣٤-٣٧]

قال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ فإنه يعني الذي فيه يختصمون ويختلفون من قولهم : ماريت فلانا إذا جادلته وخاصمته. عن قتادة : امرت فيه اليهود والنصارى ، فأما اليهود ، فزعموا أنه ساحر كذاب وأما النصارى ، فزعموا أنه ابن الله ، وثالث ثلاثة ، وإله ، وكذبوا كلهم ، ولكنه عبد الله ورسوله وكلمته وروحه.

عن ابن جريج في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾

قال اختلفوا ، فقالت فرقة : هو عبد الله ونبيه فأمنوا به.

وقالت فرقة : بل هو الله

وقالت فرقة : هو ابن الله

تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا.

قال فذلك قوله : ﴿ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ والتي في الزخرف^{٥٧٤}

^{٥٧٤} يعني قوله تعالى : ﴿ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ

يَوْمَ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ [الزخرف: ٦٥]

قال دقيوس ، ونسطور ، ومار يعقوب ، قال أحدهم حين رفع الله عيسى : هو الله وقال الآخر : ابن الله ، وقال الآخر : كلمة الله وعبده ، فقال المفتريان : إن قولي هو أشبه بقولك ، وقولك بقولي من قول هذا ، فهلم فلنقاتلهم ، فقاتلوهم وأوطؤوهم وغلبوهم ، حتى خرج النبي ﷺ وهم مسلمة أهل الكتاب^{٥٧٥} .

وأخرج ابن جرير عن قتادة في قوله : ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ

الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ قال اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر

أخرج كل قوم عالمهم ، فامتروا في عيسى حين رفع ، فقال أحدهم : هو الله ، هبط إلى الأرض وأحيا من أحيا ، وأمات من أمات ، ثم صعد إلى السماء ، وهم اليعقوبية فقال الثلاثة : كذبت ، ثم قال اثنان منهم للثالث : قل أنت فيه ، قال : هو ابن الله وهم النسطورية ، فقال الاثنان كذبت : ثم قال أحد الاثنان للآخر : قل فيه ، قلل : هو ثالث ثلاثة ، الله إله ، وهو إله ، وأمه إله ، وهم الإسرائيلية ملوك النصارى ، قال الرابع : كذبت هو عبد الله ورسوله ، وروحه وكلمته ، وهم المسلمون ، فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال ، فاقتتلوا ، فظهر على المسلمين وذلك قول الله ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال قتادة هم الذين قال الله ﴿ فَأَخْتَلَفَ

الْأَحْزَابُ ﴾ ﴿١٦﴾ اختلفوا فيه فصاروا أحزابا^{٥٧٦} .

وقوله تعالى ﴿ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿١٦﴾

قال ابن جرير في تفسيرها : اختلف المختلفون في عيسى فصاروا أحزابا متفرقين من بين قومه .

^{٥٧٥} انظر تفسير الطبري ٨٦/١٦

^{٥٧٦} المصدر نفسه ٨٦/١٦

وأخرج عن مجاهد قوله ﴿ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ قال أهل الكتاب.

وأخرج عن قتادة قوله ﴿ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ ذكر لنا أن لمذ رفع ابن مريم ، انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهاءهم ، فقالوا للأول : ما تقول في عيسى ؟ قال هو الله ، هبط إلى الأرض ، فخلق ما خلق ، وأحيا ما أحيا ، ثم صعد إلى السماء ، فتابعه على ذلك ناس من الناس ، فكانت اليعقوبية من النصارى ، وقال الثلاثة الآخرون : نشهد أنك كاذب ، فقالوا للثاني : ما تقول في عيسى ؟ قال : هو ابن الله ، فتابعه على ذلك ناس من الناس ، فكانت النسطورية من النصارى ، وقال الاثنان الآخران : نشهد أنك كاذب ، فقالوا للثالث : ما تقول في عيسى ؟ قال هو إله ، وأمه إله ، والله إله فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت الإسرائيلية من النصارى فقال الرابع أشهد أنك كاذب ولكنه عبد الله ورسوله هو كلمة الله وروحه فاخصم القوم فقال المرء المسلم أنشدكم الله ما تعلمون أن عيسى كان يطعم الطعام وأن الله تبارك وتعالى لا يطعم الطعام قالوا اللهم نعم قال هل تعلمون أن عيسى كان ينام قالوا اللهم نعم قال فخصمهم المسلم قال فاقتل القوم ، قال : فذكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذ وأصيب المسلمون ، فأنزل الله في ذلك القرآن ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران: ٢١].^{٥٧٧}

^{٥٧٧} المصدر السابق ٨٦/١٦ وانظر التمهيد لابن عبد البر ١٤/١٩٦، ١٩٨.

ثانيا : الغلو في عيسى - عليه الصلاة والسلام - .

قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا

﴿ [النساء: ١٧١] ﴾

قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا

تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ نهي عن الغلو. والغلو التجاوز في الحد ، ومنه غلا السعر يغلو غلاء ؛ وغلا الرجل في الأمر غلوا ، وغلا بالجارية لحمها وعظمها إذا أسرع الشباب فجاوزت لداثها ، ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم ، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه ربا ؛ فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر ، ولذلك قال مطرف بن عبد الله : الحسنه بين سيئتين ، وقال الشاعر

وأوف ولا تسوف حقلك كله * وصافح فلم يستوف قط كريم

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد * كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقال آخر :

عليك بأوساط الأمور فإنها * نجاة ولا تترك ذلولا ولا صعبا
 قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ أي لا تقولوا إن له
 شريكا أو ابنا . ثم بين تعالى حال عيسى - عليه السلام - وصفته فقال :

﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ ﴾

قال رحمه الله : ودل بقوله : عيسى ابن مريم على أن من كان منسوبا
 بوالدته كيف يكون إلها ؟ وحق الإله أن يكون قديما لا محدثا.

قال : لم يذكر الله عز وجل امرأة وسماها باسمها في كتابه إلا مريم ابنة عمران
 فإنه ذكر اسمها في نحو من ثلاثين موضعا لحكمة ذكرها بعض الأشياخ ؛ فإن
 الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في الملا ، ولا يتذلون أسماءهن ؛ بل
 يكونون عن الزوجة بالعرس والأهل والعيال ونحو ذلك ؛ فإن ذكروا الإماء لم
 يكونوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها ، فلما قالت
 النصرارى في مريم ما قالت ، وفي ابنها صرح الله باسمها ، ولم يكن عنها
 بالأموة والعبودية التي هي صفة لها ، وأجرى الكلام على عادة العرب في
 ذكر إمائها.

قال : اعتقاد أن عيسى عليه السلام لا أب له واجب فإذا تكرر اسمه منسوبا
 للأمم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الأب عنه ، وتنزيهه
 الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله . والله أعلم.

قوله تعالى : ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ أي هو مكون بكلمة
 ((كن)) فكان بشرا من غير أب ، والعرب تسمى الشيء باسم الشيء إذا
 كان صادرا عنه . وقيل : ﴿ وَكَلِمَتُهُ ﴾ بشارة الله تعالى مريم عليها
 السلام ورسالته إليها على لسان جبريل عليه السلام ، وذلك قوله تعالى :

﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ [آل عمران: ٤٥] وقيل : ((الكلمة)) هاهنا بمعنى الآية قال الله تعالى : ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا ﴾ [التحریم: ١٢] و ﴿ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ [لقمان: ٢٧] وكان لعيسى أربعة أسماء المسيح ، وعيسى ، وكلمة ، وروح ، وقيل غير هذا مما ليس في القرآن. ومعنى ﴿ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ﴾ أمر بها مريم. قوله تعالى : ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ هذا الذي أوقع النصارى في الإضلال فقالوا : عيسى جزء منه فجهلوا وضلوا ، وعنه أجوبة ثمانية :

الأول : قال أبي بن كعب : خلق الله أرواح بني آدم لما أخذ عليهم الميثاق ثم ردها إلى صلب آدم وأمسك عنده روح عيسى عليه السلام ، فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم ، فكان منه عيسى عليه السلام ، فلهذا قال : ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ .

وقيل : هذه الإضافة للتفضيل وإن كان جميع الأرواح من خلقه وهذا كقوله : وطهر بيتي للطائفين .

وقيل : قد يسمى من تظهر منه الأشياء العجيبة روحا ، وتضاف إلى الله تعالى فيقال : هذا روح من الله ، أي : من خلقه ، كما يقال في النعمة إنها من الله. وكان عيسى يريء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى فاستحق هذا الاسم.

وقيل : يسمى روحا بسبب نفخة جبريل عليه السلام ويسمى النفخ روحا ، لأنه ریح يخرج من الروح قال الشاعر هو ذو الرمة :
فقلت له ارفعها إليك وأحيها * بروحك واقتته لها قيته قدرا

وقد ورد أن جبريل نفخ في درع مريم فحملت منه بإذن الله ، وعلى هذا يكون ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ معطوفا على المضمرة الذي هو اسم الله في ﴿ أَلْقَاهَا ﴾ التقدير : ألقى الله وجبريل الكلمة إلى مريم.

وقيل : ﴿ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ أي من خلقه كما قال : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجن: ١٣] أي من خلقه.

وقيل : روح منه أي رحمة منه فكان عيسى رحمة من الله لمن اتبعه ومنه قوله تعالى : وأيدهم بروح منه أي برحمة ، وقريء فروح وريحان .

وقيل : وروح منه وبرهان منه وكان عيسى برهانا وحجة على قومه ﷺ.

قوله تعالى : ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ أي آمنوا بأن الله إله واحد خلق المسيح ومرسله ، وآمنوا برسله ومنهم عيسى فلا تجعلوه إلهًا .

﴿ وَلَا تَقُولُوا ﴾ آهتنا ﴿ ثَلَاثَةٌ ﴾ عن الزجاج قال ابن عباس : يريد

بالتثليث الله تعالى ، وصاحبه ، وابنه . وقال الفراء وأبو عبيد : أي لا تقولوا

هم ثلاثة كقوله تعالى : سيقولون ثلاثة ، قال أبو علي : التقدير ولا تقولوا

هو ثالث ثلاثة فحذف المبتدأ والمضاف . والنصارى مع فرقهم مجمعون على

التثليث ويقولون : إن الله جوهر واحد ، وله ثلاثة أقانيم ، فيجعلون كل

أقنوم إلهًا ، ويعنون بالأقانيم الوجود والحياة والعلم ، وربما يعبرون عن

الأقانيم بالأب والابن وروح القدس ، فيعنون بالأب الوجود ، وبالروح

الحياة ، وبالابن المسيح ، في كلام لهم فيه تحبط ومحصول كلامهم

يثول إلى التمسك بأن عيسى إله بما كان يجريه الله سبحانه وتعالى على يديه

من خوارق العادات على حسب دواعيه وإرادته ، وقالوا : قد علمنا خروج

هذه الأمور عن مقدور البشر ، فينبغي أن يكون المقتدر عليها موصوفاً بالإلهية.

فيقال لهم : لو كان ذلك من مقدوراته وكان مستقلاً به ، كان تخلص نفسه من أعدائه ودفع شرهم عنه من مقدوراته ، وليس كذلك ، فإن اعترفت النصرارى بذلك فقد سقط قولهم ودعواهم أنه كان يفعلها مستقلاً به ، وإن لم يسلموا ذلك فلا حجة لهم أيضاً ، لأنهم معارضون بموسى عليه السلام وما كان يجرى على يديه من الأمور العظام مثل قلب العصا ثعباناً ، وقلق البحر ، واليد البيضاء ، والمن والسلوى وغير ذلك ، وكذلك ما جرى على يد الأنبياء ، فإن أنكروا ذلك فننكر ما يدعونه هم أيضاً من ظهوره على يد عيسى عليه السلام فلا يمكنهم إثبات شيء من ذلك لعيسى ، فإن طريق إثباته عندنا نصوص القرآن ، وهم ينكرون القرآن ، ويكذبون من أتى به ، فلا يمكن إثبات ذلك بأخبار التواتر.

وقد قيل : إن النصرارى كانوا على دين الإسلام إحدى وثمانين سنة بعد ما رفع عيسى ، يصلون إلى القبلة ، ويصومون شهر رمضان ، حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب ، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس ، قتل جماعة من أصحاب عيسى فقال : إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا وجحدنا وإلى النار مصيرنا ، ونحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار ، وإني أحتال فيهم فأضلهم فيدخلون النار ، وكان له فرس يقال لها العقلب ، فأظهر الندامة ووضع على رأسه التراب وقال للنصارى : أنا بولس عدوكم قد نوديت من السماء أن ليست لك توبة إلا أن تتنصر ، فأدخلوه في الكنيسة بيتاً فأقام فيه سنة لا يخرج ليلاً ولا نهاراً حتى تعلم الإنجيل ، فخرج وقال : نوديت من السماء أن الله قد قبل توبتك فصدقوه وأحبوه ، ثم مضى إلى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطورا وأعلمه أن عيسى بن مريم إله ،

ثم توجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال : لم يكن عيسى بإنس فتأنس ، ولا بجسم فتجسم ولكنه ابن الله . وعلم رجل يقال له يعقوب ذلك ، ثم دعا رجلا يقال له الملك ، فقال له : إن الإله لم يزل ولا يزال عيسى ، فلما استمكن منهم دعا هؤلاء الثلاثة واحدا واحدا ، وقال له : أنت خالصتي ولقد رأيت المسيح في النوم ورضي عني ، وقال لكل واحد منهم : إني غدا أذبح نفسي وأتقرب بها ، فادع الناس إلى نخلتك ، ثم دخل المذبح فذبح نفسه ، فلما كان يوم ثلثه دعا كل واحد منهم الناس إلى نخلته ، فتبع كل واحد منهم طائفة ، فاقتتلوا واختلفوا إلى يومنا هذا ، فجميع النصارى من الفرق الثلاث ، فهذا كان سبب شركهم فيما يقال. والله أعلم^{٥٧٨} .

وأخرج البخاري في صحيحه^{٥٧٩} عن ابن عباس : سمع عمر - رضي الله عنه - يقول على المنبر سمعت النبي ﷺ يقول : ((لا تطروني ، كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله)) .

قال ابن حجر : قوله : ((لا تطروني)) بضم أوله والإطراء المدح بالباطل تقول أطريت فلانا مدحته فأطرت في مدحه قوله كما أطرت النصارى بن مريم أي في دعواهم فيه الإلهية وغير ذلك^{٥٨٠} .

وقال القرطبي : معناه لا تصفوني بما ليس في من الصفات تلتمسون بذلك مدحي كما وصفت النصارى عيسى بما لم يكن فيه فنسبوه إلى أنه ابن الله فكفروا بذلك

^{٥٧٨} انظر تفسير القرطبي ٦ / ٢٥٠،٢١

^{٥٧٩} ١٢٧١/٣ في كتاب الأنبياء ، باب : واذكر في الكتاب مريم... وفي كتاب المحاريب ، باب : رجم الحبلبي من الزنن ٦/٢٥٠٣ ، وأحمد في المسند ١/٢٣،٢٤،٤٧،٥٥ ، والبزار ١/٣٠٠ ، والطبراني في الأوسط ٢/٢٦٥ ، والطيالسي ٢/٦ ، وأبو يعلى ١/١٤٢

والحميدي ١/١٦ ، وابن حبان ٢/١٤٧،١٥٤،١٣٣ ، والدارمي ٢/٤١٢ ، وعبدالرزاق في المصنف

٤٤١/٥

^{٥٨٠} فتح الباري ٦/٤٩٠

وضلوا ، وهذا يقتضي أن من رفع أمرا فوق حده وتجاوز مقداره بما ليس فيه فمعتد آثم لأن ذلك لو جاز في أحد لكان أولى الخلق بذلك رسول الله ﷺ. ^{٥٨١}
قال ابن الجوزي : لا يلزم من النهي عن الشيء وقوعه ، لأننا لا نعلم أحدا ادعى في نبينا ما ادعته النصارى في عيسى وإنما سبب النهي فيما يظهر ما وقع في حديث معاذ بن جبل لما استأذن في السجود له فامتنع ونهاه ^{٥٨٢} فكأنه خشي أن يباليغ غيره بما هو فوق ذلك فبادر الى النهي تأكيدا للأمر.

وقال ابن التين : معنى قوله : ((لا تطروني)) لا تمدحوني كمدح النصارى حتى غلا بعضهم في عيسى فجعله إلها مع الله ، وبعضهم ادعى أنه هو الله وبعضهم ابسن الله ، ثم أردف النهي بقوله أنا عبد الله ^{٥٨٣}.

وقال البيهقي : كان لا يجب المبالغة في الثناء عليه في وجهه تواضعا لربه عز وجل. ^{٥٨٤}

^{٥٨١} تفسير القرطبي ٢٤٥/٥

^{٥٨٢} أخرج ابن ماجه في السنن ٥٩٥/١ رقم ١٨٥٥ عن عبد الله بن أبي أوفى قال لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ قال ما هذا يا معاذ قال أتيت الشام فوافقتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك فقال رسول الله ﷺ فلا تفعلوا فإني لو كنت أمرا أحد أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه. وأخرجه أيضا أحمد في المسند ٣٨١/٤ ، وابن حبان ٤٧٩/٩ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٩٢/٧.

^{٥٨٣} انظر فتح الباري ١٢ / ١٤٦

^{٥٨٤} شعب الإيمان ١٨٣/٢

ثالثاً : زعمهم الباطل أنهم قتلوا عيسى - عليه الصلاة والسلام - .

قال تعالى : ﴿ فَبِمَا نَقَضْتَهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفَّرْتَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلْتَهُمُ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا
بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى
مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ
مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
أَخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا
قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾
وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء: ١٥٥-١٥٩]

- في هذه الآيات ذكر الله - عز وجل - عددا من جرائم اليهود - عليهم لعنة الله - المتكررة مع الأنبياء والرسل - عليهم السلام -
- ١- من نقضهم للميثاق.
 - ٢- كفرهم بآيات الله - سبحانه - .
 - ٣- قتلهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
 - ٤- قولهم قلوبنا غلف ، عنادا عن اتباع الحق ، وكفرا بالله سبحانه.
 - ٥- اتهامهم لمريم - عليها السلام - بالبهتان العظيم.
 - ٦- تأمرهم على قتل سيدنا عيسى - عليه الصلاة والسلام - وصلبه.
 - ٧- قولهم ﴿ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ تبجحا بارتكاب هذه الجريمة كما زعموا ، وجرأة على الباطل.
 - ٨- وصفهم لعيسى - عليه الصلاة والسلام - بأنه ﴿ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ لم يكن إلا على سبيل التهكم ، والاستهزاء.
 - ٩- اختلافهم في عيسى - عليه الصلاة والسلام - ، وعدم علمهم به إلا باتباع الظنون .
- وقد سبق ذكر الكلام على هذه الآيات ، وذكرت هنا ، للتنبيه على مواقف اليهود مع المسيح - عليه الصلاة والسلام - .

رابعاً : اختلافهم في الإنجيل المنزل على عيسى - عليه الصلاة والسلام -

قال في كشف الظنون : الإنجيل كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى على عيسى بن مريم عليهما السلام ، وذكر في المواهب انه انزل باللغة السريانية وقرىء على سبع عشرة لغة ، وفي البخاري في قصة ورقة بن نوفل ما يدل على أنه كان بالعبرانية .

وعن وهب بن منبه : أنزل الإنجيل على عيسى - عليه الصلاة والسلام - لثلاث عشرة ليلة من رمضان على ما في الكشاف ، وقيل : لثمان عشرة ليلة خلت منه بعد الزبور بألف عام ومائتي عام .

واختلف في أنه هل نسخ حكم التوراة ، فقيل : إن عيسى - عليه الصلاة والسلام - لم يكن صاحب شريعة لما جاء لتبديل شرع موسى - عليه الصلاة والسلام - ، بل لتكميله ، لكن في أنوار الترتيل ، ما يدل على أن شرعه ناسخ لشرع موسى - عليه الصلاة والسلام - ، لأنه أتى بما لم يأت به موسى - عليه الصلاة والسلام - .

وأول الإنجيل باسم الأب والابن الخ ، والذي بأيديهم إنما هو سيرة المسيح جمعها أربعة من أصحابه وهم متى ، ولوقا ، ومارقوس ، ويوحنا ، قال صاحب تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب : وهؤلاء الذين افسدوا دين عيسى - عليه الصلاة والسلام - وزادوا ونقصوا وليسوا من الحواريين الذين أثنى الله تعالى عليهم في القرآن .

أما متى فما أدراك عيسى ولا رآه قط إلا في العام الذي رفعه الله تعالى إليه وبعد أن رفع كتب متى الإنجيل بخطه في مدينة الإسكندرية ، وأخبر فيه بمولد عيسى - عليه الصلاة والسلام - وسيرته وغيره لم يذكر ما ذكره .

وأما لوقا فلم يدرك عيسى - عليه الصلاة والسلام - ولا رآه البتة وإنما تنصر بعده على يد بولص ، معرب باولوس الإسرائيلي وهو أيضا لم يدرك عيسى - عليه الصلاة والسلام - بل تنصر على يد انانيا .

وأما ماركوس فما رأى عيسى - عليه الصلاة والسلام - قط وكان تنصره بعد الرفع وتنصر على يد بتره الحواري ، وأخذ عنه الإنجيل بمدينة رومه وخالف أصحابه الثلاثة في مسائل جملة .

وأما يوحنا فهو ابن خالة عيسى - عليه الصلاة والسلام - وزعم النصارى أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - حضر عرس يوحنا وأراه حول الماء خمرا ، وهو أول معجزة ظهرت له ، فلما رآه ترك زوجته وتبع عيسى - عليه الصلاة والسلام - في دينه وسياحته ، وهو الرابع ممن كتب الإنجيل لكنه كتبه بالقلم اليوناني في مدينة أفسوس .

وهؤلاء الأربعة الذين جعلوا الإنجيل أربعة ، حرفوها ، وبدلوها وكذبوا فيها ، وما الذي جاء به عيسى - عليه الصلاة والسلام - إلا إنجيل واحد ولا اختلاف فيه . وهؤلاء كذبوا على الله - سبحانه وتعالى - وعلى نبيه عيسى - عليه الصلاة والسلام - وما هو معلوم ، والنصارى على إنكاره .

فأما كذبهم فمنه ، ما قال ماركوس في الفصل الأول من إنجيله أن في كتاب اشعيا النبي عن الله تعالى يقول : إني بعثت ملكي أمام وجهك ، يريد وجه عيسى - عليه الصلاة والسلام - وهذا الكلام لا يوجد في كتاب اشعيا ، وإنما هو في كتاب ملخيا النبي .

ومنه ما حكى متى في الفصل الأول بل الثالث عشر من إنجيله أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - قال يكون جسدي في بطن الحوت ، وهو من صريح الكذب ، لأنه وافق أصحابه الثلاثة أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - مات في الساعة السادسة من يوم الجمعة ، ودفن في أول ساعة من ليلة السبت ، وقام من بين الموتى في صبيحة يوم الأحد ، فبقي في بطن الأرض يوما واحدا وليلتين ، ولا شك في كذب هؤلاء الذين كتبوا الأناجيل في هذه المسألة ، لأن عيسى - عليه الصلاة والسلام - لم يخبر عن نفسه ، ولا أخبر الله - سبحانه وتعالى - عنه في إنجيله بأنه يقتل ويدفن ، بل هو كما أخبر الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز أنهم ما قتلوه وما صلبوه بل رفعه إليه - فلعنة الله على الكاذبين - ولذلك اختلف النصارى بعده وتفرقوا فرقا وعقائدهم كلها كذب وكفر وحماسة عظيمة ، وفي أناجيلهم من تبكيتهم ما هو مذكور في تحفة الأريب وأيضا القواعد التي لا يرغب عنها منهم الا القليل وعليها إجماع جميعهم الغفير وهي التغطيس والايمان بالفطيرة والاقرار بجميع

الذنوب للقسيس وهي خمس قواعد بنيت النصرانية عليها كلها كذب وفساد وجهل عصمنا الله تعالى عنها وفي الإنسان الكامل لما كان أول الإنجيل باسم الأب والابن اخذ هذا الكلام قومه على ظاهره فظنوا ان الأب والابن اخذ هذا الكلام قومه على ظاهره فظنوا ان الأب والام والابن عبارة عن الروح ومريم وعيسى فحيثما قالوا ثالث ثلاثة ولم يعلموا ان المراد بالاب هو اسم الله تعالى وبالام كنه الذات المعبر عنها بماهية الحقائق وبالابن الكتاب وهو الوجود المطلق لأنه فرع ونتيجة عن ماهية الكنه واليه الإشارة في قوله تعالى وعنده أم الكتاب انتهى^{٥٨٥}.

^{٥٨٥} كشف الظنون ١٧٦/١

المبحث الرابع : في وجه الشبه بين الأمم الكافرة بآيات الأنبياء.

لم يبعث الله - عز وجل - نبيا إلى قومه إلا وبعث معه من الآيات ما يؤيد نبوته ،
والأمم في تلقيها لهذه الآيات الباهرة ، تتفاوت في قبولها ، ولكن هذه الأمم جميعا
تشارك في هذا التلقي في أمور :

أولا : طلبهم لهذه الآيات جاء تحديا للأنبياء وتعنتا فانظر لكفار مكة ماذا
قالوا لنبينا محمد ﷺ .

قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ
يَنْبُوعًا ﴿٩١﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ
خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩٢﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا
أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٣﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ
أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا
نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾

[الإسراء: ٩٠-٩٣]

ثانيا : تكذيبهم لهذه الآيات عنادا وإصرارا على الكفر ، مع أن الله -

سبحانه وتعالى - يظهر هذه الآيات تخويفا للناس.

قال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا

تَخْوِيفًا ﴿٥١﴾ [الإسراء: ٥٩]

ثالثا : إنكار المكذبين للرسول لبشريتهم ، وهذه الشبهة قالت بها جميع

الأمم المكذبة حسداً لأنبيائهم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٤]

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [إبراهيم: ٩-١١]

رابعا : طلبهم من أنبيائهم إنزال العذاب تكذيبا بالآيات التي بعث بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فقوم نوح قالوا لنوح - عليه الصلاة والسلام - كما قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا

فَأَكْثَرَتْ جِدَالَنَا فَأَتْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾

[هود: ٣٢]

وقوم عاد سألوا هودا - عليه الصلاة والسلام - العذاب قال تعالى :
﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحَدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا

فَأَتْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ [الأعراف: ٧٠]

وقوم ثمود سألوا صالحا - عليه الصلاة والسلام - العذاب كذلك
قال تعالى : ﴿ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَٰلِحُ

أَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ [الأعراف: ٧٧]

وطلبت قريش من الرسول ﷺ العذاب أيضا قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا
اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً
مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ [الأنفال: ٣٢].

خامسا : أن من طلب الآيات بقي على كفره وعناده وتكذيبه.

قال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ

﴿ [الإسراء: ٥٩]

سادسا : نزول العذاب على من طلب الآيات ، وكان عذابهم عذاب
استئصال وإبادة. فقوم نوح أهلكهم الله بالغرق قال تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ

فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا

بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ [الأعراف: ٦٤]

وقوم عاد أهلكتهم الله بالريح قال تعلق : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصِرٍ
عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى
الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى
لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحاقة: ٦-٨]

وقوم ثمود أخذهم الله - عز وجل - بالصيحة قال تعالى : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جِثْمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [هود: ٦٧]
وقال تعالى : ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٢﴾ فَعَتَوْا عَنْ
أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ
قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَّصِرِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٣-٤٥].

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٥﴾
وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا
الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٢٧﴾ وَعَادًا
وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ^ط وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ
أَعْمَلَهُمْ فَوَدَّعَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٢٨﴾
وَقُرُونًا وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ^ط وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ
فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٢٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا

بِذَنبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ
الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا
كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

[العنكبوت: ٣٥-٤٠]

المبحث الخامس : موقف المسلم من آيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
 موقف المسلم الحق مع آيات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - موقف ثابت لا يتغير أبداً ، لأنه يتلقى هذه المعجزات من القرآن الكريم ، وموقف المسلم من القرآن هو الإيمان بكل ما فيه وما جاء به ، ومن السنة المطهرة الصحيحة وتصديق كل ما جاء فيها ، فموقفه منها موقف المؤمن المصدق بالقرآن والسنة لا يعتريه شك أو تردد عن قبول أخبار الأمم وما جاءهم من الآيات ، وما حصل للمكذابين من عذاب وهلاك وإبادة.

الموقف الأول :

الإيمان بالأنبياء والرسل من أركان الإيمان فلا يتحقق إيمان العبد حتى يؤمن بجميع الأنبياء والرسل قال تعالى : ﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فالذي يؤمن برسول من الرسل فقد آمن بجميع الرسل ، والذي يكذب بواحد منهم فقد كذب بهم جميعاً ، لأن دين جميع الأنبياء واحد ، وهو إخلاص العبادة لله تعالى ، وخلع كل ما يعبد من دونه ، ودعوتهم لأمرهم واحدة ، كل منهم يقول لقومه : ﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف: ٥٩] قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [البقرة: ١٠٦] أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [البقرة: ١٠٦]

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ
سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ اللَّهُ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ [النساء: ١٥٠-
١٥٢] فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم ، هو دين الإسلام^{٥٨٦} .
فالمكذب لمعجزة من معجزات الأنبياء والرسل فهو مكذب لجميع المعجزات ،
فالمؤمن هو الذي يصدق بكل معجزات الأنبياء ، وأنها آيات بعثها الله - تعالى - مع
أنبيائه ورسله لأممهم.

الموقف الثاني :

أن أمة محمد ﷺ مصدقة بكل ما جاء به الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام -
وهم شهداء للأنبياء على أمتهم كما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري قال :
قال رسول الله ﷺ : ((يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل ، والنبي ومعه الرجلان
وأكثر من ذلك ، فيدعى قومه ، فيقال لهم : هل بلغكم هذا ؟ فيقولون : لا ،
فيقال له : هل بلغت قومك ؟ فيقول نعم ، فيقال له : من يشهد لك ؟ فيقول :
محمد وأمته ، فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم ، فيقال : وما علمكم
؟ فيقولون : جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا . فذلك قوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال : يقول : عدلا ﴿ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ
عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾^{٥٨٧} .

^{٥٨٦} انظر هذا الموضوع في كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح
٨٣/١ فإنه نفيس .

^{٥٨٧} أخرجه الإمام أحمد في المسند ٥٨/٣ رقم ١١٦١٧ ، وابن ماجه ١٤٣٢/٢ ، وسعيد بن منصور في
السنن ٦١٨/٢ والآية من سورة [البقرة: ١٤٣]

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : ((يدعى نوح يوم القيامة ، فيقول : لبيك وسعديك يا رب ، فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير ، فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول محمد وأمته ، فيشهدون أنه قد بلغ **وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴿ فذلك قوله جل ذكره ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴿ والوسط العدل^{٥٨٨}.

وقال ابن جرير في تأويل قوله تعالى : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴿ [النساء: ٤١]

يعني بذلك جل ثناؤه إن الله لا يظلم عباده مثقال ذرة ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ** ﴿ يعني بمن يشهد عليها بأعمالها وتصديقها رسلها أو تكذيبها ﴿ **وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴿ يقول وجئنا بك يا محمد على هؤلاء أي على أمتك شهيدا يقول شاهدا . وذكر بإسناده عن السدي ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا**

جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿ قال : إن النبيين يأتون يوم القيامة منهم من أسلم معه من قومه الواحد والاثنيان والعشرة وأقل وأكثر من ذلك ، حتى يؤتى بقوم لوط ﷺ لم يؤمن معه إلا ابتاه فيقال لهم : هل بلغت ما أرسلتم به ؟ فيقولون : نعم ، فيقال : من يشهد فيقولون أمة

^{٥٨٨} صحيح البخاري ١٢١٥/٣ كتاب : الأنبياء ، باب : إنا أرسلنا نوحا إلى قومه ٤ / ١٦٣٢ باب :

﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴿ ، وأخرجه ابن حبان ٣٩٧/١٤ ، وأبو يعلى ٣٩٧/٢ ، وعبد بن حميد ٢٨٦ ، والبيهقي

في شعب الإيمان ١٤٨/١

محمد ﷺ؟ فيقال لهم : أتشهدون أن الرسل أودعوا عندكم شهادة ، فبم تشهدون؟ فيقولون : ربنا نشهد أنهم قد بلغوا كما شهدوا في الدنيا بالتبليغ ، فيقال : من يشهد على ذلك؟ فيقولون محمد ﷺ ، فيدعى محمد - عليه الصلاة والسلام - فيشهد أن أمته قد صدقوا ، وأن الرسل قد بلغوا فذلك قوله ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ۝٨٩ ۝٨٩ .

الموقف الثالث :

أن معجزات الأنبياء ، كلها خارقة للعادات ، ومخالفة للسنن الطبيعية ، ولا تخضع لقانون الأسباب والمسببات ، بل هي إرادة ربانية ، لتتعلم أنه هو المتصرف في هذا الكون ، وكل من فيه يخضع لإرادته.

الموقف الرابع :

أن يعلم المسلم أن الأنبياء جاءوا بالمعجزات للهداية ودعوة الأمم لوحداية الله - سبحانه - بتأييد منه سبحانه ، وأنها ليست من جنس السحر والكهانة التي يأتي بها السحرة والكهان لإغواء العباد ، بمعونة من الشياطين.

الموقف الخامس :

أن معجزات الأنبياء بسبب تكذيبها أباد الله - عز وجل - أمما كثيرة ، والمصدق بهل كانت له النجاة ، والسعادة في الدارين في الدنيا والآخرة.

الموقف السادس :

أن من معجزات بعض الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قد كان لها نظير مع غيرهم من الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كفهم نبينا محمد ﷺ كلام بعض الحيوانات ، مع أنها معجزة ظاهرة لسيدنا سليمان - عليه الصلاة والسلام - ، بل إن

بعضهم - عليهم الصلاة والسلام - قد اشتركوا في بعض المعجزات كالإخبار
بالأمور الغيبية ، وإحياء الموتى.

الفصل الثاني :

الأحكام الفقهية المستنبطة من دلائل نبوة الأنبياء -
عليهم الصلاة والسلام - .

المسألة الأولى : صوم يوم عاشوراء.

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠]

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ
لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ [٧٧]
فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَعَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ
فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُم مِّنْ
عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ
وَأَسْلَوْا ﴿٨٠﴾ [طه: ٧٧-٨٠]

ذكر الله - سبحانه وتعالى - في هذه الآيات نعمة من النعم العظيمة التي
منّ الله - تعالى - بها على بني إسرائيل وهي نجاتهم من فرعون وملئه ،
وإغراق عدوهم فرعون وقومه ، فالقرآن الكريم ذكر نجاتهم وإغراق عدوهم
، ولم يذكر ذلك اليوم ، لكن السنة النبوية بينت ذلك اليوم ، حيث أن النبي
ﷺ عندما جاء المدينة ، ووجد اليهود يصومون يوم عاشوراء ، سأهم عن
هذا اليوم الذي يصومونه ، فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه
وغرق فرعون وقومه ، فصامه موسى شكراً ؛ فنحن نصومه . فوافقهم النبي

ﷺ في صومهم فقال : «فنحن أحق وأولى بموسى منكم» فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه . عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء ؛ فقال لهم رسول الله ﷺ : «ما هذا اليوم الذي تصومونه» فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرّق فرعونَ وقومه ، فصامه موسى شكراً ؛ فنحن نصومه. فقال رسول الله ﷺ : «فنحن أحق وأولى بموسى منكم» فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه^{٥٩٠} .

قال القرطبي - رحمه الله - : ظاهر هذه الأحاديث تدل على أن النبي ﷺ إنما صام عاشوراء وأمر بصيامه اقتداء بموسى عليه السلام على ما أخبره به اليهود ، وليس كذلك لما روته عائشة رضي الله عنها قالت : كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله ﷺ يصومه في الجاهلية فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك صيام عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه.^{٥٩١}

قال : فإن قيل : يحتمل أن تكون قريش إنما صامته بإخبار اليهود لها ، لأنهم كانوا يسمعون منهم ، لأنهم كانوا عندهم أهل علم فصامه النبي ﷺ كذلك في الجاهلية أي بمكة فلما قدم المدينة ووجد اليهود يصومونه قال : نحن أحق وأولى بموسى منكم ، فصامه اتباعاً لموسى وأمر بصيامه أي أوجبه وأكد أمره حتى كانوا يصومونه الصغار؟

^{٥٩٠} أخرجه مسلم ٧٩٦/٢ ، وابن ماجه ٥٥٢/١ ، والنسائي في الكبرى ١٥٦/٢ ، والطبراني في المعجم

الكبير ٢٤/١٢ ، والحميدي ٢٤٠/١ .

^{٥٩١} أخرجه البخاري ٧٠٤/٢ في كتاب الصوم ، باب : صيام يوم عاشوراء ، و ١٢٩٣/٣ ، و ١٦٣٧/٤ ،

ومسلم ٧٩٢/٢ في كتاب : الصوم ، باب : صوم يوم عاشوراء ، وأحمد في المسند ٥٠/٦ والموطأ

٢٩٩/١ وأبو داود ٣٢٦/٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٢٨٨/٤ ، وابن خزيمة ٢٨٣/٣ ، وأبو يعلى

. ١٠٠/٨

قلنا : هذه شبهة من قال إن النبي ﷺ لعله كان متعبداً بشريعة موسى وليس كذلك. ^{٥٩٢}

المسألة الثانية : صلاة الاستسقاء.

قال تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ [البقرة: ٦٠]

قال الشوكاني في نيل الأوطار : قال في الفتح الاستسقاء لغة طلب سقي الماء من الغير للنفس أو للغير وشرعا طلبه من الله تعالى عند حصول الجذب على وجه مخصوص. انتهى.

قال الرافعي : هو أنواع أدناها الدعاء المجرد وأوسطها الدعاء خلف الصلوات وأفضلها الاستسقاء بر كعتين وخطبتين والأخبار وردت بجميع ذلك. انتهى ^{٥٩٣}.

قال القرطبي - رحمه الله - الاستسقاء إنما يكون عند عدم الماء وحبس القطر، وإذا كان كذلك فالحكم حينئذ إظهار العبودية والفقر والمسكنة والذلة مع التوبة النصوح. وقد استسقى نبينا محمد ﷺ ، فخرج إلى المصلى متواضعا متذللا متخشعا مترسلا متضرعا ، وحسبك به! فكيف بنا ولا توبة معنا إلا العناد ومخالفة رب العباد؛ فأنى نسقى!. انتهى.

في سنن ابن ماجه عن حاتم بن إسماعيل عن هشام أن إسحاق بن عبد الله بن كنانة من بني مالك بن شرحبيل قال : حدثني أبي ، قال : أرسلني الوليد بن

^{٥٩٢} الجامع لأحكام القرآن ١/٣٩٠، ٣٩١،

^{٥٩٣} نيل الأوطار ٤/٢٧

عقبة أسأل له عن صلاة رسول الله ﷺ في الاستسقاء فأتيت ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - فقلت : إنا تمارينا في المسجد في صلاة النبي ﷺ في الاستسقاء ، قال : لا ولكن أرسلك ابن أخيكم الوليد وهو أمير المدينة ، ولو أنه أرسل فسأل ما كان بذلك بأس ثم قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - خرج النبي ﷺ مبتدلاً ، متواضعاً ، متضرعاً حتى أتى المصلى ، فلم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير فصلى ركعتين كما يصلى في العيدين ، فقلوه كما يصلى في العيدين يحتمل أنه جهر فيهما كما يجهر في العيدين.^{٥٩٤}

وعن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمر قال أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : ((يا معشر المهاجرين ، خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن ، لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المثونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخبروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم)).^{٥٩٥}

^{٥٩٤} أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ١/٣٢٤ ، والنسائي في السنن الكبرى ١/٥٦١ ، وابن أبي شيبة في المصنف ٢/٢٢١ ، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/٣٣١ .

^{٥٩٥} أخرجه ابن ماجه ٢/١٣٣٢ رقم ٤٠٢١ قال الشوكاني في نيل الأوطار ٤/٢٦ : الحديث هذا ذكره ابن ماجه في كتاب الزهد مطولاً وفي إسناده خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك وهو ضعيف وقد ذكره الحافظ في التلخيص : ولم يتكلم عليه . انتهى . ورواه الحاكم في المستدرک ٤/٥٨٣ ، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/٤٤٦ ، والأوسط ٥/٦١ ، والبيهقي في شعب الإيمان ٣/١٩٦ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٨/٣٣٣ .

و سنة الاستسقاء الخروج إلى المصلّى ، والخطبة والصلاة؛ وبهذا قال جمهور العلماء. وذهب أبو حنيفة إلى أنه ليس من سنته صلاة ولا خروج، وإنما هو دعاء لا غير. واحتج بحديث أنس: الصحيح، أخرجه البخاريّ ومسلم. ولا حجة له فيه؛ فإن ذلك كان دعاء عجلت إجابته فاكتفى به عما سواه، ولم يقصد بذلك بيان سنة؛ ولما البيان بين بفعله، حسب ما رواه عبد الله بن زيد المازنيّ قال: «خرج رسول الله ﷺ فاستسقى وحول رداءه ثم صلى ركعتين»^{٥٩٦}.

^{٥٩٦} أخرجه مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء ٦١١/٢ ، وأحمد في المسند ٣٨/٤ ، ٣٩ ، ومالك في الموطأ ١٩٠/١ ، ومسند الشافعي ٧٩/٢ ، وأبو داود ٣٠٣/١ ، والنسائي في السنن الكبرى ٥٥٨/١ ، والسنن الصغرى ١٥٧/٣ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٥٠/٣ .

المسألة الثالثة : القسامة.

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [٧٢] فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣]

قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ قيل: باللسان لأنه آلة الكلام. وقيل: بعجب الذنب؛ وقيل: بعظم من عظامها؛ والمقطوع به عضو من أعضائها؛ فلما ضرب به حيي وأخبر بقاتله ثم عاد ميتاً كما كان. قال القرطبي : استدل مالك - رحمه الله - في رواية ابن وهب وابن القاسم على صحة القول بالقسامة بقول المقتول: دمي عند فلان، أو فلان قتلني. ومنعه الشافعي وجمهور العلماء، قالوا: وهو الصحيح؛ لأن قول المقتول: دمي عند فلان، أو فلان قتلني، خبر يحتمل الصدق والكذب. ولا خلاف أن دم المدعى عليه معصوم ممنوع إباحته إلا بيقين، ولا يقين مع الاحتمال؛ فبطل اعتبار قول المقتول دمي عند فلان. وأما قتيل بني إسرائيل فكانت معجزة وأخبر تعالى أنه يحييه، وذلك يتضمّن الإخبار بقاتله خيراً جزماً لا يدخله احتمال؛ فافترقا.

قال ابن العربي: المعجزة كانت في إحيائه؛ فلما صار حياً كان كلامه كسائر كلام الناس كلهم في القبول والرد. وهذا فنٌ دقيق من العلم لم يتفطن له إلا مالك، وليس في القرآن أنه إذا أخير وجب صدقه، فلعله أمرهم بالقسامة معه. واستبعد ذلك البخاري والشافعي وجماعة من العلماء فقالوا: كيف يُقبل قوله في الدّم وهو لا يقبل قوله في درهم.^{٥٩٧}

^{٥٩٧} انظر القرطبي ١/٤٥٧

المسألة الرابعة: جواز النسخ قبل وقت الفعل.

قال تعالى: ﴿قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون﴾ [البقرة: ٦٨]

قال القرطبي - رحمه الله - : في هذا دليل على جواز النسخ قبل وقت الفعل؛ لأنه لما أمر ببقرة اقتضى أي بقرة كانت، فلما زاد في الصفة نسخ الحكم الأول بغيره؛ كما لو قال: في ثلاثين من الإبل بنت مخاض، ثم نسخه بابنة لبون أو حقة. وكذلك هاهنا لما عين الصفة صار ذلك نسخا للحكم المتقدم.

والفارض: المسنة. وقد فرضت تفرض فروضا؛ أي أسنت. ويقال للشيء القديم فارض؛ قال الراجز:

شيب أصداعي فرأسي أبيض * محامل فيها رجال فرض

قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٧] أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

[البقرة: ١٠٦-١٠٧] ﴿١٧﴾

قال ابن كثير - رحمه الله - : في قوله : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿١٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٧﴾ (يرشد عباده تعالى بهذا إلى أنه المتصرف في خلقه بما يشاء فله الخلق والأمر وهو المتصرف فكما خلقهم كما يشاء ويسعد من يشاء ويشقى من يشاء ويصح من يشاء ويمرض من يشاء ويوفق من يشاء ويخذل من يشاء ، كذلك يحكم في عباده بما يشاء فيحل ما يشاء ويحرم ما يشاء ويبيح ما يشاء ويحظر ما يشاء وهو الذي يحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ويختير عباده وطاعتهم لرسله بالنسخ فيأمر بالشيء لما فيه من المصلحة التي يعلمها تعالى ثم ينهى عنه لما يعلمه تعالى فالطاعة كل الطاعة في امتثال أمره واتباع رسله في تصديق ما أخبروا وامتثال ما أمروا وترك ما عنه زجروا وفي هذا المقام رد عظيم وبيان بليغ لكفر اليهود وتزييف شبهتهم لعنهم الله في دعوى استحالة النسخ إما عقلاً كما زعمه بعضهم جهلاً وكفراً ، وإما نقلاً كما تخرصه آخرون منهم افتراء وإفكاً .

قال الإمام أبو جعفر بن جرير - رحمه الله - : فتأويل الآية ألم تعلم يا محمد أن لي ملك السموات والأرض وسلطانهما دون غيري أحكم فيهما وفيما فيهما بما أشاء وأمر فيهما وفيما فيهما بما أشاء وأنهى عما أشاء وأنسخ وأبدل وأغير من أحكامي التي أحكم بها في عبادي بما أشاء إذ أشاء وأقر فيهما ما أشاء ثم قال وهذا الخبر وإن كان خطاباً من الله تعالى لنبيه ﷺ على وجه الخبر عن عظمته فإنه منه جل ثناؤه تكذيب لليهود الذين أنكروا نسخ أحكام التوراة وجحدوا نبوة عيسى ومحمد - عليهما الصلاة والسلام - لمحيئهما بما جاء به من عند الله بتغير ما غير الله من حكم التوراة فأخبرهم

الله أن له ملك السموات والأرض وسلطانهما وأن الخلق أهل مملكته وطاعته
وعليهم السمع والطاعة لأمره ونهيه وأن له أمرهم بما يشاء ونهيهم عما يشاء
ونسخ ما يشاء وإقرار ما يشاء وإنشاء ما يشاء من إقراره وأمره ونهيه.
الرد على اليهود في إنكار النسخ.

قال ابن كثير : الذي يحمل اليهود على البحث في مسألة النسخ إنما هو الكفر
والعناد فإنه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في أحكام الله تعالى لأنه يحكم
ما يشاء كما يشاء كما أنه يفعل ما يريد مع أنه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة
وشرائعه الماضية كما أحل لآدم تزويج بناته من بنيه ثم حرم ذلك ، وكما أباح لنوح
بعد خروجه من السفينة أكل جميع الحيوانات ثم نسخ حل بعضها ، وكان نكاح
الأختين مباحاً لإسرائيل وبنيه وقد حرم ذلك في شريعة التوراة وما بعدها ، وأمر
إبراهيم - عليه السلام - بذبح ولده ثم نسخته قبل الفعل ، وأمر جمهور بني إسرائيل
بقتل من عبد العجل منهم ثم رفع عنهم القتل كيلا يستأصلهم القتل ، وأشياء كثيرة
يطول ذكرها وهم يعترفون بذلك ويصدقون عنه ، وما يجاب به عن هذه الأدلة
بأجوبة لفظية فلا يصرف الدلالة في المعنى إذ هو المقصود وكما في كتبهم مشهوراً
من البشارة بمحمد ﷺ والأمر باتباعه فإنه يفيد وجوب متابعتة عليه الصلاة والسلام
وأنه لا يقبل عمل إلا على شريعته ، وسواء قيل إن الشرائع المتقدمة مغيية إلى بعثته
عليه السلام فلا يسمى ذلك نسخاً لقوله : ﴿ ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ۚ

﴿ [البقرة: ١٨٧] وقيل : إنها مطلقة وإن شريعته محمد صلى الله عليه وسلم نسختها
فعلى كل تقدير فوجوب متابعتة متعين لأنه جاء بكتاب هو آخر الكتب عهدا بالله
تبارك وتعالى ففي هذا المقام بين تعالى جواز النسخ ردا على اليهود - عليهم لعنة الله
- حيث قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾ أَلَمْ
تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ ﴿١٧﴾ الآية ، فكما أن له
الملك بلا منازع فكذلك له الحكم بما يشاء ألا له الخلق والأمر وقرئ في سورة

آل عمران التي نزل في صدرها خطاباً مع أهل الكتاب وقوع النسخ في قوله تعالى :
﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ
عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ

فَأَتَلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿١٣﴾ [آل عمران: ٩٣] والمسلمون
كلهم متفقون على جواز النسخ في أحكام الله تعالى لما له في ذلك من الحكمة البالغة
وكلهم قال بوقوعه.

وقال أبو مسلم الأصبهاني المفسر : لم يقع شيء من ذلك في القرآن ! وقوله ضعيف
مردود مردول وقد تعسف في الأجوبة عما وقع من النسخ فمن ذلك :

قضية العدة بأربعة أشهر وعشر بعد الحمل لم يجب عن ذلك بكلام مقبول.

وقضية تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت المقدس ، لم يجب بشيء .

ومن ذلك نسخ مصابرة المسلم لعشرة من الكفرة إلى مصابرة الاثنيين.

ومن ذلك نسخ وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول ﷺ ، وغير ذلك . والله
أعلم. ^{٥٩٨}

المسألة الخامسة: عمل الإنسان بيده.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُوتِي مَعَهُ
وَالطَّيْرُ وَالنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠٩﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتْ وَقَدِرَ فِي السَّرْدِ
وَأَعْمَلُوا صَلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [سأ: ١٠٠-١١٠]

قال القرطبي: في هذه الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع، وأن التحرف به لا ينقص من مناصبهم، بل ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم؛ إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم، وكسب الحلال الخلي عن الامتنان^{٥٩٩}.

أخرج البخاري عن ثور عن خالد بن معدان عن المقدم - رضي الله تعالى عنه - عن رسول الله ﷺ قال: ((ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده))^{٦٠٠}.

وأخرج أيضا عن همام بن منبه حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ ((أن داود - عليه السلام - كان لا يأكل إلا من عمل يده))^{٦٠١}.

قال ابن حجر: وفي الحديث فضل العمل باليد وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره غيره، والحكمة في تخصيص داود بالذكر أن اقتصره في أكله على ما يعمل بيده لم يكن من الحاجة لأنه كان خليفة في الأرض كما قال الله تعالى وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل ولهذا أورد النبي ﷺ قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد، وهذا بعد تقرير أن شرع من قبلنا شرع لنا، ولا سيما إذا ورد في شرعنا مدحه وتحسنه مع عموم قوله تعالى:

﴿ فَبِهْدَانِهِمْ أَقْتَدِهِ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

^{٥٩٩} انظر القرطبي ٢٦٧/١٤

^{٦٠٠} أخرجه البخاري ٧٣٠/٢ كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده، والطبراني في المعجم الكبير ٢٦٧/٢٠، وفي مسند الشاميين ١٦٨/٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٨٤/٢، وفي الأربعون الصغرى

١٠٢/٢.

^{٦٠١} أخرجه البخاري ٧٣٠/٢ كتاب: البيوع، باب: كسب الرجل وعمله بيده.

وفي الحديث التكسب لا يقدر في التوكل وأن ذكر الشيء بدليله أوقع في نفس سامعه^{٦٠٢}.

وقال في موضع آخر : فيه دليل على أنه أفضل المكاسب وقد استدل به على مشروعية الإجارة من جهة أن عمل اليد أعم من أن يكون للغير أو للنفس والذي يظهر أن الذي كان يعمله داود بيده هو نسج الدروع وألان الله له الحديد فكان ينسج الدروع ويبيعها ولا يأكل إلا من ثمن ذلك مع كونه كان من كبار الملوك ، قال الله تعالى : ﴿ وشددنا ملكه ﴾.

وفي الحديث أيضا : ما يدل على ذلك وأنه مع سعته بحيث أنه كان له دواب تسرج إذا أراد أن يركب ويتولى خدمتها غيره ومع ذلك كان يتورع ولا يأكل إلا مما يعمل بيده^{٦٠٣}.

قال الحافظ ابن حجر : اختلف العلماء في أفضل المكاسب ، قال الماوردي أصول المكاسب ، الزراعة ، والتجارة ، والصناعة ، والأشبه بمذهب الشافعي أن أطيبها التجارة. قال : والأرجح عندي أن أطيبها الزراعة ، لأنها أقرب إلى التوكل.

وتعقبه النووي بحديث المقدم وأن الصواب أن أطيب الكسب ما كان بعمل اليد.

قال : فإن كان زراعا فهو أطيب المكاسب ، لما يشتمل عليه من كونه عمل اليد ، ولم فيه من التوكل ، ولم فيه من النفع العام الآدمي وللدواب ، ولأنه لا به فيه في العادة أن يوكل منه بغير عوض.

^{٦٠٢} فتح الباري ٤/٣٠٦

^{٦٠٣} المصدر السابق ٦/٤٥٦

قلت : وفوق ذلك من عمل اليد ما يكتسب من أموال الكفار بالجهاد وهو مكسب النبي ﷺ وأصحابه وهو أشرف المكاسب لما فيه من إعلاء كلمة الله تعالى وخذلان كلمة أعدائه والنفع الأخرى .

قال : ومن لم يعمل بيده فالزراعة في حقه أفضل لما ذكرنا.

قلت : وهو مبني على ما بحث فيه من النفع المتعدي ولم ينحصر النفع المتعدي في الزراعة بل كل ما يعمل باليد فنفعه متعد لما فيه من هئية أسباب ما يحتاج الناس إليه والحق أن ذلك مختلف المراتب وقد يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والعلم عند الله تعالى.

قال ابن المنذر : إنما يفضل عمل اليد سائر المكاسب إذا نصح العامل كما جاء مصرحا به في حديث أبي هريرة .

قلت : ومن شرطه أن لا يعتقد أن الرزق من الكسب ، بل من الله تعالى بهذه الوسطة ومن فضل العمل باليد الشغل بالأمر المباح عن البطالة واللهم وكسر النفس بذلك ، والتعفف عن ذلة السؤال والحاجة إلى الغير . انتهى^{٦٠٤} .

الخاتمة

الختامة.

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات ، والصلاة والسلام على نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعد أن منّ الله - سبحانه وتعالى - عليّ بإتمام هذا البحث يطيبُ لي أن أبين أهم النتائج التي توصلتُ إليها في هذا البحث :-

- ١- إن كثيراً من الدراسات السابقة في سير الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - تركزت فقط على عرض سيرة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - دون ذكر الفوائد والدروس المستفادة من سيرة كل نبي ، ولا أعني بهذا أن كل من تصدى لمثل هذه المباحث قد أغفل هذه الناحية ، فهناك أبحاث اعتنت بذكر مثل هذه الفوائد والدروس ، ولكن كثيراً منها يخدم اتجاهات فكرية معينة ، مما يفقدها المنفعة الكاملة المرجوة.
- ٢- كذلك لم ينبه أكثر الكتاب على العبر والدروس المستفادة من معجزة كل نبي ، ولم ينبه على وجه الإعجاز في المعجزة التي بها وقع التحدي ، فتذكر المعجزة عرضاً مع ذكر سيرة الرسول - عليه الصلاة والسلام - وقد أبرزت - حسب المستطاع - في هذا البحث مثل هذه الفوائد.
- ٣- أكثر المعجزات التي وقعت عقب طلب من الأمم لأنبياهم ، طلبها اليهود من أنبيائهم - عليهم الصلاة والسلام - ومع هذا لم يؤمنوا بها حق الإيمان ، بل قابلوها بالكفر والعصيان ، فحل عليهم غضب الله - عز وجل - .
- ٤- تسبب بعض المعاصي والذنوب الهلاك والدمار والشؤم على أصحابها ، وبعضها قد يستمر بلاؤها على أهل الأرض على مرّ الأزمنة كمعصية بني إسرائيل في ادخار اللحم ، كان قبل أن يدّخروا لايتن طعام قط ، فبعد معصيتهم هذه جلبوا الشر على أهل الأرض وعلى الإنسانية كافة على مرّ العصور.
- ٥- إن من سنن الله - عز وجل - في الأمم الذين طلبوا الآيات من أنبيائهم - عليهم الصلاة والسلام - وقوع العذاب عليهم إذا لم يؤمنوا .
- ٦- إن كثيراً من المعاندين الذين سألوا الآيات بقوا على عنادهم ، فلم يؤمنوا حتى وقع عليهم عقاب الله - عز وجل - .

٧- جميع معجزات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - مجتمعة لا تبلغ عشر معجزات نبينا محمد ﷺ .

٨- لم يعط نبي من الأنبياء عليهم - الصلاة والسلام - آية إلا وقد أوتي نبينا محمد ﷺ أعظم من هذه الآية ، وأكبر منها.

٩- إن جميع معجزات الأنبياء عليهم - الصلاة والسلام - قد جاءت معجزة كل نبي لأهل ذلك الزمان ، أما معجزة نبينا محمد ﷺ فقد كتب لها القيام إلى قيام الساعة.

١٠- إن الله - عز وجل - قد كتب الغلبة والنصر لأهل طاعته ، والخزي والهوان لمن عصاه ، وإن انتصر الباطل في وقتٍ من الأوقات فإنما هو تمحيصٌ وابتلاءٌ للمؤمنين والغلبة في النهاية لهم.

أما المقترحات:

هناك بعض الأقلام التي تنادي بحذف كل الإسرائيليات من كتب التفسير ، وأرى - حسب علمي القاصر - أن هذا تجنٍ واعتداء على كتب سلفنا الكرام ، فلو وضعت موسوعات تجمع ما في كتب التفسير من أخبار إسرائيلية ، وتقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: ما في شرعنا موافقة له .

والقسم الثاني : الأخبار التي يحتمل تصديقها وتكذيبها.

والقسم الثالث : ما لا يقبل شرعاً كالطعن في عصمة الأنبياء - عليهم الصلاة

والسلام - ولا عقلاً كقصة عوج بن نوق ، وشمشون.

فبهذا نحمي تراثنا ، ونحمي كل من لا تمييز له بين الأخبار. والله أعلم.

تم البحث بحمد الله - سبحانه - والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأشعار
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	السورة ورقم السورة
٥٥	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِم تُوْمِنُ	البقرة : ٢٦
١٥٥، ١٥٢	وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّٰ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ	البقرة : ٥٧
١٤٦	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ	البقرة : ٦٣
١٥٨	وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً	البقرة : ٦٧-٧٣
١١٩	وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَجْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ	البقرة : ٥٠
١٢٨	وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ	البقرة : ٦٠
٣١٥	وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالَ مُوسَىٰ وَءَالَ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ	البقرة : ٢٤٨
١٨٩	وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ	آل عمران : ٤٩
١٩٢	وَأُبْرِي الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ	آل عمران : ٤٩
٢٠٦	إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَىٰ ابْنِي مَرْيَمَ لَا تَهْبِطُ فِي هَذِهِ بِلَدِّكِ وَتَخْرِجِي فِيهَا كَذَّابًا	آل عمران : ٥٥

	مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا	
المائدة: ١١٢-١١٥	إِذْ قَالَ الْحَوَارِثُوتُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ	٢٠١
الأعراف : ١٣٠-١٣١	وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ	١٣٤
الأعراف : ١٣٣	فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَاللَّدَمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ	١٣٧
يونس : ٨٨	وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا	١١٥
هود: ٣٨-٣٩	وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ	٣٧
هود: ٥٣-٥٦	قَالُوا يَا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ	٢٤٧
الإسراء : ١٠١-١٠٣	وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ	٦٥
مريم: ١٦-٢١	وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذْتِ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا	١٧١
مريم: ٢٧-٣٥	فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا	١٨٣
طه : ١٧	وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى	٧٤
طه: ٢٧-٢٨	﴿ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٧٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٧٨﴾ ﴾	٧٠
طه : ٨٠-٨١	إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْجَنَّاكُمْ مِنْ عِدْوِكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى	١٥٥
الأنبياء: ٨٠	وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ	٢٦٧

	فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ	
الأنبياء: ٨١	وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ	٢٧٧
الأنبياء: ٨٢	وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَغْوِصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ	٢٨١
الشعراء : ٣٣	وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ	١٠٤
النمل: ١٥-١٧	وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ	٢٧١-٢٦٠
النمل: ١٦	يَتَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمًا مِّنَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ	٢٨٥
النمل: ١٧-١٩	وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ	٢٨٨-٢٧١
النمل: ٢٠-٣٧	وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ أَمْ كَانَ مِنَ الْعَائِيِينَ	٢٩٣
الأحزاب : ٦٩	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا	١٦٦
سبأ: ١٠	وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُوتِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّا لَهُ الْحَدِيدَ	٢٦٠
سبأ: ١٠-١١	وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ۖ أَنْ أَعْمَلَ سَبِغَتٍ وَقَدِيرٍ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَاحِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ	٢٦٧

سبأ: ١٢	وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَّاحُها شَهْرٌ	٢٧٧
سبأ: ١٢-١٣	وَمِنَ الْجِنَّةِ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُم عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٣﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ	٢٨١
الصفات: ٩٧-٩٨	قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ	٤٢
ص: ١٧-٢٠	وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ	٢٦٠



١٦٧٣

فهرس الأحاديث النبوية

- ٢٥٤ أحدثكم عن رسول الله ﷺ
- ١٣٤ أعني عليهم بسنين كسني يوسف
- ٥٢ اقلوا الوزغ فإنه كان ينفخ النار على إبراهيم
- أقراني رسول الله ﷺ هل تستطيع
- ٢٥٣ ألا أحدثك بأشقى الناس
- ٢٢٦ ألا إن عيسى ابن مريم بينه وبينني نبي ولا رسول
- ٢٧٣ أنا سيد القوم يوم القيامة
- ٢٧٤ أنا سيد ولد آدم يوم القيامة
- ٢٠٢ أنزلت المائدة من السماء خبزا
- ٥٣ إن إبراهيم حين ألقى في النار
- ٢٢٧ إن الدجال خارج وهو أعور
- ٣١١ إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع
- ٢١٩ إن المساجد لتحدد لخروج المسيح
- ١٦١ إن بني إسرائيل لو أخذوا أدنى بقرة
- إن داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده
- ٥٧ أن رجلا قال للنبي ﷺ يا خير البرية
- ٥٢ أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ
- أن رسول الله ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود صياما
- ٢٧٢ إن عفريتا من الجن
- ٢٢١ أن عيسى ابن مريم يأتي قوما قد عصمهم الله من الدجال
- ١٦٦ إن موسى كان رجلا حيا ستيرا لا يرى من جلده شيء
- ٢٣٤ إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم
- ٢٢٣ الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد
- ٢٢٦ إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى ابن مريم

- أول كلمة قالها إبراهيم حين ألقى في النار
بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران
- حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار
خرج النبي ﷺ متبذلاً متواضعاً
- خرج رسول الله ﷺ فاستسقى وحول رداءه
- ٢٩١ خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقون
خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ
- خطب رسول الله ﷺ فذكر الناقة
- ٢٣١ خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثاً
- ٢٦٢ خفف علي داود القراءة
- خفف علي داود عليه السلام القرآن
- ٢٢٧ دخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي
- دخلت علي النبي ﷺ وهو يوعك
- ٢٢٩ ذكر رسول الله ﷺ الدجال فقال
- ١٩٩ سأل أناس رسول الله ﷺ عن الكهان
- سئل رسول الله ﷺ فقيل يا رسول الله أينام أهل الجنة ؟
- ٢٣٥ سيدرك رجال من أمتي الدجال
- شكونا إلى رسول ﷺ وهو متوسد ببردة له
- ١٣٩ الطوفان الموت
- ٢٣٦ عصابتان من أمتي أحرزهم الله من النار
- عليكم بالأبكار من النساء
- ٣١٢ غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه
- ١٢٣ فلق البحر لبني إسرائيل يوم عاشوراء
- ١٢٤ فنحن أحق بموسى منكم
- ١٢٣ قدم رسول الله ﷺ المدينة فرأى اليهود

- قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا
 ٢٩٧ كان أحد أبوي بلقيس جنيا
 كان آخر قول إبراهيم حين ألقى في النار
 كان أول ما حمل نوح في الفلك
 كان بين نوح وهلاك قومه ثلاثمائة سنة
 ٢٨٦ كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة
 كان سليمان نبي الله إذا صلى رأى شجرة
 كان سليمان يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين
 ١٥٧ الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين
 ٢٢٩ كنت بالكوفة فقيل خرج الدجال
 ٢١٥ كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم
 ٢٥٥ كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم
 ٢٥١ لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين
 ٢٣٤ لا تزال طائفة من أممي يقاتلون على الحق ظاهرين
 ٢٥٣ لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح
 لا تطروني كما أطرت بنو إسرائيل ابن مريم
 لا تقوم الساعة حتى تخرج نار بأرض الحجاز
 لا تقوم الساعة حتى تقتاتلوا الترك
 ٢٢٢ لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق
 ٢١٩ لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى ابن مريم
 ٢٩٨ لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة
 ٢٢١ لقيت ليلة أسرى بي إبراهيم وموسى وعيسى
 ٢٠٧ لكل نبي حوارٍ وحواري الزبير
 ٤٩ لما ألقى إبراهيم في النار
 ٢٥١ لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر

- لما كان نوح في السفينة قرض الفأر حبال السفينة
 ٢٥١ لما مر النبي ﷺ بالحجر
 ٢٥٠ لما نزل رسول الله ﷺ بالناس على تبوك نزل بهم الحجر
 ٢٩٨ لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة
 لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة
 لو رحم الله أحدا من قوم نوح
 ١٦٢ لولا أن بني إسرائيل قالوا : (و إنا إن شاء الله لمهتدون)
 لولا بني إسرائيل لم يختر لحم
 ٢٣٥ ليقتلن ابن مريم الدجال بباب لد
 ٢٢٣ ليتزلن ابن مريم حكما عدلا
 ٢٣٥ ليهبطن ابن مريم حكما عدلا
 ٢٢٥ ليهلن عيسى ابن مريم بفتح الروحاء
 ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده
 ١٤ ما من الأنبياء نبي إلا أعطي
 ما هذا اليوم الذي تصومون
 مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح
 ٢٥٤ مر النبي ﷺ بقبر
 ٢٨٦ مر سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة
 ٢٣٥ من أدرك منكم عيسى ابن مريم فليقرئه مني السلام
 ١٨١ من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
 ٥٧ نحن أحق بالشك من إبراهيم
 نحن أحق بموسى منكم
 ٢٠٨ النوم أخو الموت وأهل الجنة لا يموتون
 والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفتح الروحاء
 ٢٢٠ والذي نفسي بيده ليوشكن أن يتزل فيكم ابن مريم

- ٢١٥ والله ليتزلن ابن مريم حكما عدلا
يا رسول الله أي الناس أشد بلاء
يا معشر المهاجرين خمسة إذا ابتليتكم بهن
- ٢٣٠ يخرج الدجال في أمي
- ٢٢٨ يخرج الدجال في خفقة
- ٣٣٨ يدعى نوح يوم القيامة
- ٢٣٦ يدفن عيسى ابن مريم مع رسول الله ﷺ
- ٢٢١ يكون للمسلمين ثلاثة أمصار
يلبث عيسى ابن مريم في الأرض أربعين سنة
- ٢٢٦ يتزل ابن مريم إماما عدلا
- ٢٢٣ يتزل عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتل الخنزير
- ٢٣٤ يتزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء
- ٢٣٥ يتزل عيسى ابن مريم فيمكث في الأرض أربعين سنة
يتزل عيسى ابن مريم فيمكث في الناس
- ٢٢٦ يوشك المسيح عيسى ابن مريم أن يتزل حكما

فهرس الأشعار

- ٢٠٨ ألا يا نخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام
- ١٤٠ تضحى إذا العيس أدركنا نكائتها * خرقاء يعتادها الطوفان والزؤد
- ١٣٥ دعاني من نجد فإن سنيه * لعين بنا وشيننا مردا
- شيب أصداعي فرأسي أبيض
- ١٤٠ غير الجدة من آياتها * خرق الرياح وطوفان المطر
- ١٣٥ فليست بسنهاء ولا رجبية * ولكن عرايا في السنين الجوائح
- ١٤٠ قد مد طوفان فبث مددا * شهرا شآبيب وشهرا بردا
- ١٩٣ قد هزئت مني أم طيسله * قالت أراه معدما لا شيء له
- ١٧٤ كمهت عيناه حتى ابيضتا * فهو يلحى نفسه لما نزع
- لحقنا بحى أوبوا السير بعدما * دفعنا شعاع الشمس والطرف يجنح
- ١٣٤ لها أرج ما حولها غير مسنت
- ١٩٣ هرجت فارتد ارتداد الأكمه * في غائلات الحائر المتتهه

فهرس المراجع

أعلام النبوة

علي بن محمد الماوردي ٤٥٠هـ - نشر دار الكتاب العربي

إصلاح المنطق

يعقوب بن إسحاق بن السكيت ٢٤٤هـ -

تحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، نشر دار المعارف مصر ط الرابعة

الإيمان

محمد بن إسحاق بن منده ٣٩٥هـ -

تحقيق / د علي محمد فقيهي نشر مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ -

الأربعون الصغرى

أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨ هـ -

تحقيق / أبو إسحاق الحويني ، نشر / دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ -

الأحاديث المختارة

محمد بن عبد الواحد المقدسي ٦٤٣هـ -

تحقيق / عبد الملك بن دهيش ، نشر / مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة ، الطبعة

الأولى ١٤١٠هـ -

إرواء الغليل

محمد ناصر الدين الألباني نشر / المكتب الإسلامي بيروت

أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه

محمد بن إسحاق الفاكهي ٢٧٥هـ -

تحقيق / عبد الملك بن دهيش ، نشر / دار خضر بيروت الطبعة الثانية ١٤١٤هـ -

الآحاد والمثاني

عمرو بن أبي عاصم الشيباني ٢٨٧هـ -

تحقيق / باسم الجوابرة نشر / دار الراية الرياض الطبعة الأولى ١٤١١هـ -

الإصابة في تمييز الصحابة

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٣هـ

تحقيق/ محمد علي البحايي ، ط/الأولى دار الجليل ، بيروت.

أصول الدين

لأبي منصور عبد القاهر البغدادي ، مطبعة/استانبول

الإرشاد

لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني

تحقيق/ أسعد تميم ، نشر/ مؤسسة الرسالة

البداية والنهاية

أبو الفداء عماد الدين بن كثير ٧٧٤هـ

تاريخ الأمم والملوك

محمد بن جرير الطبري ٣١٠هـ نشر/ دار الكتب العلمية ، بيروت

تاريخ بغداد

الخطيب البغدادي أحمد بن علي ٤٦٣هـ نشر / دار الكتب العلمية ، بيروت

تاريخ دمشق

للحافظ ابن عساكر - طبع في دمشق.

التاريخ الكبير

البخاري محمد بن إسماعيل ٢٥٦هـ

تحقيق/ السيد هاشم ، نشر/ دار الفكر

تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي

محمد عبد الرحمن المباركفوري ١٣٥٣هـ نشر/ دار الكتب العلمية بيروت

تفسير البغوي = (معالم التنزيل)

الحسين بن مسعود الفراء البغوي ٥١٦هـ

تحقيق / خالد العك و مروان سوار نشر / دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ

تفسير ابن الجوزي = (زاد المسير)

أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ٥٩٧هـ ، نشر/ المكتب الإسلامي

تفسير الزمخشري = (الكشاف)

جار الله محمود الزمخشري

تفسير السعدي = (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)

عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، طبع المؤسسة السعيدية.

تفسير السيوطي = (الدر المنثور في التفسير المأثور)

جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ت ٩١١هـ دارالكتب

العلمية لبنان، ط/الأولى ١٤١١هـ

تفسير الطبري = (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ ، ط/دار الفكر ١٤٠٨هـ

تفسير ابن عطية = (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)

عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ٥٤٦هـ ، تحقيق / المجلس العلمي بفاس

تفسير الفخر الرازي = (التفسير الكبير = مفاتيح الغيب)

نشر/ دار إحياء التراث العربي

تفسير القرطبي = (الجامع لأحكام القرآن)

عبد الله بن محمد الأنصاري القرطبي الطبعة الأولى

تفسير ابن كثير = (تفسير القرآن العظيم)

أبو الفداء عماد الدين بن كثير ٧٧٤هـ

تقريب التهذيب

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٣هـ

تحقيق: محمد عوامة ، ط/الأولى ١٤٠٦هـ دار الرشيد ، سوريا.

تهذيب التهذيب

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٣هـ نشر/ دار الفكر ، بيروت

تهذيب الكمال

أبو الحجاج المزي يوسف بن الزكي ٧٤٢هـ—

تحقيق/ بشار عواد ، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ—

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

أبو عمر بن عبد البر يوسف بن عبد الله النمري ٤٦٣هـ—

نشر/ وزارة الأوقاف المغربية المغرب سنة ١٣٥٣هـ—

التمييز

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٦١هـ—

تحقيق/ محمد مصطفى الأعظمي ، نشر/ مكتبة الكوثر السعودية الطبعة الثالثة

١٤١٠هـ—

الثقات

محمد بن حبان أبو حاتم البستي ٣٥٤هـ—

تحقيق/ السيد شرف الدين أحمد ، نشر/ دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٣٩٥هـ—

الجامع

معمر بن راشد الأزدي ١٥١هـ—

تحقيق/ حبيب الأعظمي ، نشره كملحق بكتاب المصنف للصنعاني ج ١٠ ،

نشر/المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ—

الجرح والتعديل

عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ٣٢٧هـ—

الطبعة الأولى ١٩٥٢م

جزء أشيب

الحسن بن موسى الأشيب ٢٠٩هـ—

تحقيق / خالد بن قاسم ، نشر/ دار علوم الحديث ، الفحيرة ، الطبعة

الأولى ١٤١٠هـ—

جزء المؤمل

مؤمل بن إيهاب الرملي ٢٥٤هـ

تحقيق/ عماد بن فرة ، نشر / دار البخاري ، بريدة ١٤١٣هـ الطبعة الأولى

الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ٧٢٨هـ نشر/ مطبعة المدني

حلية الأولياء

أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ٤٣٠هـ نشر/ دار الكتاب العربي بيروت

الدعاء

أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـ

تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا

نشر دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ

ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ

تحقيق: محمد شكور أمير الميادين ط/الأولى ١٤٠٦هـ ، مكتبة المنار الزرقاء.

الرسل والرسالات

عمر بن سليمان الأشقر نشر /مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ

الزهد

عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني ٢٨٧هـ

تحقيق/عبد العلي عبد الحميد حامد

نشر/دار الريان ، القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ

سلسلة الأحاديث الصحيحة

محمد ناصر الدين الألباني نشر/ المكتب الإسلامي بيروت

سلسلة الأحاديث الضعيفة

محمد ناصر الدين الألباني نشر/ المكتب الإسلامي بيروت

سنن أبي داود

سليمان بن الأشعث ٢٧٥هـ—

تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد نشر/ دار الفكر

سنن الترمذي

محمد بن عيسى ٢٧٩هـ— ، تحقيق/ أحمد شاكر ، نشر/ دار إحياء التراث العربي

سنن النسائي

أحمد بن شعيب ٣٠٣هـ— ،

تحقيق/ عبد الفتاح أبو غدة

نشر/ مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ—

سنن ابن ماجه

محمد بن يزيد ٢٧٥هـ— ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر/ دار الفكر

سنن الدارقطني

علي بن عمر ٣٨٥هـ—

تحقيق: عبد الله هاشم يماني ، دار المعرفة ، بيروت.

سنن النسائي الكبرى

أحمد بن شعيب ٣٠٣هـ—

تحقيق/ عبد الغفار البنداري و سيد كسروي

نشر/ الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ—

سنن البيهقي الكبرى

أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨هـ—

تحقيق / محمد عبد القادر عطا ، نشر/ مكتبة الباز مكة المكرمة ١٤١٤هـ—

سنن الدارمي

عبد لله بن عبد الرحمن ٢٥٥هـ—

تحقيق/ فواز زمري و خالد السبع ، نشر/ دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٧هـ—

السنة

عمرو بن أبي عاصم الضحاك ٢٨٧هـ —

تحقيق / محمد ناصر الدين الألباني

نشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .

سير أعلام النبلاء

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ٧٤٨هـ —

تحقيق : شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ —

شرح السنة

الحسين بن مسعود الفراء البغوي ٥١٦هـ —

نشر / المكتب الإسلامي ، بيروت

شرح معاني الآثار

أحمد بن محمد الطحاوي ٣٢١هـ —

تحقيق/محمد زهري النجار

نشر / دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ —

شرح النووي على مسلم

يجي بن شرف النووي ٦٧٦هـ — نشر/دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٣٩٢هـ —

شعب الإيمان

أحمد بن الحسين البيهقي ٤٥٨ هـ —

تحقيق / بسيوني زغلول ، نشر/ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ —

صحيح البخاري

محمد بن إسماعيل البخاري ٢٥٦هـ —

تحقيق / مصطفى البغا نشر/دار القلم الطبعة الأولى ١٤٠١هـ —

صحيح مسلم

مسلم بن الحجاج القشيري ٢٦١هـ —

تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي — نشر دار إحياء التراث العربي — بيروت .

صحيح ابن خزيمة

محمد بن اسحاق بن خزيمة ٣١١هـ

تحقيق محمد مصطفى الأعظمي — نشر المكتب الإسلامي — بيروت ١٣٩٠هـ .

صحيح ابن حبان

محمد بن حبان أبو حاتم البستي ٣٥٤هـ

تحقيق / شعيب الأرنؤوط — نشر مؤسسة الرسالة — الطبعة الثانية ١٤١٤هـ

صحيح ابن ماجه

محمد ناصر الدين الألباني

الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف

عادل محمد أبو العلا

نشر/ مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض الطبعة الأولى ١٤١٦هـ

الضعفاء

محمد بن عمرو أبو جعفر العقيلي ٣٢٢هـ

تحقيق/ عبد المعطي قلعجي

نشر/ دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ

الضعفاء والمتروكين

أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ٥٩٧هـ

تحقيق/ عبد الله القاضي

نشر/ دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة/ الأولى ١٤٠٦هـ

ضعيف الجامع

محمد ناصر الدين الألباني — نشر المكتب الإسلامي — بيروت .

الطبقات الكبرى

محمد بن سعد بن منيع البصري ٢٣٠هـ — نشر دار صادر — بيروت .

العظمة

عبد الله بن محمد أبو الشيخ الأصبهاني ٣٦٩هـ —

تحقيق/رضاء الله المبار كفوري نشر/دار العاصمة ، الرياض الطبعة الأولى ١٤١١هـ —

علل الترمذي الكبير

نشر عالم الكتب — بيروت — ١٤٠٩هـ —

العلل ومعرفة الرجال

أحمد بن حنبل الشيباني ٢٤١هـ —

تحقيق / وصي الله بن محمد عباس — نشر المكتب الإسلامي — بيروت — الطبعة

الأولى ١٤٠٨هـ .

العلل المتناهية في الأحاديث الواهية

أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ولد ٥١٠ ت ٥٩٧هـ —

تحقيق: خليل الميس ط/الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

عون المعبود

محمد شمس الحق العظيم آبادي

نشر دار الكتب العلمية — بيروت — الطبعة الثانية ١٤١٥هـ .

فتح الباري شرح صحيح البخاري

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٢هـ —

تحقيق / محب الدين الخطيب — الطبعة السلفية ١٣٧٩هـ —

الفتح الرباني

أحمد عبد الرحمن البنا الشهير بالساعاتي ، طبع دار إحياء التراث العربي

الفتن

نعيم بن حماد ت ٢٨٨هـ —

تحقيق: سمير أمين الزهيري الطبعة الأولى ١٤١٢هـ — مكتبة التوحيد ، القاهرة.

الفوائد

تمام بن محمد الرازي ٤١٤هـ —

تحقيق: حمدي السلفي ، ط/الأولى ١٤١٢هـ — مكتبة الرشد ، الرياض.

في ظلال القرآن

سيد قطب ، نشر دار الشروق

القاموس المحيط

محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ٨١٧هـ —

تحقيق/ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة

الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة

محمد بن أحمد الذهبي

تحقيق / محمد عوام — نشر دار القبلة — جدة — الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

الكامل في ضعفاء الرجال

عبدالله بن علي الجرجاني ٣٦٥هـ —

تحقيق / يحيى مختار — نشر دار الفكر — بيروت — الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ —

الكشف الحثيث عن رمي بوضع الحديث

إبراهيم بن محمد بن سبط العجمي ٨٤١هـ —

تحقيق / صبحي السامرائي الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ — نشر عالم الكتب بيروت

كشف الأستار

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي ١٠٦٧هـ — نشر دار الكتب العلمية .

لسان العرب

محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري ٧١١هـ —

لسان الميزان

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٨٥٣هـ - دائرة المعارف النظامية ، الهند.

لوامع الأنوار البهية

محمد بن أحمد السفاريني - نشر المكتب الإسلامي - بيروت

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

علي بن أبي بكر الهيثمي ٨٠٧هـ - نشر دار الريان - القاهرة .

المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين

محمد بن حبان أبو حاتم البستي ٣٥٤هـ -

تحقيق / محمود إبراهيم زايد ، نشر/ دار الوعي ، حلب ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ -

المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها.

لأبي الفتح ابن جني

تحقيق : علي النجدي ناصف والدكتور/ عبدالحليم النجار . والدكتور/ عبدالفتاح

شليبي ط/ لجنة إحياء التراث الإسلامي . جمهورية مصر العربية . القاهرة . عام

١٣٨٦هـ -

مختار الصحاح

محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ٧٢١هـ -

المستدرک علی الصحیحین

الحاكم محمد بن عبد الله ٤٠٥هـ -

تحقيق / مصطفى عبد القادر عطا - نشر دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة

الأولى ١٤١١هـ .

مسند الإمام أحمد ولد ١٦٤ت ٢٤١هـ - نشر مؤسسة قرطبة ، مصر.

مسند أبي عوانه

يعقوب بن اسحاق الاسفرائيني ٣١٦هـ - نشر دار المعرفة بيروت .

مسند الروياني

محمد بن هارون ٣٠٧هـ -

تحقيق / أيمن علي أبو يمامي - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ -

مسند أبي داود الطيالسي

سليمان بن داود ٢٠٤هـ — نشر دار المعرفة — بيروت .

مسند عبد بن حميد

أبو محمد الكسي ٢٤٩هـ —

تحقيق / صبحي السامرائي ، ومحمود الصعيدي — الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ — نشر
مكتبة السنة — القاهرة .

مسند بن الجعد

علي بن الجعد ٢٣٠هـ —

تحقيق / عامر أحمد حيدر — نشر مؤسسة نادر — الطبعة الأولى ١٤١٠هـ —

مسند البزار (البحر الزخار)

أحمد بن عمرو البزار ٢٩٢هـ —

تحقيق / محفوظ الرحمن زين الله — نشر مؤسسة علوم القرآن — بيروت — الطبعة
الأولى ١٤٠٩هـ .

مسند الشافعي

محمد بن إدريس ٢٠٤هـ — نشر دار الكتب العلمية — بيروت .

مسند الحميدي

عبدالله بن الزبير ٢١٩هـ —

تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي — نشر دار الكتب العلمية — بيروت — القاهرة

مسند أبي يعلى

أحمد بن علي بن المثني ٣٠٧هـ —

تحقيق / حسين أسد — نشر دار المأمون — دمشق — الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ —

مسند الشاميين

سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـ —

تحقيق / حمدي السلفي — نشر مؤسسة الرسالة — بيروت — الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ —

مشكل الآثار

أحمد بن محمد الطحاوي ٣٢١هـ

المصنف

عبدالرزاق بن همام الصنعاني ولد ١٢٦ ت ٢١١هـ

تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ط/الثانية ١٤٠٣هـ المكتب الإسلامي ، بيروت.

المصنف في الأحاديث والآثار

أبو بكر ابن أبي شيبة ولد ١٥٩ ت ٢٣٥هـ

تحقيق: كمال يوسف الحوت ، ط/الأولى ١٤٠٩هـ مكتبة الرشد ، الرياض.

معاني القرآن

لأبي جعفر النحاس ٣٣٨هـ

تحقيق / محمد علي الصابوني نشر/ جامعة أم القرى

المعجم الكبير

أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـ

تحقيق / حمدي السلفي — نشر مكتبة العلوم والحكم — الموصل — الطبعة الثانية

المعجم الأوسط

أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـ

تحقيق / طارق بن عوض الله وعبدالمحسن بن ابراهيم — نشر دار الحرمين ١٤١٥هـ

المعجم الصغير

أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ٣٦٠هـ

تحقيق / محمد شكور محمد الحاج — نشر المكتب الإسلامي — عمان — الطبعة

الأولى ١٤٠٥هـ

معجم الصحابة

عبدالباقي بن قانع ٣٥١هـ

تحقيق / صلاح بن سالم المصري — نشر مكتبة الغرباء — المدينة المنورة — الطبعة

الأولى ١٤١٨هـ .

معجم البلدان

ياقوت بن عبد الله الحموي ٦٢٦هـ

نشر/ دار الفكر بيروت

معجم ما استعجم

عبد الله بن عبد العزيز البكري ٤٨٧هـ

تحقيق/ مصطفى السقا الطبعة / الثالثة ١٤٠٣هـ نشر/ عالم الكتب ، بيروت

مفردات القرآن

للاغب الأصفهاني ٤٩٨هـ دار الفكر بيروت

مقدمة كرامات الأولياء

تحقيق الدكتور / أحمد سعد حمدان — نشر دار طيبة — المدينة المنورة — الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

المنار المنيف في الصحيح والضعيف

محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية ٧٥١هـ —

تحقيق / عبدالفتاح أبو غده — نشر مكتب المطبوعات الإسلامية — حلب — الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

موطأ مالك

مالك بن أنس الأصبحي ١٧٩هـ —

تحقيق / محمد فؤاد عبدالباقي — نشر دار إحياء دار التراث العربي — مصر .

الموضوعات

أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي ولد ٥١٠ ت ٥٩٧هـ —

النبوات

أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ٧٢٨هـ — تصوير دار القلم .

نظم المتناثر من الحديث المتواتر

محمد بن جعفر الكتاني

تحقيق / شرف حجازي — نشر دار الكتب السلفية — مصر .

النهاية في غريب الأثر

المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم أبو السعادات الجزري ٦٠٦هـ —

تحقيق / طاهر الزاوي و محمود الطناحي ، نشر/ دار الفكر ١٣٩٩هـ —

نيل الأوطار

محمد بن علي الشوكاني ١٢٥٥هـ — نشر دار الجيل — بيروت ١٩٧٣م

الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد

أحمد بن محمد الكلاباذي ٣٩٨هـ —

تحقيق : عبد الله الليثي ، ط/الأولى ١٤٠٧هـ ، دار المعرفة بيروت.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة.
١٤	التمهيد.
١٤	معنى حديث الرسول ﷺ ((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر)):
١٩	معنى الدلائل في اللغة والاصطلاح .
٢١	معنى الآية في اللغة والاصطلاح .
٢٣	تعريف المعجزة.
٢٣	هل يصح إطلاق لفظ المعجزة على دلائل نبوة الأنبياء .
٢٦	الفرق بين الدلائل والكرامة .
٢٩	الفرق بين آيات الأنبياء والسحر والكهانة.
٣٤	الفرق بين دلائل نبوة نبينا محمد ﷺ ودلائل نبوة غيره من الأنبياء عليهم السلام .
	الباب الأول : دلائل نبوة أولي العزم من الرسل
٣٧	الفصل الأول : دلائل نبوة نوح - عليه الصلاة والسلام - .
٣٧	المبحث الأول : في سفينة نوح - عليه الصلاة والسلام - .
٤٠	وجه الإعجاز في سفينة نوح عليه الصلاة والسلام.
٤٢	الفصل الثاني : دلائل نبوة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - .
٤٢	المبحث الأول: نجاة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - من النار .
٥٥	المبحث الثاني : في إحياء الطيور الأربعة.
٦٥	الفصل الثالث : دلائل نبوة موسى - عليه الصلاة والسلام - .
٦٥	المبحث الأول : في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾
٧٠	المبحث الثاني : في إزالة العقدة من لسان موسى - عليه الصلاة والسلام -
٧٣	المبحث الثالث : عصا موسى - عليه الصلاة والسلام - .

- ٧٧ الحكمة من قلب العصاحية
- ٧٨ المطلب الثالث: التوفيق بين قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ [طه: ٢٠] وقوله: ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَرُ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ [القصص: ٣١] وقوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٧]
- ٧٩ المطلب الرابع: في وقوع التحدي بها
- ١٠٤ المبحث الرابع: في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾
- ١١١ المبحث الخامس: وعد موسى - عليه الصلاة والسلام - لقومه بأن العاقبة لهم على القبط.
- ١١٨ المبحث السادس: الطمسة.
- ١١٩ المبحث السابع: انفلاق البحر لبني إسرائيل.
- ١١٩ المطلب الأول: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٠]
- ١٢٥ المطلب الثاني: في وجه الإعجاز في انفلاق البحر
- ١٢٦ المطلب الثالث: في النعم المتعددة في هذه الواقعة
- ١٢٨ المبحث الثامن: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴾
- ١٣٤ المبحث التاسع: في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾
- ١٣٧ المبحث العاشر: في أنواع العذاب الذي نزل على بني إسرائيل .
- ١٤٦ المبحث الحادي عشر: في نتق الجبل.
- ١٤٦ المطلب الأول: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾
- ١٤٩ المطلب الثاني: في سبب رفع الطور
- ١٥٢ المبحث الثاني عشر: في الغمام الذي ظلل به بنو إسرائيل .
- ١٥٥ المبحث الثالث عشر: في المن والسلوى المنزلة على بني إسرائيل .
- ١٥٨ المبحث الرابع عشر: ميت بني إسرائيل.
- ١٥٨ المطلب الأول: قصة بقرة بني إسرائيل.

- المطلب الثاني : في الفائدة من ضرب المقتول. ١٦٥
- المبحث الخامس عشر : في قول نبينا محمد ﷺ عن موسى - عليه الصلاة والسلام - : ((ثوبي حجر)) . ١٦٦
- الفصل الرابع : دلائل نبوة عيسى بن مريم - عليه الصلاة والسلام - . ١٧١
- المبحث الأول : مولده عليه الصلاة والسلام. ١٧١
- المبحث الثاني : تكلمه في المهدي. ١٨٣
- المبحث الثالث : في خلق الطير من الطين. ١٨٩
- المبحث الرابع : إبراء الأكمه والأبرص. ١٩٢
- المبحث الخامس : إحياء الموتى. ١٩٥
- المبحث السادس : إخبارهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم. ١٩٧
- المبحث السابع : في نزول المائدة. ٢٠١
- المبحث الثامن : في رفعه إلى السماء. ٢٠٦
- الأحاديث الواردة في نزول عيسى - عليه الصلاة والسلام - في آخر الزمان ٢١٨
- الباب الثاني: دلائل نبوة الأنبياء غير أولي العزم من الرسل. ٢٣٧
- الفصل الأول : دلائل نبوة هود - عليه الصلاة والسلام - . ٢٣٨
- المبحث الأول : قوم هود. ٢٣٨
- المبحث الثاني : آية هود - عليه الصلاة والسلام - . ٢٤٧
- الفصل الثاني : دلائل نبوة صالح - عليه الصلاة والسلام - . ٢٥٠
- خبر ناقة صالح - عليه الصلاة والسلام - . ٢٥٠
- الفصل الثالث : دلائل نبوة داود - عليه الصلاة والسلام - . ٢٥٩
- المبحث الأول : في تسبيح الجبال والطير مع داود - عليه الصلاة والسلام - . ٢٦٠
- المبحث الثاني : إلانة الحديد لداود - عليه الصلاة والسلام - . ٢٦٧
- الفصل الرابع : دلائل نبوة سليمان - عليه الصلاة والسلام - . ٢٧١
- المبحث الأول : في ملك سليمان - عليه الصلاة والسلام - . ٢٧١
- المبحث الثاني : تسخير الريح لسليمان - عليه الصلاة والسلام - . ٢٧٧

- ٢٨١ . المبحث الثالث : تسخير الجن والشياطين لسليمان - عليه الصلاة والسلام - .
- ٢٨٥ . المبحث الرابع : قصص الحيوانات مع سليمان - عليه الصلاة والسلام - .
- ٢٨٥ . المطلب الأول : فهمه لكلام الطير .
- ٢٨٨ . المطلب الثاني : كلامه مع النملة .
- ٢٩٣ . المطلب الثالث : خير الهدهد .
- ٣٠٨ . الفصل الخامس : دلائل نبوة يوشع بن نون - عليه الصلاة والسلام - .
- ٣٠٩ . خير حبس الشمس ليوشع - عليه الصلاة والسلام - .
- ٣١٤ . الفصل السادس : دلائل نبوة نبي من أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى .
- ٣١٥ . قصة التابوت .
- ٣٢٢ . الباب الثالث : في الدروس المستفادة من دلائل نبوة الأنبياء - عليهم السلام - .
- الفصل الأول : وفيه المباحث التالية .
- ٣٢٦ . المبحث الأول : العبرة من الآيات التي بعث بها الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام
- ٣٢٧ . المبحث الثاني : المحن التي تعرضوا لها بسبب هذه الآيات .
- ٣٣٠ . المبحث الثالث : موقف المكذبين والمعاندين من هذه الآيات .
- ٣٣٠ . المطلب الأول : موقف قوم نوح - عليه الصلاة والسلام - حين صنعه للسفينة
- ٣٣٣ . المطلب الثاني : موقف قوم صالح - عليه الصلاة والسلام - من الناقة
- المطلب الثالث : وفيه مسألتان :
- ٣٣٨ . المسألة الأولى : في موقف فرعون وقومه من الآيات التي بعث بها موسى
- المسألة الثانية : في موقف بني إسرائيل من الآيات التي أيد الله - سبحانه - بها موسى - عليه الصلاة والسلام - .
- ٣٥٧ . المطلب الرابع : موقف اليهود من الآيات التي بعث بها عيسى عليه الصلاة والسلام
- ٣٧٢ . المبحث الرابع : في وجه الشبه بين الأمم الكافرة بآيات الأنبياء .
- ٣٧٧ . المبحث الخامس : موقف المسلم من آيات الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - .
- ٣٨٢ . الفصل الثاني : الأحكام الفقهية المستنبطة من دلائل نبوة الأنبياء .

٣٨٢	المسألة الأولى : صوم يوم عاشوراء.
٣٨٤	المسألة الثانية : صلاة الاستسقاء.
٣٨٧	المسألة الثالثة : القسامة.
٣٨٨	المسألة الرابعة : جواز النسخ قبل وقت الفعل.
٣٩٢	المسألة الخامسة: عمل الإنسان بيده
٣٩٥	الخاتمة
٣٩٨	الفهارس